

# فن الإنشاد الديني



مرورة البشير

الدار المصرية اللبنانية

# فن الإنشاد الديني مروة البشير

فن الإنشاد الديني/مروة البشير. - ط1. -  
القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2018.  
280 ص؛ 21 سم.

تدمك: 9789777951678

1- الموشحات الدينية

2- الإبتهالات الدينية

3- الأغاني الدينية

أ - العنوان. 782.25

رقم الإيداع: 3422 /2018

16 عبد الخالق ثروت القاهرة.

تليفون: 23910250 202+

فاكس: 23909618 202+ ص.ب 2022

E-mail:info@almasriah.com

www.almasriah.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى: ربيع ثان 1439 هـ - يناير 2018 م

جميع الحقوق محفوظة للدار المصرية اللبنانية، ولا يجوز،

بأي صورة من الصور، التوصل، المباشر أو غير المباشر، الكلي أو الجزئي، لأي مما ورد في  
هذا المصنف، أو نسخه، أو تصويره، أو ترجمته أو تحويله أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً أو  
تخزينه أو استرجاعه أو إتاحتة عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من الدار.

فن الإنشاد الديني

مروة البشير

الدار المصرية اللبنانية

# إهداء

إلى أبي  
الذي أهداني هذه الحياة، قبل أن يرحل إلى دار اليقين  
وظل معي  
في عقلي.. وقلبي.. ووجداني  
أفتقدك يا أبي في كل صباح ومساء  
وأدعو الله أن يكون هذا الكتاب في ميزان حسناتك يوم القيامة  
فأنا بضعة منك.. إليك  
مرورة

## مقدمة

من أقدم الفنون المصرية – على الإطلاق – فن الإنشاد الديني الذي بدأ منذ عهد الفراعنة؛ حيث لم يكن يتعلق بالمديح النبوي إلا منذ بدء البعثة النبوية المطهرة، ولم أجد كتابا يلقي الضوء على هذا الفن المتأصل في ذاتنا، يكشف حقائقه، ويتتبع مساره منذ نشأته، وهذا يبين لنا مدى النقص الذي تعانيه المكتبة العربية لعدم وجود كتب حديثة تهتم بالإنشاد الديني في مصر. فرأيت أن نلقي الضوء على هذا الفن الذي امتزج بنفوس المصريين منذ قديم الزمن، من خلال معرفتي الوثيقة به وبأشهر المنشدين.

ولم يكن الأمر سهلا – كما هو متوقع - فالمتاح إما مراجع قديمة تتحدث عن فترات تاريخية سابقة، أو دراسات أكاديمية تهتم بالعنصر الموسيقي في الإنشاد، لكن لا توجد كتب حديثة موجهة للقارئ العادي وليس المتخصص، توثق تاريخ وحاضر الإنشاد الديني في مصر، والدور الذي يلعبه في نفوس المصريين.

والحقيقة أن مصر هي أول دولة في العالم عرفت الإنشاد الديني، وهو الإنشاد المصاحب للطقوس والعبادات، وإقامة الشعائر والصلوات داخل المعابد عبر مجموعة من الترانيم ذات نصوص دينية عادة ما تكون غامضة المعنى، وجاءت أشهر هذه الأناشيد على الإطلاق للملك الفرعون إخناتون، ذلك الزاهد المتعبد والفيلسوف المتأمل.

ومع انتشار الديانة المسيحية، ظهرت في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية الموسيقى الكنسية القبطية، وهي من أقدم الموسيقى الكنسية الموجودة، وقد وصفها عالم الموسيقى الإنجليزي إيرنست نيولاند سمث، بأنها إحدى عجائب العالم السبع.

والترانيم جزء مهم من العبادة المسيحية فهي كلمات تسبيح للرب، وهناك ترانيم كثيرة في الكتاب المقدس منها السارة والحزينة، ومنها ترانيم النصر والتوبة، وقد شهدت السنوات الأخيرة تطورا كبيرا في الترانيم والألحان القبطية، وظهرت فرق عديدة تؤدي هذا اللون، لكن الأبرز كان ظهور جيل جديد من المرنمين، الذين يؤدون ترانيم أقرب إلى الغناء الديني باللهجة العامية.

وعندما جاء الإسلام، كانت قصائد المديح النبوي التي تعد العمود الفقري للإنشاد، إحدى أدوات الحرب ضد المشركين وأهم وسيلة إعلام للدفاع عن الإسلام، وكان أشهرها لشاعر الرسول حسان بن ثابت، وبعد عصر النبي ﷺ تطور فن المديح والإنشاد الديني حتى أصبح في عهد الأمويين فنا له أصوله، وضوابطه، وقوالبه، وإيقاعاته.

وفي مصر ازدهر فن الإنشاد الديني في عهد الفاطميين بسبب اهتمام الدولة بالاحتفالات الدينية والدينيوية المختلفة، ومع انتشار الطرق الصوفية دخل الإنشاد الديني مرحلة جديدة من خلال «الحضرة»، ثم ارتبط بالموالد الخاصة بأولياء الله الصالحين، ومع ظهور الإذاعة ثم التليفزيون انتشر فن الإنشاد الديني وذاع صيته، حتى أصبح لدينا الآن فضائيات خاصة بالإنشاد وفرق مختلفة للغناء الديني.

ولقد حرصت في هذا الكتاب على ذكر نماذج متعددة من الإنشاد عند الفراعنة والمسيحية والإسلام؛ لتؤكد أن المضمون واحد في كل الأحوال، كل يناجي ربه على طريقته، ويلجأ إلى خالق الكون يستمد منه القوة والمدد.

وقد قسمت الكتاب إلى فصلين:

**الفصل الأول: نشأة فن الإنشاد الديني وتطوره.**

**الفصل الثاني: أشهر المنشدين والمنشادات.**

ولعلي بهذا أكون قد قدمت شيئاً جديداً إلى المكتبة العربية، لفن راق يخالط النفوس حتى يتمكنها، وأكون قد ألقيت الضوء على جانب من الجمال ظل حبيس الظلال سنوات وسنوات.

**مروة البشير**

القاهرة

**م 2017 مارس 1**

# الفصل الأول

## نشأة فن الإنشاد الديني وتطوره

### نشيد الأناشيد

لعب الدين والعلاقة بالآلهة دورا كبيرا في حياة المصريين القدماء، الذين تركز جدران معابدهم وأوراق البردي بكثير من النقوش التي تشرح تفاصيل تلك العلاقة، وكان للإنشاد دور أساسي في هذا السياق.

ويمكن تعريف الإنشاد الديني عند الفراعنة بأنه: الإنشاد المصاحب للطقوس والعبادات، وإقامة الشعائر والصلوات داخل المعابد، وهي مجموعة من الترانيم ذات نصوص دينية عادة ما تكون غامضة المعنى، ويكون الإنشاد إما بمصاحبة آلية أو يؤدي بطريقة الترتيل أو التلاوة أو الإلقاء (ريستاتيفو) ويكون عادة مصاحبا بألة السيستروم.

كما وجدت النصوص والتراتيل الجنائزية منقوشة على جدران بعض أهرامات الدولة القديمة، وعلى جدران توابيت الموتى في الدولة الوسطى، وفي العصور اللاحقة وجدت النصوص الجنائزية منقوشة في كتاب الموتى.

ولم يهتد الباحثون بعد إلى الطريقة التي كانت تؤدي بها تلك التراتيل، وإن كانت غالبا تؤدي بطريقة الإلقاء أو التلاوة، وأحيانا بمصاحبة الدفوف<sup>(1)</sup>.

وهكذا رأينا الإنشاد عند الفراعنة في احتفالات الإله آمون وإيزيس ورع، وقد صورتها لنا جدران المعابد، حيث يرى حاملو الأعلام والعازفون والمنشدون الذين يرددون الأناشيد الدينية بمصاحبة مجموعات موسيقية.

وجاءت أشهر هذه الأناشيد على الإطلاق للملك الفرعون إخناتون، ذلك الزاهد المتعبد والفيلسوف المتأمل، الذي ترك أناشيده وأشعاره منقوشة على معابده في تل العمارنة وفي رموز مخطوطة بالهيروغليفية القديمة محفوظة على أوراق البردي، تكشف النقاب عن خيال المصري القديم ومدى سعة أفقه في التطلع والتأمل في الكون وكل ما يحيط بحياة البشر، ولقد اشتهر إخناتون بخيال خصب وشاعرية متصوفة عميقة المعنى خصبة الدلالة تبحث في مكونات الكون عن سر هذا الوجود، حتى إن أنشودته في حب «أتون» قرص الشمس أصبحت علامة فارقة في تلك الفلسفة التي تحمل معاني النزعة الدينية عند المصريين الذين سكنوا على ضفاف النيل منذ آلاف السنين<sup>(2)</sup>.

وقد ربط بعض الباحثين بين أناشيد إخناتون والمزمور 104 من مزامير النبي داود من حيث المضمون وتماتل بعض الجمل. وتصور البعض أن المزمور قد تأثر إلى حد كبير بالنشيد رغم الفترة الزمنية الطويلة التي تباعد بين الاثنين (إخناتون في القرن الـ14 قبل الميلاد، وجاء بعده بنحو 400 سنة سيدنا داود عليه السلام في القرن العاشر قبل الميلاد)، بينما يرى البعض الآخر أن الأمر لا يعدو مجرد توارد خواطر، فكلاهما يناجي ربه، ومن ثم يتفقان في تعداد نعمه وأفضاله.

### نشيد إخناتون (3)

أنت تطلع ببهاء في أفق السماء  
يا أتون الحي، يا بداية الحياة  
عندما تبرز في الأفق الشرقي  
تملأ كل البلاد بجمالك  
أنت جميل، عظيم متألئ، وعال فوق كل بلد  
وتحيط أشعتك بالأراضي كلها التي خلقتها  
لأنك أنت رع وتصل إلى نهايتها  
وتخضعها لابنك المحبوب  
وبالرغم من أنك بعيد فإن أشعتك على الأرض  
وبالرغم من أنك أمام أعينهم فلا يعرف أحد خطوات سيرك

\* \* \*

وعندما تغرب في الأفق الغربي  
تصبح الأرض سوداء كما لو كان قد حل بها الموت  
ينام «الناس» في حجرة وقد لفوا رؤوسهم  
فلا ترى عين عينا أخرى  
ويمكن أن تسرق أمتعتهم التي يضعونها تحت رؤوسهم  
فلا يدركون ذلك  
ويخرج كل أسد من عرينه  
وجميع الزواحف تخرج لتلدغ  
ويلف الظلام كل شيء ويعم الأرض السكون  
لأن الذي خلقهم يرتاح في أفقه

وعندما يصبح الصباح وتطلع أنت من الأفق  
وعندما تضيء أثناء النهار  
تطرد الظلمة وتمنح أشعتك  
فالأرضان في عيد كل يوم  
ويستيقظ الناس ويقفون على الأقدام  
لأنك أنت الذي أيقظتهم

\* \* \*

يغسلون أجسامهم ويلبسون ملابسهم  
ويرفعون أذرعهم ابتهاالا عند ظهورك  
والناس جميعا يؤدون أعمالهم  
وتقنع كل الحيوانات بمراعيها  
وتزدهر الأشجار والنباتات  
والطيور التي تطير من أعشاشها  
تمد أجنحتها لتمدح قوتك  
وتقف الحيوانات على أرجلها  
وكل ما يطير أو يحيط  
إنهم يعيشون لأنك أشرقت من أجلهم  
وتسير السفن نحو الشمال ونحو الجنوب  
لأن الطرق كلها مفتوحة عندما تظهر  
وتمرق الأسماك في النهر أمامك لأن أشعتك تتغلغل في المحيط  
أيها الخالق لبذرة الحياة في النساء  
إنك أنت الذي يجعل من البذرة السائلة إنسانا  
إنك أنت الذي يعنى بالطفل في بطن أمه  
وأنت الذي يهدئه بما يوقف بكاءه  
لأنك تعنى به وهو في الرحم  
أنت الذي يعطي النفس ليحفظ حياة كل من يخلقهم  
عندما ينزل الطفل من بطن أمه ليتنفس

في اليوم الذي يولد فيه  
تفتح فمه، وتمده بكل ما يحتاج إليه  
وعندما يصرخ «الكتكوت» وهو داخل البيضة  
فأنت الذي يمد بالنفس في داخلها ليعيش  
وعندما يتم خلقة داخل البيضة تجعله يكسرها  
ويخرج من البيضة وهو يصيح إذا ما حان موعده  
ويمشي على رجليه عندما يخرج منها

\* \* \*

### ما أعظم أفعالك التي عملتها!

إنها خافية على الناس  
أيها الإله الأوحد الذي لا شبيه له  
لقد خلقت الدنيا كما شئت  
عندما كنت وحدك  
الناس والماشية والوحوش الضارية  
وكل ما على الأرض يسعى على قدميه  
وكل ما يرفع في السماء يطير بجناحيه

\* \* \*

في بلاد سورية والنوبة وأرض مصر  
تضع كل شيء في مكانه  
إنك أنت الذي يمدهم بما يحتاجونه  
ويحصل كل شخص على طعامه وسنوات حياته مقدره له  
يختلف الناس في لغاتهم  
كما يختلفون أيضا في طبائعهم  
ويمتاز لون جلودهم عن بعضهم البعض  
لأنك أنت الذي يميز أهل الأمم الأجنبية  
وأنت الذي خلقت نيلا في ذلك العالم الآخر  
وأنت الذي تأتي به عندما تشاء لتبقي على الناس

وذلك لأنك أنت الذي خلقتهم لأجل نفسك  
أنت سيدهم جميعا.. سيدهم الذي يشغل نفسه من أجلهم  
سيد كل أرض الذي يشرق لأجلهم  
أنت آتون «شمس» النهار عظيم البهاء

\* \* \*

أنت الذي يعطي الحياة أيضا لكل البلاد الأجنبية البعيدة  
لأنك خلقت نيلا في السماء  
لينزل لأجلهم ويحدث أمواجا فوق الجبال  
مثل أمواج البحر  
لتروي حقولهم التي في قراهم  
ما أجمل أعمالك يا رب الأبدية!  
فالنيل الذي في السماء «خلقته» للأجانب  
ولكل حيوانات الصحراء التي تسعى على الأقدام

\* \* \*

أما النيل الحقيقي فإنه ينبع من العالم الآخر لأجل مصر  
تغذي أشعتك كل مرج  
وعندما تشرق تحيا وتنمو لأجلك  
وجعلت فصول السنة لتغذي كل ما خلقت  
فالشقاء يبرد أجسامهم  
والحرارة تجعلهم يحسون بك  
لقد خلقت السماء البعيدة لتشرق منها  
وحتى ترى كل ما صنعت  
وذلك عندما كنت وحيدا  
تشرق في صورتك كآتون الحي  
لامعا مضيئا في مجيئك ورواحك  
جعلت ملايين الصور من نفسك وحدها  
وسواء كانت مدنا أو بلادا أو حقولا.. طريقا أو نهرا

فإن كل عين تراك فوقها مشرقا  
لأنك أتون «شمس» النهار على الأرض  
أنت في قلبي  
وليس هناك من يعرفك  
غير ابنك «نفر خبرو رع وع إن رع»  
لأنك أنت الذي خلقتة عالما بمقاصدك ومدركا لقوتك  
أنت الذي صنعت الدنيا بيديك  
وخلقت الناس كما شئت أن تصورهم  
فهم يحيون عندما تشرق ويموتون عندما تغرب  
إنك أنت الحياة بعينها  
ويعيش الإنسان فقط إذا أردت  
تتعلق العيون بالجمال حتى تغيب  
ويترك الناس أعمالهم عندما تغرب في الغرب  
ولكن عندما تشرق ثانية  
يزدهر كل شيء لأجل الملك  
لأنك أنت الذي خلقت الأرض  
وأنت الذي خلقتهم «الناس» لأجل ابنك  
الذي ولد من صلبك  
ملك الوجه القبلي والوجه البحري.. إخناتون  
وزوجة الملك العظيمة.. نفرтитي  
عاشت ممتعة بالشباب. ودائما وإلى الأبد.

## الإشاد القبطي

مع ظهور وانتشار الديانة المسيحية وعلى مر السنين ظهرت الموسيقى المسيحية التي استخدمت في طقوس العبادة والصلوات، وأخذ الغناء شكلا فرديا وجماعيا، وشكل كورس. وفي القرن الرابع بعد انتهاء عصر اضطهاد المسيحيين قام آباء الكنيسة بتأسيس نظام للطقوس الدينية المؤلفة من الأناشيد التي يترنم بها في المناسبات المختلفة طوال السنة، وقاموا بكتابة كلمات وموسيقى الأناشيد الدينية وتأثروا بالشعر الغنائي في العهد القديم أو المزامير، ثم أخذت كل كنيسة تضع موسيقى

وأناشيد خاصة بها، وقد هذب البابا غريغري الأول الموسيقى اللاتينية الكنسية فأحدث الترانيم الغريغورية، وهي ألحان في الكتاب المقدس للموسيقى الكنسية اللاتينية، ويعتبر فنا موسيقيا غنائيا جادا، ذا سير لحنى غير مرافق بآلات موسيقية.

في القرن السادس كان أول من وضع نظاما موسيقيا مبنيا على ثمانية ألحان هو سويرس السرياني أسقف أنطاكية، وتم توزيع الألحان إلى أربعة ألحان أصلية وأربعة ألحان مشتقة، وهذا التصنيف الثماني للألحان كان أساس الموسيقى الكنسية السريانية والبيزنطية، وكذلك أساس الموسيقى الغربية أيضا.

في القرن الثامن ثبت القديس يوحنا الدمشقي التقسيم إلى ثمانية ألحان في الموسيقى الكنسية بتأليفه كتاب الأكتويخس (أي الألحان الثمانية) وهو عبارة عن تراتيل مقسمة حسب الألحان، لكل لحن تراتيله الخاصة، كما ألف تراتيل كنسية كثيرة ووضع ألحانها بمشاركة مجموعة من الرهبان الدمشقيين.

وظهرت في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية الموسيقى الكنسية القبطية، وهي من أقدم الموسيقى الكنسية الموجودة، وقد وصفها عالم الموسيقى الإنجليزي ايرنست نيولاند سمث، بأنها إحدى عجائب العالم السابع.

ويمكن القول بأن تاريخ الألحان القبطية نشأ مع الكنيسة نفسها، فقد بدأ اللحن الكنسي مع القديس مارمرقس الرسول في الإسكندرية التي كانت في ذلك الوقت مركزا مهما للثقافة، وكان القديس مارمرقس نفسه متقفا باللغات العبرية واللاتينية واليونانية، لذلك قام بإنشاء مدرسة اللاهوت التي كانت تدرس فيها الموسيقى والفلسفة والمنطق والطب والهندسة إلى جوار العلوم الدينية، وقد اشتهرت هذه المدرسة جدا في القرن الأول الميلادي.

والألحان الكنسية بشكل عام هي موسيقى تحرك المشاعر وتخطب الروح وتجذب العاطفة والإرادة نحو الله، وتثير الخشوع في النفس البشرية أثناء الصلوات الطقسية في الكنيسة القبطية فيما يسمى (الصلوات الليتورجية)، وتستخدم فيها ألحان موسيقيتان فقط هما الناقوس والتراننتو، أما الكلمات الملحنة أو ما نسميها «الهزات» التي تقال أثناء الصلوات الطقسية فإنها نبرات لحنية، والهدف منها الإحساس بالكلمات والصلوات والدخول إلى أعماق النفس لكي تذوب في الحضرة الإلهية بخشوع وانسحاق.

وتراث الألحان القبطية حفظته الكنيسة على مدى واحد وعشرين قرنا من الزمان، وسلمته جيلا بعد جيل بطريقة التسليم أو التقليد الشفاهي، واستطاعت أن تعبر به عصور الاضطهاد الرهيب

عبر القرون الطويلة، ويعتبر حفاظ الكنيسة المصرية على الألحان القبطية التي تسلمتها من القرون الأولى للمسيحية معجزة حقيقية يشهد بها التاريخ، فقد استطاعت الحفاظ على نغمات تتحرك في الهواء وتنتقل بين المشاعر والأحاسيس لمدة ألفي عام لم يوجد أثناءها أجهزة لتسجيل الأصوات. واللغة التي تقال بها الألحان هي اللغة القبطية وبعض الألحان اليونانية، وهما اللغتان اللتان كانتا في الأصل تستخدمان في القرون الأولى للمسيحية، وعندما دخل الإسلام إلى مصر ترجمت بعض الألحان القصيرة إلى اللغة العربية واستخدمت لسهولة تركيبها، وتحرص الكنائس على تدريس اللغة القبطية وخاصة ما يتعلق بالصلاة الليتورجية(4).

والترانيم جزء مهم من العبادة المسيحية فهي كلمات تسيح للرب، وهناك ترانيم كثيرة في الكتاب المقدس منها السارة والحزينة، ومنها ترانيم النصر والتوبة، لكنها كلها تعبر عن وجود الله ومدى تأثيره في حياتنا.

أول ترنيمة.. كما في الكتاب المقدس كانت عندما عبر موسى وشعبه بانتصار من أرض العبودية في مصر إلى أرض الموعد في كنعان، فيقول الكتاب المقدس في سفر الخروج: حينئذ رنم موسى وبنو إسرائيل هذه التسبيحة للرب وقالوا: أرنم للرب فإنه قد تعظم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر، الرب قوتي ونشيدي، وقد صار خلاصي، هذا إلهي فأمجده، إله أبي فأرفعه(5).

ويحتوي سفر المزامير على سلسلة طويلة من الترانيم، بعضها يعبر عن الفرح والسعادة والشكر والتسبيح والعبادة، وبعضها الآخر يعبر عن الحزن والكآبة والتوبة.

ومن أشهر الترانيم التي يتغنى بها الآن:

### 1- ترنيمة ارحمني يا إلهي كعظيم رحمتك:

ارحمني يا إلهي كعظيم رحمتك

امح لي الآثام ككثرة رأفتك

طهرني من خطاياي عرفني حكمتك

قلبا نقيا يا إلهي اخلقه بداخلي

وروحا مستقيما جدده في أحشائي

لك وحدك أخطأت والشر قد صنعت

في أقوالك نتبرر وتغلب مني حكمت

طهرني يا رب فأظهر إذ بالخطية ولدت

لا تطرحني يا إلهي من أمام وجهك لا تنزعه مني  
وروحك القدوس رد إلي خلاصك  
وبروحك عضدني.

## 2- ترنيمة اشف داء النفس:

اشف داء النفس من ظلم ومن شر عنيد  
اشف داء القلب من فيض الخطايا بل يزيد  
يا إله الرحمة أشفق إنك فادي الخطاة  
استمع صوت الضعيف واستجب تلك الصلاة  
فأرني لئلا من أعطاني الحياة  
تشفي نفسي تشفي روعي أنت يا كل الرجاء  
ربي رحمة وخير يتبعانني في الحياة  
في ظلال حب قلبك يبلغ قلبي مناه  
ربي أنت وحدك تنير نفسي في الظلام  
وسط ليل الحزن تملأ جوفي بحلو الكلام  
فأرني لئلا من أعطاني الحياة  
يهتف قلبي يدرك عقلي أنت لي سر الحياة

## 3- ترنيمة إليك رفعت عيني:

إليك رفعت عيني  
إلهي تحنن علي  
في يوم ضيقي التمسك  
لأنك المجيب وحدك  
واغمرني بملء عطفك.  
أقم حارسا على فمي  
وراقب باب شفتي  
أنقذني من الشفاه الكاذبة  
ومن اللسان الخادع  
واغمرني بملء عطفك

بصوتي إليك أصرخ  
لتخرج من السجن نفسي  
لأنك حارس لها  
إياك دعوت خلصني  
واغمرني بملء عطفك  
أحجب وجهك عن خطاياي  
ولا تحجب وجهك عني  
علمني أن أسير في خطاك  
وروحك لا تنزعه مني  
واغمرني بملء عطفك  
**المرنم ماهر فايز:**

وقد شهدت السنوات الأخيرة تطورا كبيرا في الترانيم والألحان القبطية، وظهرت فرق عديدة تؤدي هذا اللون، لكن الأبرز كان ظهور جيل جديد من المرنمين، الذين يؤدون ترانيم أقرب إلى الغناء الديني باللهجة العامية، وقد حققوا انتشارا كبيرا، منهم المرنم ماهر فايز الذي حقق انتشارا كبيرا بين الشباب، وشارك في حفلات عديدة، منها حفل خاص في دار الأوبرا مع الفنان علي الحجار في أمسية مولد وميلاد التي جرت في شهر يناير 2016، وقد اشتهرت ألحانه وترانيمه بوصف المسيحية الصوفية، وأسس عام 2003 كورال ترانيم مصري مسكوني باسم «الكاروز».

**وهذه مجموعة من أشهر ترانيم ماهر فايز:**

**1- ترنيمة فانت سنة من عمري:**

فانت سنة من عمري يا ربي  
طول السنة وأنا شايفك جنبي  
ماشى معاك باجري وراك وانت في ايدك تحفظ نفسي  
ماشى معاك باجري وراك وانت في ايدك تحفظ نفسي  
سنة مليانة بالحب ياربي  
رقة قلبك أسرت قلبي  
خيرك مالي علي حياتي  
شكرا ليك من قلبي يا ربي

خيرك مالي علي حياتي  
شكرا ليك من قلبي يا ربي  
من كل قلبي بأهتف يا ربي شكرا يا ربي شكرا ليك من كل قلبي  
بأهتف يا ربي شكرا يا ربي شكرا ليك  
سن صغير وفي ناس أكبر لكن أنا قلبي مليون بيك.

## 2- ترنيمة شابب على طرايف:

شابب على طرايف عنواني شايف من هنا منظر تاني  
شارب واحد مر لكني شادد عودي وهات يا أغاني  
والغنا صابب فيا حياة والحياة راسماني معاه  
والصورة في العود ماسكاه وماسكني في يد الله  
ساكن في حشايا ايمان نسخه مخصصة للإنسان  
أشفي بوجعي وأصفي بدمعي وأطرد يآسي وأنا حيران  
وأنصف غيري وأنا مظلوم وأبدر فرحي وأنا مهموم  
وأدفن يومي في قبر النوم وفي الفجر أتشدد بالله  
عارف إني بموتي بأعيش وطول مآنا ساجد مبنحنيش  
وأرفع راسي وهي على كفه وهو إن طرحني ميقتلنيش  
ومعديها بلا اجابات يكفي وجوده ماليني ثبات  
لسه عودي فيه نغمات عشان متكلي هو الله.

## 3- ترنيمة أحوال الدنيا غريبة:

أحوال الدنيا غريبة والناس فيها بتعاني  
تتحسر على يوم فات وتقول لو يرجع تاني  
مع إني باعيش وسطهم حاسس بيهم إنما مش باحزن كده زيهم  
علشان أنا وطني السما علشان علشان علشان أنا وطني السما  
علشان أنا وطني السما مابخفش من الأيام  
حوالي قلق وعنا لكن في القلب سلام  
وكل يوم بيعدي مش بيعجل بنهايتي  
لكن بيقترب لقا بالهي وسر سعادتني.

#### 4- ترنيمه تتعاش بخلوها وبمرها:

تتعاش بخلوها وبمرها

لما انت تبقى لنا تبقي لنا ضلة ف حرها  
تتعاش حر أما ازرع حب وألاقي حصاد الحب عداء  
حر أما أفقد ثقتي في حد أنا محتاج منه وفاء  
حر غياب الكل وقت الموج ما يهل والايام بتذل  
هامسك عودي آه...

وأقولها تتعاش بخلوها وبمرها

لما انت تبقى لنا تبقي لنا ضلة ف حرها...  
تتعاش حر وجود الشر في كل ممر بنسلك فيه  
وكأن الشيطان محطوة الدنيا على كفيه  
لا الشر بينهار ولا عتمة بتتدار وانا واقف محتار  
هامسك عودي وآه...

وأقولها تتعاش بخلوها وبمرها

لما انت تبقى لنا تبقي لنا ضلة ف حرها...  
تتعاش حر صراخ أفواه محتاجة لأبسط الاحتياجات  
والمرض اللي ارتاح ف بدنا وداويناه بالأنات  
والروح المكسورة والنفس المحصورة بين الرئة والنور  
هامسك عودي وآه... وأقولها

#### 5- ترنيمه أنتظرك:

أنتظرك تتجدد في القوة تبان في حياتي  
أنتظرك ارفع جناحاتي كتسر في مرتفعاتي  
أنتظرك أجري وماتعش وراك تثبت خطواتي  
أنتظرك امشي وما اعياش ولا أخاف قدام صعوباتي  
وإن غابت شمسي وجه ليلي شمسك جوه في قلبي دليلي  
ساهر صابر ليك مستني وكلي امل تشرق وتجيني  
منتظرك ولانك جوه في مركبي أنا في أمان

منتظرك والوعد اهو صالب طولي مع الإيمان  
منتظرك واصبر ع المر يمر مهما ان كان  
منتظرك وأصرخ لك اسند عبدك أنا إنسان.

#### 6- ترنيمه باركتك شفاهنا:

باركتك شفاهنا يا إلهنا والقلوب الساجدة  
عالمراحم والأمانة والمحبة الغامرة  
متشكرين على كل شيء مطمئنين لك في الطريق  
حمد وعيد شعب جدل من زهر الشكر تيجان  
رافعاها إيد شاهدة مع القلب الفايض عرفان  
متشكرين على كل شيء مطمئنين لك في الطريق  
ننسى ازاي إن اللي قلنا عليه:  
شر كبير شفنا ازاي إتحول لنا بعنايتك للخير  
متشكرين على كل شيء مطمئنين لك في الطريق  
حتى الجراح شقت في قلوبنا للنور فتحات  
وقت أما لاح الصبح وبدل النواح رقصات  
متشكرين على كل شيء مطمئنين لك في الطريق  
وف كل يوم بيوعي بنعد الإحسان ونقول:  
حبك عظيم وبرحمتك تحملنا جيل ورا جيل  
متشكرين على كل شيء مطمئنين لك في الطريق  
هللوا صحوا الرباب والعود وباقي الآلات  
وبالفرح يا شعب الإله علوه بأحلى الكلمات  
مبارك من الأزل وإلى الأبد يا الله  
ولاسمك تنغم وتسبح الأفواه  
متشكرين على كل شيء مطمئنين لك في الطريق  
المجد للـ«آب والابن و الروح القدس» الآن و كل أوان  
وإلى دهر الداهرين نسجد أمين هللوا  
ومهللين بمجد الإله

باركتك شفاهنا يا إلهنا والقلوب الساجدة  
عالمراحم و الأمانة و المحبة الغامرة.

#### 7- ترنيمة ما أعرفش ليه:

ما اعرفش ليه وانا بين إيديك بتجيني رغبة في البكاء  
وكأني أرض وفيها مية عطشى لمياه السماء  
ما اعرفش ليه نورك في عيني يشجيني يتحول لماء  
وأنا بأغمض عيني - عفوا - ده إحتضاني للبهاء  
في روعي تنفتح عيون تعالين المجد ف سكون ملامح الوجه الحنون تحولني شمعة بكاء  
... ما اعرفش ليه!!؟

ما اعرفش ليه تيجي في ضباب الدمع وتزور في الخفاء  
القلب ده المغسول وفيه تصنع آبار الارتواء  
تفيض مياه ع الوجنتين على الشفتين تطرح شفاء  
على الصدر تجرح قلبي أدوب والروح بيعصرني عزاء  
وكان الدمع دم الكيان ماء  
الألوهة في إنسان نطق الكلام بدون لسان لما نطق فيه البكاء  
ما اعرفش ليه!!؟

#### 8- ترنيمة أنا ماقدرش اتحمل:

أنا مقدرش اتحمل حياة وانا مش في رضاك  
دي الدنيا وما فيها لا تساوي لحظة معاك  
ويادوب اتوب وروحي تحن إليك  
أطيب في طيب واتحرك نواحيه  
والفرحة تخليني ادوب واتجمع ثاني فيك  
أنا مقدرش اكمل من غير وعد وايد  
تسندني اعبر بيها وتجبني وانا بعيد  
ويادوب اتوب وروحي تحن إليك  
أطيب في طيب واتحرك نواحيه  
والفرحة تخليني ادوب واتجمع ثاني ليك

أنا مقدرش اطول في الغربية وانا في دار  
أتغرب وانا فيها عن وجه الأنوار  
ويا دوب اتوب وروحي تحن اليك  
أطيب في طيب واتحرك نواحيه  
والفرحة تخليني ادوب واتجمع ثاني ليك  
أنا مقدرش احول عيني عن طرف إيديك  
أنا عبدك خدامك و اقبل قدميك  
ويادوب اتوب وروحي تحن اليك  
أطيب في طيب واتحرك نواحيه  
والفرحة تخليني ادوب واتجمع ثاني ليك  
أنا مقدرش أغفل في رحلة ظهر معاك  
عيني بمجدك فيها بفتحها على ضياك  
ويادوب اتوب وروحي تحن اليك  
أطيب في طيب واتحرك نواحيه  
والفرحة تخليني ادوب واتجمع ثاني ليك.

## الإشاد في عهد الرسول ﷺ

رغم اتفاق معظم المصادر، التي تناولت بالبحث موضوع الإشاد الديني، على أن نشيد «طلع البدر علينا» يعد أول إنشاد في الإسلام، فإننا لا نؤمن بهذا الطرح رغم شيوعه؛ لأن هناك خلافا بين العلماء على صحة هذه الواقعة في السيرة النبوية العطرة.

ففي دراسة لحديث (طلع البدر علينا) دراسة حديثة للخبر والنشيد

أعدّها الدكتور أنيس بن أحمد بن طاهر الأندونيسي عضو هيئة التدريس بكلية الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، أوضح أن رواية (طلع البدر علينا) رواية ضعيفة لأن السند الوحيد لها هو عبد الله بن محمد بن عائشة المتوفى عام 822 هجرية، فلم يكن من الصحابة أو التابعين، كما يقول المحقق ابن القيم في «الزاد» (3/13): «إن منطقة «ثنيات الوداع» إنما هي ناحية الشام لا يراها القادم من مكة إلى المدينة ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام».

وإذا كان هذا الحديث غير صحيح من ناحية السند، فإن هناك ملاحظات أيضا على المتن، ذكرها محمد محمد حسن شراب في كتابه (المعالم الأثرية)، وخالصة ما ذكره ما يلي:

1- في النشيد رقة وليونة لا تتاسب أساليب القول في الزمن المنسوب النشيد إليه، وربما يكون من أشعار القرن الثالث الهجري.

2- جاء النشيد على وزن بحر الرمل، وكان يغلب على الأناشيد المرتجلة وقتئذ بحر الرجز.

3- كيف يقول النشيد (جئت شرفت المدينة)، وهي سميت المدينة بعد مقدم رسول الله إليها، واسمها الذي كان معروفًا وقتئذ هو (يثرب)؟

وأبرز من حقق قصة هذا النشيد محمد الصادق عرجون (1321هـ - 1400هـ) في كتابه القيم (محمد رسول الله) حيث يقول: وهذا النشيد لم نعثر على اسم قائله، ولا وجدناه منسوبًا لشاعر صغير أو كبير، بيد أنه شعر مشهور مذاع على الألسنة وفي بطون الكتب والدواوين.

ومن غريب أمره أن سيرة ابن إسحاق التي بين أيدي الناس - باختصار وتهذيب عبد الملك بن هشام - وهي العمدة في أحداث السيرة النبوية، وما يتصل بها من أشعار صحيحة أو منحولة مما بينه الباحثون، وفي طليعتهم ابن هشام، لم تورد هذه الأبيات، لا في استقبال النبي ﷺ في الهجرة، ولا في استقباله وهو آيب من غزوة تبوك.

وهناك إجماع على أن أقرب الروايات لوصف استقبال الأنصار رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ هو الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قدمنا المدينة ليلاً، ففتازعوا أيهم ينزل عليه رسول الله ﷺ فقال: «انزل على بني النجار، أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك»، فصعد الرجال والنساء فوق البيوت، وتفرق الغلمان والخدم في الطريق ينادون: يا محمد يا رسول الله، يا محمد يا رسول الله.

### شعر المديح

وبعيداً عن الخلاف حول نشيد «طلع البدر علينا»، يمكن القول بأن نشأة الإنشاد الديني في عصر الرسول ﷺ كانت من خلال شعر المديح الذي يعد أحد ألوان الإنشاد، وكان فارس هذا الشعر حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ.

وحسان بن ثابت الأنصاري شاعر عربي وصحابي من الأنصار، ينتمي إلى قبيلة الخزرج من أهل المدينة، كما كان شاعراً معتبراً يفد على ملوك آل غسان في الشام قبل إسلامه، وعندما بلغ الستين من عمره، وسمع بالإسلام، دخل فيه، وراح من فوره يرد هجمات القرشيين اللسانية، ويدافع عن الرسول والإسلام، ويهجو خصومهما.

وروي أن رسول الله لما هجاه عبدالله بن الزبيري، وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، وعمرو بن العاص، وضرار بن الخطاب قال: ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله ﷺ،

بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان: أنا لها. وأخذ بطرف لسانه، وقال: والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء، قال رسول الله ﷺ: كيف تهجوهم وأنا منهم؟ وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي؟ فقال: والله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين، فقال له: انت أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك، فكان يمضي إلى أبي بكر ليقفه على أنسابهم.

ولم يكن حسان بن ثابت وحده هو الذي يرد غائلة المشركين من الشعراء؛ بل كان يقف إلى جانبه عدد كبير من الشعراء الذين صح إسلامهم، وكان النبي يثني على شعر حسان، وكان يحثه على ذلك ويدعو له بمنى: «اللهم أيده بروح القدس»، وعطف عليه وقربه منه، وقسم له من الغنائم والعطايا ووهبه جارية اسمها سيرين، وهي أخت مارية القبطية والدة إبراهيم ابن الرسول ﷺ، وقد ولدت سيرين لحسان ابنه عبد الرحمن، وتوفي عام 54هـ/ 674م بعد أن عمر أكثر من مائة سنة.

ولحسان بن ثابت ديوان شعر، يتضمن قصائد عديدة في مدح الرسول ﷺ وفي رثائه. كما أن شعره كان تسجيلًا حيا لحياة الرسول ﷺ وغزواته، وكانت أشعاره خير تفسير وتوضيح لما غمض من سيرة النبي ﷺ، وقد اتخذ مدحه للرسول صفة الفخر بالمسلمين جميعا وخاصة الأتصار، والرد على المشركين ومهاجاتهم.

لقد كان شعر حسان في الرسول ﷺ يمتاز بالصدق والإخلاص؛ فعندما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن وصف رسول الله ﷺ قالت: كان والله كما قال فيه شاعره حسان بن ثابت:

متى بيد في الداجي البهيم جبينه  
يلح مثل مصباح الدجى المتوقد  
فمن كان أو من قد يكون كأحمد  
نظام لحق أو نكال لملحد

كما ذكر في أحد مدائحه بيتين أصبحا مجال إحياء، ومصدر إلهام للشعراء المحبين للذات المحمدية:

وأحسن منك لم تر قط عيني  
وأجمل منك لم تلد النساء  
خلقت مبرأ من كل عيب  
كأنك قد خلقت كما تشاء

وبعد وفاة النبي ﷺ رثاه حسان بعدة قصائد تعبر عن صدق مشاعره، وخالص محبته له، ومنها قصيدة تكلم فيها عن المنبر والمصلى والمسجد والوحي، وذكر فيها بكاء الأرض والسماء، وعرض فيها بعض أفعاله ﷺ، وعبر فيها عن شوقه إلى لقاء الرسول ﷺ في الدار الآخرة، وبين ما نعم به المسلمون من هداية ورشاد، وهي قصيدة طويلة منها الأبيات الآتية(6):

بطيبة رسم للرسول ومعهد

منير وقد تعفو الرسوم وتهمد

ولا تتمحي الآيات من دار حرمة

بها منبر الهادي الذي كان يصعد

عرفت بها رسم الرسول وعهده

وقبرا به واره في الترب ملحد

ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت

عيون ومثلاها من الجفن تسعد

تذكر آلاء الرسول - وما أرى

لها محصيا- نفسي فنفسي تبدل

مفجعة قد شفاها فقد أحمد

فظلت لآلاء الرسول تعدد

أطالت وقوفا تذرف العين جهدها

على ظلل القبر الذي فيه أحمد

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت

بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد

وبورك لحد منك ضمن طيبا

عليه بناء من صفيح منضد

تهيل عليه التراب أيد وأعين

عليه وقد غارت بذلك أسعد

لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة

عشية علوه الثرى لا يوسد

وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم

وقد وهنت منهم ظهور وأعضد  
يبكون من تبكي السماوات يومه  
ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد  
وهل عدلت يوما رزية هالك  
رزية يوم مات فيه محمد  
يدل على الرحمن من يقتدي به  
وينقذ من هول الخزايا ويرشد  
إمام لهم يهديهم الحق جاهدا  
معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا  
عفو عن الزلات يقبل عذرهم  
وإن يحسنوا فالله بالخير أجود  
عزيز عليه أن يحيدوا عن الهدى  
حريص على أن يستقيموا ويهتدوا  
عطوف عليهم لا يثني جناحه  
إلى كنف يحنو عليهم ويمهد  
فبيننا هم في ذلك النور إذ غدا  
إلى نورهم سهم من الموت مقصد  
فأصبح محمودا إلى الله راجعا  
بيكيه جفن المرسلات ويحمد  
فبكي رسول الله يا عين عبرة  
ولا أعرفنك الدهر دمك يجمد  
وما لك لا تبكين ذا النعمة التي  
على الناس منها سابغ يتغمد؟  
وما فقد الماضون مثل محمد  
ولا مثله حتى القيامة يفقد  
أعف وأوفى ذمة بعد ذمة  
وأقرب منه نائلا لا ينكد

وأبذل منه للطريق وتالد  
ذا صن معطاء بما كان يتلد  
وأكرم حيا في البيوت إذا انتمى  
وأكرم جدا أبطحيا يسود  
رباه وليدا فاستتم تمامه  
على أكرم الخيرات رب ممجد  
أقول ولا يلقى لقولي عائب  
من الناس إلا عازب العقل مبعد  
وليس هوائي نازعا عن ثنائه  
لعلي به في جنة الخلد أخلد  
مع المصطفى أرجو بذاك جواره  
وفي نيل ذلك اليوم أسعى وأجهد

وهذه نماذج من شعر حسان بن ثابت في مدح النبي ﷺ، ومهاجمة خصوم الإسلام:

### أبا لهب

أبا لهب! أبلغ بأن محمدا  
سيعلو بما أدى، وإن كنت راغما  
وإن كنت قد كذبتة وخذلتة  
وحيدا، وطاوعت الهجين الضراغما  
ولو كنت حرا في أرومة هاشم  
وفي سرها منهم منعت المظالما  
ولكن لحيانا أبوك وورثته  
ومأوى الخنا منهم، فدع عنك هاشما  
سمت هاشم للمكرمات وللعلى  
وغودرت في كآب من اللؤم جاثما

### هل المجد إلا السودد؟

هل المجد إلا السودد العود والندى  
وجاه الملوك، واحتمال العظام

نصرنا وأوينا النبي محمدا  
على أنف راض من معد وراغم  
بحي حريد أصله، وذماره  
بجابية الجولان، وسط الأعاجم  
نصرناه لما حل وسط رحالنا  
بأسيافنا من كل باغ وظالم  
جعلنا بنينا دونه، وبناتنا  
وطبنا له نفسا بفيء المغانم  
ونحن ضربنا الناس، حتى تتابعوا  
على دينه، بالمرهفات الصوارم  
ونحن ولدنا من قریش عظیمها  
ولدنا نبي الخیر من آل هاشم  
لنا الملك في الإشرک، والسبق في  
الهدى ونصر النبي، وابتناء المكارم  
بني دارم لا تفخروا، إن فخرکم  
يعود وبالالا عند ذکر المكارم  
هبلتم! علينا تفخرون، وأنتم  
لنا خول من بين ظئر وخادم  
فإن كنتم جنتم لحقن دمائکم  
وأموالکم أن تقسموا في المقاسم  
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا  
ولا تلبسوا زيا كزي الأعاجم  
وأفضل ما نلتم من المجد والعلی  
رادفتنا، عند احتضار المواسم

الله أكرمنا

الله أكرمنا بنصر نبيه

بونا أقام دعائم الإسلام

وبنا أعز نبيه وكتابه  
وأعزنا بالضرب والإقدام  
في كل معترك تطير سيوفنا  
فيه الجماجم عن فراخ الهام  
ينتابنا جبريل في أبياتنا  
بفرائض الإسلام، والأحكام  
يتلو علينا النور فيها محكما  
قسما لعمر ك ليس كالأقسام  
فنكون أول مستحل حلاله  
ومحرم لله كل حرام  
نحن الخيار من البرية كلها  
ونظامها، وزمام كل زمام  
الخائضو غمرات كل منية  
والضامنون حوادث الأيام  
والمبرمون قوى الأمور بعزمهم  
والناقضون مرائر الأقوام  
سائل أبا كرب، وسائل تبعنا  
عنا، وأهل العتر والأزلام  
واسأل ذوي الألباب عن سرواتهم  
يوم العهين، فحاجر، فروام  
إنا لنمنع من أردنا منعه  
ونجود بالمعروف للمعتام  
وترد عافية الخميس سيوفنا  
ونقين رأس الأصيد القمقام  
ما زال وقع سيوفنا ورماحنا  
في كل يوم تجالد وترام  
حتى تركنا الأرض حزنها

منظومة من خيلنا بنظام  
ونجا أراهط أبعطوا، ولو انهم  
ثبتوا، لما رجعوا إذا بسلام  
فلئن فخرت بهم لمثل قديمهم  
فخر اللبيب به على الأقسام

### ألم تسأل الربع؟

ألم تسأل الربع الجديد التكلما  
بمدفع أشداخ، فبرقة أظلما  
أبى رسم دار الحي أن يتكلما  
وهل ينطق المعروف من كان أبكما؟  
بقاع نقيع الجزع من بطن يلبن  
تحمل منه أهله، فنتهما  
ديار لشعثناء الفؤاد وتربها  
ليالي تحنل المراض، فتغلما  
وإذ هي حوراء المدامع ترتعي  
بمندفع الوادي أراكا منظما  
أقامت به بالصيف، حتى بدا لها  
نشاط، إذا هبت له الريح أرزما  
وقد أل من أعضاده، ودنا له  
من الأرض دان جوزة، فتحمحا  
تحن مطافيل الرباع خلاله  
إذا استن، في حافاته البرق، أثجما  
وكاد بأكناف العقيق وثيده  
يحط، من الجماء، ركنا ململما  
فلما علا تربان، وانهل ودقه  
تداعى، وألقى بركه وتهزما  
وأصبح منه كل مدفع تلعة

يكب العضاه سيله، ما تصرما  
تتادوا بليل، فاستقلت حملهم  
وعالين أنماط الدرقل المرقما  
عسجن بأعناق الظباء، وأبرزت  
حواشي برود القطر وشيا منمنما  
فأنى تلاقبها، إذا حل أهلها  
بواد يمان، من غفار وأسلما  
تلاق بعيد، واختلاف من النوى  
تلاقيكها، حتى توفي موسما  
سأهدي لها في كل عام قصيدة  
وأفعد مكفيا بيثرب مكرما  
ألست بنعم الجار يولف بيته  
لذي العرف ذا مال كثير ومعدما؟  
وندمان صدق تمطر الحير كفه  
إذا راح فياض العشيات خضرما  
وصلت به ركني، ووافق شيمتي  
ولم أك عضا في الندامى ملوما  
وأبقى لنا مر الحروب، ورزوها  
سيوفا، وأدراعا، وجمعا عرمرما  
إذا اغبر آفاق السماء، وأمحلت  
كأن عليها ثوب عصب مسهما  
حسبت قدور الصاد، حول بيوتنا  
قنابل دهما، في المحلة، صيما  
يظل لديها الواغلون كأنما  
يوافون بحرا، من سميحة، مفعما  
لنا حاضر فعم، وباد كأنه  
شماريخ رضوى عزة، وتكرما

متى ما تزنا من معد بعصبة  
وغسان، نمنع حوضنا أن يهدما  
بكل فتى عاري الأشاجع، لاحه  
قراع الكماة، يرشح المسك والدماء  
إذا استدبرتنا الشمس درت متوننا  
كأن عروق الجوف ينضحن عندما  
ولدنا بني العنقاء وابني محرق  
فأكرم بنا خالا وأكرم بنا عما  
نسود ذا المال القليل، إذا بدت  
مروعه فينا، وإن كان معدما  
وإننا لنقري الضيف، إن جاء طارقا  
من الشحم، ما أمسى صحيحا مسلما  
ألسنا نرد الكبش عن طية الهوى  
ونقلب مران الوشيح محطما؟  
وكائن ترى من سيد ذي مهانة  
أبوه أبونا، وابن أخت ومحرما  
لنا الجففات الغر يلمعن بالضحي  
وأسياقنا يقطرن من نجدة دما  
أبى فعلنا المعروف أن ننطق الخنا  
وقائلنا بالعرف إلا تكلمنا  
أبى جاهنا عند الملوك ودفعا  
وملء جفان الشيز، حتى تهزما  
فكل معد قد جزينا بصنعه  
فبؤسى ببؤساها، وبالنعم أنعما

ومن أشهر القصائد التي دافع بها حسان بن ثابت - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قصيدته:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم  
قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته  
تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا  
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم  
أو حاولوا النفع في أشياءهم نفعوا  
سجية تلك فيهم غير محدثة  
إن الخلائق - فاعلم - شرها البدع  
شعراء الرسول:

كان حسان بن ثابت واحدا من ثلاثة شعراء اختارهم الرسول ﷺ ليردوا عنه الأذى بقصائدهم،  
وهم: كعب بن مالك، وحسان بن ثابت، وعبد الله ابن رواحة، فكان كعب يخوفهم بالحرب،  
ويهجوهم بالأنساب، وعبد الله يعيرهم بالكفر.  
والصحابي الجليل كعب بن مالك - رضي الله عنه - صاحب التوبة الصادقة، وكان كعب قد أسلم  
حين سمع بالإسلام، فأتى مكة، وبايع  
النبي ﷺ في بيعة العقبة الثانية، فلما هاجر الرسول وأصحابه آخى بينه وبين طلحة بن عبيد الله.

### شعر كعب بن مالك في غزوة الطائف

حين فرغ رسول الله ﷺ من حنين وسار إلى الطائف؛ قال كعب بن مالك:  
قضينا من تهامة كل ريب  
وخبير ثم أجمنا السيوفا  
نخيرها ولو نطقت لقات  
قواطعهن : دوسا أو ثقيفا  
فلست لحاضن إن لم تروها  
بساحة داركم منا ألوفا  
وننتزع العروش ببطن وج  
وتصبح دوركم منكم خلوفا  
ويأتيكم لنا سرعان خيل  
يغادر خلفه جمعا كثيفا  
إذا نزلوا بساحتكم سمعتم  
لها مما أناخ بها رجيفا

بأيديهم قواضب مرهفات  
يزرن المصطلين بها الحتوفا  
كأمثال العقائق أخلصتها  
قيون الهند لم تضرب كتيفا  
تخال جدية الأبطال فيهم  
غداة الزحف جاديا مدوفا  
أجدهم أليس لهم نصيح  
من الأقوام كان بنا عريفا؟  
يخبرهم بأننا قد جمعنا  
عناق الخيل والنجب الطروفا  
وأنا قد أتيناهم بزحف  
يحيط بسور حصنهم صفوفا  
رئيسهم النبي وكان صلبا  
نقي القلب مصطبرا عزوفا  
رشيد الأمر ذو حكم وعلم  
وحلم لم يكن نزقا خفيفا  
نطيع نبينا ونطيع ربا  
هو الرحمن كان بنا رعوفا  
فإن تلقوا إلينا السلم نقبل  
ونجعلكم لنا عضدا وريفا  
وإن تأبوا نجاهدكم ونصبر  
ولا يك أمرنا رعشا ضعيفا  
نجالد ما بقينا أو تتيبوا  
إلى الإسلام إذعانا مضييفا  
نجاهد لا نبالي من لقينا  
أأهلكنا التلاد أم الطريفا  
وكم من معشر ألبوا علينا

صميم الجذم منهم والحليفا  
أتونا لا يرون لهم كفاء  
فجدعنا المسامع والأنؤفا  
بكل مهند لين صقيل  
يسوقهم بها سوقا عنيفا  
لأمر الله والإسلام حتى  
يقوم الدين معتدلا حنيفا  
وتنسى اللات والعزى وود  
ونسلبها القلائد والشنؤفا  
فأمسوا قد أقرؤا واطمأنؤا  
ومن لا يمتنع يقبل خشؤفا  
من أشعار عبد الله بن رؤاحة:

جلس النبي يوما مع أصحابه، وأقبل عبد الله بن رؤاحة، فسأله النبي: كيف تقول الشعر إذا أردت أن تقول؟ فأجاب عبد الله: أنظر في ذلك ثم أقول.. ومضى على البديهة ينشد:

يا هاشم الخير إن الله فضلكم  
على البرية فضلا ما له غير  
إني تفرست فيك الخير أعرفه  
فراصة خالفتهم في الذي نظروا  
ولو سألت أو استتصرت بعضهمو  
في حل أمرك ما ردوا ولا نصروا  
فثبت الله ما آتاك من حسن  
تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

فسر الرسول ورضي وقال له: «وياك، فثبت الله» وحين كان الرسول يطوف بالببيت في عمرة القضاء كان ابن رؤاحة بين يديه ينشد:

يا رب لولا أنت ما اهتدينا  
ولا تصدقنا ولا صلينا  
فأنزلن سكينه علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا  
ومن أشعاره أيضا:  
علمت بأن دين الله حق  
وأن النار مثوى الكافرينا  
وأن العرش فوق الماء ثاو  
وفوق العرش رب العالمينا  
ويحمله ملائكة شداد  
ملائكة الإله مسومينا  
من شعر كعب بن زهير:

وكذلك كثير من الشعراء على رأسهم كعب بن زهير بن أبي سلمى، صاحب البردة الأصلية التي نهجها بعده البوصيري وأحمد شوقي مع تغيير في القافية؛ حيث كان النبي ﷺ، قد أهدر دم كعب، فحاول أن يستجد ببعض أصحابه ليشفوا له عند النبي ﷺ – فأبوا، فذهب إلى النبي ﷺ – ودخل عليه المسجد وأنشد بين يديه القصيدة الأشهر في التاريخ الإسلامي:

بانئت سعاد فقلبي اليوم متبول  
متيم إثرها لم يفد مكبول  
إلى أن قال:

وقال كل خليل كنت آمله  
لا ألهينك إني عنك مشغول  
فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم  
فكل ما قدر الرحمن مفعول  
نبئت أن رسول الله أو عدني  
والعفو عند رسول الله مأمول  
إن الرسول لنور يستضاء به  
مهند من سيوف الله مسلول

فعفا عنه النبي ﷺ وخلص برده – عباءته – وألبسه إياها.

## الإنشاد الديني بعد عهد النبوة

بعد عصر النبي ﷺ تطور فن المديح والإنشاد الديني حتى أصبح في عهد الأمويين فنا له أصوله، وضوابطه، وقوالبه، وإيقاعاته. واشتهر أيام الدولة الأموية الكثير من المنشدين، وكان من أكثر المشتغلين بفن الإنشاد الديني وتلحين القصائد الدينية إبراهيم بن المهدي وأخته عليّة، وأبو عيسى صالح، وعبد الله بن موسى الهادي، والمعتز وابنه عبد الله، وعبد الله بن محمد الأمين، وأبو عيسى بن المتوكل، وعبد الملك بن مروان، وغيرهم. كان

عبد الملك بن مروان في دمشق يشجع الموسيقيين ورجال الفن. وكذلك كان الخليفة الواثق الذي كان يغني له إسحاق وإبراهيم الموصلي، وهما من أشهر الموسيقيين في العصر الأموي وعبد الرحمن بن الحكم الذي ذاع في عهده صيت الفتى «زرياب» وهو تلميذ إسحاق الموصلي، وغيرهم كثيرون ممن اشتهروا بغناء وتلحين القصائد الدينية والأناشيد، واشتهر المنشدون بشكل مميز في حلب على وجه الخصوص (Z).

وظهر في هذه الفترة من عرفوا بشعراء الزهد وذلك بسبب تأثير الدعوة الإسلامية، وما شجعت عليه من الأخلاق الحميدة، والإقبال على العمل الصالح، والزهد في الدنيا، وتعتبر حركة شعر الزهد ردا على شعر المجون واللهو والخلاعة.

وعمد شعراء الزهد إلى الابتعاد عن الدنيا وتجنب مخالطة الناس خوفا من الفتنة، إلا أن اللافت للنظر أن الكثير منهم اتجه إلى الوعظ وتذكير الناس بتعاليم الإسلام، وأشهرهم الحسن البصري.

#### ومن قصائد الحسن البصري التي لا تزال تغنى حتى الآن:

توشك العين تغيض و البحيرات تجف  
بعضنا يصطاد بعضا و الشباك تختلف  
ذا يجيء الأمر رأسا ذا يدور أو يلف  
والصغير قد يعف و الكبير لا يعف  
والإمام قد يسف والصغير لا يسف  
والثياب قد تصون و الثياب قد تشف  
والبغي قد تداري سمها و تلتحف  
والشتات لا يزال.. يأتلف و يختلف  
والخطيب لا يزال.. بالعقول يستخف  
والقلوب لا تزال.. للشمال تنحرف  
والصغير بات يدري.. كيف تؤكل الكتف

لا تخادع يا صديقي بالحقيقة اعترف

### الفاطميون والاحتفالات:

شهد فن الإنشاد الديني في مصر تطورا ضخما في عهد الفاطميين، بسبب اهتمام الدولة بالاحتفالات الدينية والدينيوية المختلفة، فهم أول من أقاموا الاحتفال برأس السنة الهجرية، وليلة المولد النبوي الشريف، وليلة أول رجب، وليلة الإسراء والمعراج، وليلة أول شعبان ونصفه، وغرة رمضان، ويوم الفطر، ويوم النحر. وهم الذين قاموا بالاحتفال بمولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومولد ولديه الحسن والحسين والسيدة زينب، ويوم النيروز (شم النسيم) ويوم الغطاس وخميس العهد، مشاركة للنصارى في شعورهم الديني، وكانت الأناشيد الدينية عصب هذه الاحتفالات؛ مما دفع المنشدين إلى تطويرها بشكل غير مسبوق.

وكان الشاعر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي أبرز شعراء هذه الفترة، ولديه قصيدة شهيرة في مدح علي بن أبي طالب، من أبرز أبياتها:

جارك الغيث من محلة دار  
وثوى فيك كل غاد وسار  
حكمت بعد قاطنيك الليالي  
في مغاني رباك بالإقفار  
ورمتك الخطوب منهم بيبين  
ورحيل القطين موت الديار  
يا طول اللوى غدوت رسوما  
دارسات الأعلام والأحجار  
ليس عباسكم كمثلي علي  
هل تقاس النجوم بالأقمار؟  
من له الفضل والتقدم في الإسـد  
لام والناس شيعة الكفار  
من له الصهر والمواساة والنصد  
رة والحرب ترتمي بالشرار  
من دعاه النبي خدنا وسما  
ه أخا في الخفاء والإظهار

من له قال أنت مني كهارو  
ن وموسى أكرم به من نجار  
ثم يوم الغدير ما قد علمتم  
خصه دون سائر الحضار  
من له قال: لا فتى كعلي لا  
ولا منصل سوى ذي الفقار  
وبمن بأهل النبي أنتم  
جهلاء بواضح الأخبار  
من توطى الفراش يخلف فيه  
أحمدا وهو نحو يثرب سار  
نحن أهل الكساء سادسنا الروح  
أمين المهيمن الجبار  
نحن أهل التقى وأهل المواساة  
من بني بيت أحمد الأبرار  
أجعلتم سقي الحجيج كمن  
آمن بالله مؤمنا لا يداري  
واسألوا يوم خيبر واسألوا مـ  
كفة عن كره على الفجار  
واسألوا يوم بدر من فارس الإسـ  
لام فيه وطالب الأوتار  
اسألوا كل غزوة لرسول الـ  
له عن أغار كل مغار  
يا بني هاشم أليس علي  
كاشف الكرب والرزايا الكبار؟  
الصبغة الدينية:

لكن لابد من ملاحظة أن الهدف من الاهتمام الكبير بالاحتفالات والغناء والإنشاد كان نشر المذهب الشيعي بين العامة، وهو ما أوضحته مصادر عديدة، منها رسالة ماجستير بعنوان

«الاحتفالات في مصر في العصر الفاطمي» مقدمة من مروة محمود رزق بكلية دار العلوم جامعة المنيا عام 2005 تحت إشراف الدكتور نصاري فهمي غزالي الأستاذ بقسم التاريخ بالكلية، توصلت إلى عدد من النتائج، أوجزتها فيما يأتي:

أولاً: ألبست الدولة الفاطمية كيانها ثوبا دينيا فوضعت برنامجا اجتماعيا شاملا ودقيقا؛ لذا نجحت في حكم مصر أكثر من مائتي سنة، وكانت الاحتفالات وسيلة مهمة لنشر برنامجها الديني.

ثانياً: أسهمت الاحتفالات، ولو بطريق غير مباشر في سيادة الفكر الغيبي عند بعض المصريين على حساب الفكر العقلاني الذي ينكر الخرافات.

ثالثاً: ثبت من خلال دراسة الاحتفالات الفاطمية في مصر أنها كانت عبارة عن أقتعة تخفي وراءها الوصول إلى غايات منشودة، وأهداف مقصودة، ومصالح مبتغاة، وثروات مشتهاة.

رابعاً: كانت الاحتفالات الفاطمية بمثابة اغتيال لعقول البسطاء من المجتمع المصري، وإهائهم عن النقد والمعارضة والتمرد؛ لذا انقسم المصريون إلى فريقين: الأول يتمثل في علماء أهل السنة، وكان هذا الفريق رافضا كل مظاهر التسلط السلطوي، والأبهة الحاكمة التي تمثلت في الخلفاء الفاطميين، أما الفريق الثاني فيتمثل في العامة الذين كانوا مؤيدين للاحتفالات، لذا عمل الفاطميون على كسب ودهم عن طريق إغرائهم بالهدايا والعطايا في هذه الاحتفالات ليقوموا بدورهم في التبشير بالمذهب الشيعي.

خامساً: كانت الاحتفالات الفاطمية النواة الأولى لمعظم الاحتفالات الإسلامية الدخيلة على المجتمع المصري، التي ظل تأثيرها باقيا حتى عصرنا الحالي.

سادساً: كان الخلفاء الفاطميون يحرصون على إقامة احتفال عظيم حين توليهم الخلافة إظهارا لقداسة وضعهم الديني، وأهمية مركزهم الاجتماعي، على اعتبار أن الخليفة في اعتقادهم كان قبسا من روح الله، وتجسيدا للذات الإلهية العليا؛ لذا كان الخلفاء الفاطميون يعتمدون على عنصر الإبهار والتشويق، فنجدهم يختفون دائما خلف ستار أو شباك.

سابعاً: عمل الفاطميون على تسييس الاحتفالات، وصبغها بالصبغة الدينية الشيعية حتى تكون صمام أمان ضد الاتجاهات السنية.

ثامناً: كان الخلفاء الفاطميون يصرون على وجود عدد كبير من أفراد الحرس الخاص، في كل مواكبهم سواء أكانت مواكب عظيمة، أم مواكب مختصرة، وكان هذا من باب المفاخرة، وإظهار القوة حتى لا يفكر أحد في الخروج عليهم.

تاسعا: كانت الاحتفالات الفاطمية الفخمة بمثابة العدوى التي سرت في الشعب المصري، ورجال القصر الذين قلدوا خلفاءهم في إقامة الاحتفالات في كل مناسبة.

عاشرا: كان للاحتفالات دور جمالي كبير، فقد دفعت أفراد الشعب المصري إلى ارتداء الملابس الجميلة أيام الاحتفالات، وتزيين الأسواق والشوارع والبيوت، هذا بالنسبة للجمال المادي، أما الجمال المعنوي فتمثل في المشاعر الجميلة، وروح السعادة التي كانت تملأ قلوب المحتفلين.

حادي عشر: أسهمت الاحتفالات في خلق نوع من الاستقرار الداخلي بين عناصر المجتمع من مسلمين وذميين، عن طريق الاحتكاك المباشر من خلال مشاركة كل منهما الآخر في أعياده، مما قلل من الفتن والخلافات التي كانت تحدث بينهما.

ثاني عشر: اتضح من خلال دراسة الاحتفالات في مصر أن الفاطميين كانوا أكثر تسامحا من غيرهم بالنسبة لأهل الذمة بوجه عام.

ثالث عشر: لعبت الاحتفالات الفاطمية دورا مهما في إثراء الحياة الأدبية في ذلك العصر، فقد كانت هذه الاحتفالات حقا خصبا لشعراء وأدباء تلك الفترة، حيث وجدوا فيها كثيرا من الصور التي يجسدونها في قصائدهم.

رابع عشر: عبرت الاحتفالات عن البنية الاجتماعية للمجتمع المصري.

خامس عشر: أسهمت الاحتفالات الفاطمية في مصر بطريق غير مباشر في خلق طبقة كبيرة من الحرفيين والصناع؛ مما حد من نسبة البطالة في مصر، خاصة في العصر الفاطمي الأول، إلا أنها انكسرت نتيجة الأزمات الاقتصادية التي حلت بمصر في العصر الفاطمي الثاني بسبب قلة الموارد المالية وندرتها.

سادس عشر: أسهمت الاحتفالات في تخفيف عبء الحياة الاجتماعية والاقتصادية، بما كان يقدم فيها من مأكّل وملبس وهدايا وعطايا.

سابع عشر: تبين من خلال الدراسة أن الفاطميين كانوا يعانون من ازدواجية الشخصية، والدليل على ذلك أنهم كانوا يحرصون في احتفالاتهم على إظهار الجانب الديني المتمثل في قراءة القرآن، والمدائح النبوية، وغيرهما من المظاهر الدينية، وفي الوقت نفسه يحرصون على وجود الطبل والزمر والغناء بل والخمر أحيانا.

ثامن عشر: وجود الاحتفالات في جو اللهو والترّف الذي كان سائدا في العصر الفاطمي أدى إلى وجود العديد من التجاوزات الأخلاقية خاصة في أعياد المسيحيين.

## مدخل إلى الصوفية

مع انتشار الطرق الصوفية في مصر ازدهر فن المديح والإنشاد الديني، وارتبط بهذه الطرق ارتباطاً وثيقاً، وقد تعددت الأقوال حول نشأة التصوف، لكن أهل التحقيق متفقون على أن التصوف نشأ وترعرع في البصرة بالعراق؛ حيث برزت أسماء كبرى أسهمت في تأسيسه؛ منها: إبراهيم بن أدهم، وداود ابن نصير الطائي، ورابعة العدوية، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، والجنيد البغدادي، وبشر بن الحارث الحافي، وأبو الحسين أحمد بن محمد بن عبدالصمد النوري، وأبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز، وابن عطاء البغدادي، وابن عثمان المكي، وغيرهم<sup>(8)</sup>.

وأول ما نقل التكلم بلفظ «التصوف» كان في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري، فقد تكلم به غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد (ت241هـ)، وأبي سليمان الداراني (215هـ)، وسفيان الثوري، والحسن البصري، وأول من عرف باسم صوفي في المجتمع الإسلامي: أبو هاشم الصوفي (150هـ)، وأما صيغة الجمع (الصوفية)، فقليل: ظهرت عام 199هـ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: في أواخر عصر التابعين حدث ثلاثة أشياء: (الرأي، والكلام، والتصوف)، فكان جمهور الرأي في الكوفة، وكان جمهور الكلام والتصوف في البصرة، فإنه بعد موت الحسن وابن سيرين، ظهر عمرو ابن عبيد وواصل بن عطاء، وظهر أحمد بن علي الهجيمي (200هـ)، تلميذ

عبد الواحد بن زيد، تلميذ الحسن البصري، وكان له كلام في القدر، وبنى دويرة للصوفية، وهي أول ما بني في الإسلام غير المساجد؛ لالتقاء على الذكر والسماع، وصار لهم حال من السماع والصوت، وكان أهل المدينة أقرب من هؤلاء في القول والعمل، وأما الشاميون فكان غالبهم مجاهدين<sup>(9)</sup>.

ويروي المقرئ في الخطط عن أول دار في الإسلام جمعت الصوفية، فيقول: أول من اتخذ بيتاً للعباد والزهاد، زيد بن صوحان بن صبرة، وذلك أنه عمد إلى رجال من أهل البصرة تفرغوا للعبادة، وليس لهم تجارة ولا غلال، فبنى لهم دوراً وأسكنهم فيها، وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم؛ من مطعم ومشرب وملبس وغيره، وكان ذلك في عهد أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وأما عن أول دار للصوفية بنيت في مصر، فقد عرفت باسم (الخانقاه)؛ ويقول المقرئ: دار سعيد السعداء، دويرة الصوفية، هذه الخانقاه بخط رحبة باب العيد من القاهرة، كانت أولاً داراً تعرف في الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء، وهو الأستاذ قنبر، ويقال: عنبر، وذكر ابن ميسر أن

اسمه: «بيان»، ولقبه سعيد السعداء، أحد الأساتذة المحنكين، خدام القصر، عتيق الخليفة المستنصر، فلما استبد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي بملك مصر بعد موت الخليفة العاضد، وغير رسوم الدولة الفاطمية، ووضع من قصر الخلافة، وأسكن فيه أمراء دولته الأكراد، عمل هذه الدار برسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة، ووقفها عليهم في سنة تسع وستين وخمسائة، وولى عليهم شيخا، ووقف عليهم بستان الحبانية بجوار بركة الفيل خارج القاهرة، وقيسارية الشراب بالقاهرة، وناحية دهمر، ومرر البهنساوية، وشرط أن من مات من الصوفية وترك عشرين دينارا فما دونها، كانت للفقراء، ولا يتعرض لها الديوان السلطاني، ومن أراد منهم السفر، يعطى تسفيرة، ورتب للصوفية في كل يوم طعاما ولحما وخبزا، وبنى لهم حماما بجوارهم، فكانت أول خانكاه عملت بديار مصر، وعرفت بدويرة الصوفية، ونعت شيخها بشيخ الشيوخ(10).

ويرى بعض الباحثين أن أغلب الطرق منسوبة إلى أربعة من كبار الأولياء: عبدالقادر الجيلاني، وأحمد الرفاعي، وأحمد البدوي، وإبراهيم الدسوقي، فإن لكل منهم طريقة واحدة خاصة، ثم تعددت الطرق بتعدد من أخذها مباشرة أو بالوساطة، وتعددت الفروع حتى بلغت الأحمدية ستة عشر فرعا(11).

### الطريقة الحافظية الخلوتية:

لأن كاتبة سطور هذا الكتاب هي حفيدة الشيخ حامد البشير أحد المشايخ الأوائل للطريقة الحافظية الخلوتية، سنستعرض بشكل مبسط للقارئ العزيز هذه الطريقة:  
أسسها الإمام عبد الحافظ بن علي الصعيدي المالكي الذي يتصل نسبه بالصحابي الجليل سيدنا عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه المتوفى في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان عام 1303 هجرية.

ولد الشيخ ببلدة يقال لها عنيبس تجاه طهطا بصعيد مصر، والمشهور أنه نشأ بها وحفظ القرآن واشتغل بطلب العلم على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه على بعض العلماء من أهل طهطا، ثم رحل إلى مصر لطلب العلم بالأزهر الشريف، فأخذ العلم عن العلامة الشيخ البولاقى والشيخ القويسني والشيخ التميمي المغربي وأضرابهم من أجلاء عصره، واستمر في طلب العلم وتعلمه ابتداء إلى أن فتح الله عليه بكثير من العلم فأفاد الغير وعلمه انتهاء، ودرس بالأزهر المعمور مدة من السنين حتى صار شيخ عمود في الجامع الأزهر يدرس الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس.

أخذ طريق السادة الخلوتية على يد الشيخ إسماعيل ضيف؛ وأخذ في الجد والاجتهاد إلى أن فتح الله عليه في الطريق أيضا فأجازه الأستاذ المذكور بأخذ العهود والإرشاد فكان ذلك، وقد فتح الله على كثير ممن أخذ عنه.

واستوطن الإمام عبدالحافظ علي الصعيدي قرية المحرقة (السعودية حاليا) بمركز العياط بمحافظة الجيزة، بدعوة من بعض الطلبة الذين يأخذون عنه العلم، فأجاب الشيخ الدعوة امتثالاً للسنة.

وفي ذلك يقول الشيخ: أخذت في النصح والإرشاد وتتهيئ هم العباد، إلى أن طلع فجر الديانة في هذه البلاد ولاح ونادى مؤذنه حي على الفلاح.

أقام الشيخ بهذه البلدة مدة من السنين لتعليم أهلها ما يجب عليهم، وتعليم الغير أيضا ممن كان يحضر هناك لطلب العلم، وألف بها جملة من المؤلفات وانتفع به الخاص والعام.

ومؤلفات الإمام كثيرة في مختلف فروع العلم، نذكر منها: هداية الراغبين في السير والسلوك إلى ملك الملوك رب العالمين، ولوامع الأنوار وروض الأزهار في الرد على من أنكر على المتكلمة بالسنة الأحوال والأسرار، ولقطة العجلان وتحفة الإخوان في علم التصوف.

وفي علم البلاغة: زهر الرياض الزكية الوافية بمضمون السمرقندية، وفي علم الفرائض: شرح روض الأفهام في غاية ما ينتهي إليه الكسر من الأحكام.

وفي علم التوحيد: شرح اللباب على متن الزبد، وفي علم الكلام: المنهل السيل الدافع لما نشأ من خلاف بين الأشعري والماتريدي من الإشكال، وفي علم الفقه: شرح مجموع الأمير - الفجر المنير.

والحافظية الخلوتية تنتهج منهج الإمام الجنيد البغدادي (سيد الطائفة الصوفية) في التصوف، وكانت جملته الشهيرة هي دستور أهل الطريق: (الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ).

### منهج السادة الحافظية الخلوتية:

فمنهج السادة الحافظية الخلوتية هو الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ والعمل على نشر الفكر الصوفي الحقيقي وتنقيته من المفاهيم الخاطئة العالقة به، وكان نهج الإمام عبد الحافظ بن علي في التربية هو تعليم أبنائه من أهل الطريق أن المراد من سلوك طريق التصوف هو ترقى النفس شيئا فشيئا إلى المقام الأكمل، بالعلاجات والأدوية التي وضعها سيد المرسلين سيدنا رسول

الله ﷺ وهي: الصيام، والقيام، وقلة الكلام، والشفقة على الأنام، والذكر، والفكر، وأكل الحلال وترك الحرام، فكل من يتداوى بغير دواء الشرع لا يشفى مرضه بل يزداد.

ومعلوم لدى أهل التصوف المحققين أن الإنسان له سبعة أنفس على المرید السالك طريق الحق قطع هذه العقبات، وهذه الأنفس هي: (الأمارة بالسوء، اللوامة، الملهمة، المطمئنة، الراضية، المرضية، الكاملة).

فإذا كانت النفس أمارة بالسوء فدواؤها الذي تترقى به إلى المقام الثاني لا إله إلا الله مع المداومة عليها ليلاً ونهاراً، وتكون بالجهر والشدة لتنبية الأعضاء الغافلة، فإن ترقى للمقام الثاني فدواؤها الذي تترقى به للمقام الثالث: تقليل الطعام والمنام، والذكر بلفظ الله مع الإكثار، وهكذا إلى أن تصل إلى الصورة الأدمية التي كانت قبلة للملائكة، وهذا أعلى المقامات لأنه رتبة الصديقية التي لا ينالها العبد إلا بعد دخوله في مقام الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه. ورتبة الصديقية في نفسها مراتب متفاوتة بعضها أعلى من بعض وأعلىها رتبة أبي بكر الصديق، ولا يعلو مقام الصديقية إلا مقام النبوة، فصاحب مقام الصديقية لو تخطاها لترقى لمقام النبوة، إلا أن النبوة قد ختمت بنبينا، والصديقية لم تختم بمقام الصديقية مقام الولاية الكبرى والخلافة العظمى، وهذا المقام تتزايد فيه الفتوحات وتعظم التجليات وتتم المشاهدات والكشوفات لكمال النفس وحسن صفائها، ولا يمكن الوصول إليه إلا بعد الفناء، وهو زوال صفات النفس المذمومة بالكلية حتى لا تصير ملتقة إلى شيء منها بل تزهدا كما تزهد أكل الجيفة.

وصفاتها المذمومة هي: الحسد والحقد وحب الجاه والصيت والمحمدة والرياسة والشهوات والكبر والرياء والعجب والنفاق والغرور والكذب والغيبة والنميمة والفخر والتزين للخلق وبغض أحد منهم لأمر غير شرعي.. ونحو ذلك، فإذا زالت عنه هذه الأوصاف واتصف بأضدادها من الصفات الحميدة كالشفقة والرفقة على الخلق حتى يحب لغيره ما يحب لنفسه والإخلاص وحسن الخلق والسخاء والمسكنة، وهي خضوع النفس لمقام الألوهية وخفض الجناح لرب البرية حتى لا يشم صاحبها للرياسة رائحة، وصاحبها هو العبد الحقيقي الصديقي.

وللطريقة أوراد خاصة بها تقرأ يومياً، وهي ورد السحر وورد الإشراق وورد الضحى، وكلها لمجدد الخلوتية في وقته الإمام مصطفى البكري الخلوتي، وقراءة التوجه الأسنى بنظم أسماء الله الحسنى، والصلوات الدرديرية للإمام أبو البركات سيدي أحمد الدردير رضي الله عنه.

ثم إن من الأوراد اليومية الاستغفار مائة مرة بصيغة: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، والصلاة على سيدنا النبي مائة مرة بصيغة: اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا

محمد وعلى آله عدد كمال الله وكما يليق بكماله.

والذكر بالأسماء السبعة كل على حسب المقام الذي فيه، والأسماء السبعة هي (لا إله إلا الله، الله، هو، حق، حي، قيوم، قهار).

وتولى مشيخة الطريقة من بعده أبنائه ثم أحفاده، ولعل أبرزهم جهدا في نشر العلم والطريق هو فنيده فضيلة الإمام حامد البشير الذي ولد في الثاني عشر من أبريل سنة 1913م، وقد أحقه والده فضيلة الإمام الجليل أبو الضياء البشير بكتاب القرية حتى أتم حفظ القرآن، ثم انتقل إلى الأزهر الشريف يدرس العلم حتى تخرج في كلية الشريعة والقانون وقتها، وكان رضي الله عنه فقيها مالكا وشيخا صوفيا صاحب مكاشفات وكرامات ظاهرة للجميع، وقد أفنى عمره في رفع راية آبائه في نشر العلم والطريق والهدى بين الناس، فقد تعلم على يديه الكثير من الناس أمور دينهم، وتاب على يده خلق كثير والتزموا الطريق القويم، وظل رضي الله عنه يدعو إلى الله إلى أن أنتقل إلى جوار ربه في الثامن عشر من فبراير سنة 1990م، ودفن في ساحته الكائنة في قرية (برويش) بالجيزة، ويتم الاحتفال سنويا بذكرى مولده في شهر أبريل.

وآلت مشيخة الطريقة الآن إلى أخي الشيخ أحمد البشير أدام الله آلاء أنفاسه بيننا.

وتنتشر الطريقة في شتى أنحاء مصر، وتتركز في الجيزة والمنصورة وطنطا وسوهاج والمنيا والإسكندرية، وتشارك الطريقة في الاحتفال بموالد آل البيت الكرام وأولياء الله الصالحين، وتقيم الطريقة حضرة أسبوعية يومي السبت والخميس في مقر الطريقة بمحافظة الجيزة، وتبدأ الحضرة بقراءة الفاتحة للرسول ﷺ ومشايخ الطريقة، ثم تقرأ منظومة أسماء الله الحسنى لسيدي أحمد الدرديري رضي الله عنه، ثم الصلاة على الرسول ﷺ، وبعد ذلك يصطف الجالسون ويأخذون بالذكر (الله الله)، وتختتم بقراءة الفاتحة والصلاة على النبي ﷺ.

### الأدلة على جواز السماع والحضرات الصوفية:

أنكر البعض على المسلمين الإنشاد والسماع والغناء الديني الذي يجري في الطرق الصوفية وخاصة في الحضرة، لكن القائلين بإباحة الإنشاد ردوا على ذلك بكثير من الأدلة من القرآن الكريم، منها:

قال الله تعالى: (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [فاطر: 1]، وقال ابن كثير نقلا عن الإمام الزهري وابن جريج في قوله تعالى: (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ) يعني حسن الصوت، ورواه عن الزهري البخاري في الأدب المفرد، وقال القرطبي في تفسير الآية: إنه حسن

الصوت كما ذكر ابن كثير عن الزهري، وإلى هذا المعنى ذهب أكثر المفسرين كالنسفي والبيضاوي والخازن وغيرهم.

أما الأدلة من السنة الشريفة فمنها:

عن سيدنا أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان في سفره وكان غلام يحدو بهن يقال له أنجشة فقال النبي ﷺ:

«رويدك يا أنجشة سوقك بالقوارير» قال أبو قلابة: يعني ضعفة النساء.

وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه أيضا قال: كان للنبي ﷺ حاد يقال له أنجشة وكان حسن الصوت، فقال له النبي ﷺ: يا أنجشة رويدك لا تكسر القوارير.

قال قتادة: يعني ضعفة النساء.

وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري، قال ابن بطال: القوارير كناية عن النساء اللاتي على الإبل التي تساق حينئذ، فأمر عليه الصلاة والسلام الحادي بالرفق بالحداء لأنه يحث الإبل حتى تسرع، فإذا أسرع لم يأمن على النساء السقوط، وإذا مشت رويدا أمن على النساء عدم السقوط... إلى أن قال: نقل ابن عبد البر الاتفاق على إباحة الحداء، وفي كلام بعض الحنابلة خلاف فيه ومن منعه محجوج بالأحاديث الصحيحة.

ويلتحق بالحداء هنا الحداء للحجيج المشتمل على التشوق إلى الحج بذكر الكعبة وغيرها من المشاهد، ونظيره ما يحرض أهل الجهاد على القتال.

وعن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: يا أبا موسى لقد أوتيت مزارا من مزامير آل داود.

وعن عامر بن سعد قال: دخلت على قرظة بن كعب وأبي مسعود الأنصاري في عرس وإذا جوار يغنين، فقلت: أي صاحب رسول الله ﷺ ومن أهل بدر يفعل هذا عندكم؟! فقالا: اجلس إن شئت فاستمع معنا وإن شئت فاذهب، فإنه قد رخص لنا في اللهو عند العرس.

وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال نبي الله ﷺ: «يا عائشة ما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو».

وفي رواية شريك: أن رسول الله ﷺ قال: فهلا بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني؟ قلت: ماذا تقول؟ قال: تقول:

أتيناكم... أتيناكم

## فحيانا وحياكم ولولا الحبة السمراء ما سمنت فتاياكم

وعن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعثت، فاضطجع على الفراش وحول وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند النبي ﷺ، فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: دعهما، فلما غفل غمزتهما فخرجتا، وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب، فإما سألت رسول الله ﷺ وإما قال: تشتهين تنظرين؟ قلت: نعم، فأقامني وراءه خدي على خده وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة، حتى إذا مللت قال: حسبك؟ قلت: نعم، قال: فاذهبي.

وفي رواية قالت: دخل علي أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعثت، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أئبزمار الشيطان في بيت رسول الله ﷺ وذلك يوم عيد؟ فقال رسول الله ﷺ: دعهما فإن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا.

وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: أنشدت رسول الله ﷺ مئة قافية من قول أمية بن أبي الصلت، كل ذلك يقول: (هيه هيه)، ثم قال: إن كاد في شعره ليسلم.

وعن سيدنا قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت. وعن سيدنا فضالة بن عبيد الله عن النبي ﷺ قال: لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لقينته.

وقالت سيدتنا عائشة رضي الله عنها: كان أصحاب رسول الله ﷺ يتناشدون عنده الشعر وهو يبتسم.

وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ مر ببعض المدينة فإذا هو بجوار صغار يضربن بدفهن ويتغنين ويقلن:

حن جوار من بني النجار

يا حبذا محمد من جار

فقال النبي ﷺ «الله يعلم إني لأحبكن».

عن عبد الله بن الزبير قال: (ما أعلم رجلا من المهاجرين إلا قد سمعته يترنم).

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل مكة وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله  
اليوم نضربكم على تنزيله  
ضربا يزيل الهام عن مقيله  
ويذهل الخليل عن خليله

يا رب إني مؤمن بقبيله

فقال عمر رضي الله عنه: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول شعرا؟  
فقال النبي ﷺ: خل عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل.

وعن سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن من الشعر حكمة».

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: قالت الأنصار يوم الخندق:

نحن الذين بايعوا محمدا

على الجهاد ما بقينا أبدا

فأجابهم النبي ﷺ:

لا عيش إلا عيش الآخرة

فانصر الأنصار والمهاجرة

عن سيدنا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلا، فقال  
رجل من القوم لعامر بن الأكوع: ألا تسمعنا من هنيهاتك؟ وكان عامر رجلا شاعرا فنزل يحدو  
بالقوم يقول:

لاهم لولا أنت ما اهتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداء لك ما اقتضينا

وثبت الأقدام إن لاقينا

وألقين سكينه علينا

إنا إذا صيح بنا أتينا

وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: (من هذا السائق؟) قالوا: عامر بن الأكوع. قال: (يرحمه الله).

وعن سعيد بن المسيب قال: مر عمر في المسجد وحسان ينشد فلحظه عمر (أي نظر إليه نظرة  
إنكار) ثم التفت - أي حسان - إلى أبي هريرة فقال: أنشدك بالله أسمعت رسول الله ﷺ يقول:

«أجب عني اللهم أيده بروح القدس؟».

وعن سيدتنا عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يضع لسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله ﷺ، ويقول الرسول ﷺ: «إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله ﷺ»، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله ﷺ عن الشعر فقال: «هو الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام».

## آراء العلماء في فن الإنشاد الديني

وقبل أن ننهي هذا الفصل يطيب لنا أن نذكر كلمة عن رأي العلماء في هذا فن الذي يؤيد مشروعيته واستحبابه.

يقول العلامة السفاريني شارح منظومة الآداب: وفي رواية أبي بكر بن الأنباري أن كعب بن زهير لما جاء تائبا وقال قصيدته المشهورة:

بانئت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم إثرها لم يفد مكبول

إلى أن وصل إلى قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به

مهند من سيوف الله مسلول

رمى ﷺ إليه بردة كانت عليه وأن معاوية بذل فيها عشرة آلاف فقال: ما كنت لأوتر بثوب رسول الله ﷺ أحدا، فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفا فأخذها منهم، إلى أن قال: تحصل من إنشاد قصيدة كعب ابن زهير رضي الله عنه البردة عدة سنن: إباحة إنشاد الشعر واستماعه في المسجد والإعطاء عليه.

وقال العلامة السفاريني في منظومة الآداب: قال في الإقناع وغيره: ويباح الحداء الذي تساق به الإبل ونشيد الأعراب.

وقال أيضا: المذهب الإباحة من غير كراهية لما تضافرت به الأخبار وتضافرت به الآثار من إنشاد الأشعار والحداء في الأسفار، وقد ذكر بعض العلماء الإجماع على إباحة الحداء.

وقال أيضا في غذاء الألباب: والسماع مهيج لما في القلوب محرك لما فيها، فلما كانت قلوب القوم معمرة بذكر الله تعالى صافية من كدر الشهوات محترقة بحب الله ليس فيها سواه، كان الشوق والوجد والهيجان والقلق كامنا في قلوبهم كمن النار في الزناد، فلا تظهر إلا بمصادفة ما يشاكلها فمراد القوم فيما يسمعون إنما هو مصادف ما في قلوبهم، فيستثيره بصدمة طروقه وقوة سلطانه

فتعجز القلوب عن الثبوت عن اصطدامه، فتبعث الجوارح بالحركات والصرخات والصعقات لثوران ما في القلوب؛ لأن السماع يحدث في القلوب شيئاً.

وذكر الإمام الشاطبي في كتابه (الاعتصام) أن أبا الحسن القرافي الصوفي يروي عن الحسن البصري رحمه الله أن أقواماً أتوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقالوا: يا أمير المؤمنين إن لنا إماماً إذا فرغ من صلاته تغنى، فقال عمر رضي الله عنه: من هو؟ فذكر الرجل، فقال: قوموا بنا إليه فإننا إن وجهنا إليه يظن أننا تجسنا عليه أمره.

قال: فقام عمر رضي الله عنه مع جماعة من أصحاب النبي ﷺ حتى أتوا الرجل وهو في المسجد، فلما نظر إلى عمر قام فاستقبله فقال: يا أمير المؤمنين ما حاجتك؟ وما جاء بك؟ إن كانت الحاجة لنا كنا الأحق بذلك منك أن نأتيك، وإن كانت الحاجة لله فأحق من عظمناه خليفة رسول الله ﷺ، فقال عمر: ويحك بلغني عنك أمر ساءني. قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: أتنمجن في عبادتك؟ قال: لا يا أمير المؤمنين لكنها عظة أعظ بها نفسي. قال عمر: قلها فإن كان كلاماً حسناً قلته معك وإن كان قبيحاً نهيتك عنه. فقال:

وفؤادي كلما عاتبته

في مدى الهجران يبغي تعبي

لا أراه الدهر إلا لاهياً

في تماديه فقد برح بي

يا قرين السوء يا هذا الصبا

فنى العمر كذا في اللعب

ما أرجي بعده إلا الفنا

ضيق الشيب علي مطلبي

ويح نفسي لا أراها أبداً

في جميل لا ولا في أدب

نفسى لا كنت ولا كان الهوى

راقبي المولى وخافي وارهبى

فقال عمر رضي الله عنه:

نفسى لا كنت ولا كان الهوى

راقبي المولى وخافي وارهبى

ثم قال عمر رضي الله عنه: على هذا فليغن من غنى.  
وقال الإمام الشاطبي أيضا: والتطريب مد الصوت وتحسينه ففيها أن الشعر المغنى به قد اشتمل على أمرين:

أولاً: ما فيه من الحكمة والموعظة، وهذا مختص بالقلوب ففيها تعمل وبها تنفعل ومن هذه الجهة ينسب السماع إلى الأرواح.

ثانياً: ما فيه من النفحات المرتبة على النسب التلحينية، وهو المؤثر في الطباع فيهيجهما إلى ما يناسبها وهي الحركات على اختلافها، فكل تأثير في القلب من جهة السماع تحصل عنه آثار السكون والخضوع فهو رقة وهو التواجد، ولا شك أنه محمود وكل تأثير يحصل عنه ضد السكون فهو طرب لا رقة فيه ولا تواجد ولا هو عند شيوخ الصوفية محمود.

رأي الإمام أبي حامد الغزالي:

وقال الإمام أبو حامد الغزالي حجة الإسلام في بحثه عن الإنشاد:

اعلم أن السماع هو أول الأمر ويثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد، ويثمر الوجد تحريك الأطراف، إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب وإما موزونة فتسمى التصفيق أو الرقص.  
والقول بأن السماع حرام معناه أن الله يعاقب عليه، وهذا الأمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة في النص أو القياس إلى المنصوص، ولم يستقم في هذا المجال نص ولا قياس، وبهذا يبطل القول بتحريمه ويبقى فعلاً لا حرج فيه كسائر المباحات، بل إن هناك نصوصاً تدل على إباحته، فالغناء سماع صوت طيب مفهوم المعنى محرك للقلب، وسماع الصوت الطيب بالنسبة لحاسة السمع كروية الخضرة والماء الجاري بالنسبة للعين فلا يحرم، فإن أدى المنظر إلى الاطلاع على شيء حرام حرم النظر كالنظرة إلى العروة وكالمنظر بشهوة، وكذلك يحرم السماع إذا كان سماعاً لشيء غير حلال أو أدى بطريق انحرف عن الحلال.

ويذكر الإمام الغزالي منهجه في تحليل الغناء بعد أن استعرض أقوال الفقهاء في حكم الغناء والمقصود سماع ما ليس مجوناً ولا فساداً، فمن الفقهاء من ذهب إلى تحريمه، ومنهم من ذهب إلى كراهته، ولكن الإمام الغزالي ينظر إلى الموضوع على أساس آخر، ولا يوجد في الدين نص يحرم السماع ولا قياس على نص، فيبقى النظر في السماع من حيث هو. وهنا يأتي منهج الإمام الغزالي في تحليل الغناء إلى عناصره لمعرفة كل منها على حدة ثم النظر فيها مجتمعة، فعند تحليل الغناء نجد أن فيه سماعاً:

أولاً: صوت طيب، وهذا هو الوصف الأعم، وسماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب حلال بالنص، وهنا يذكر الإمام الغزالي بعض الأحاديث كغناء الجاريتين، وهو حلال بالقياس لأنه تلذذ حاسة السمع بإدراك ما هو مخصص بها كغيرها من الحواس، وهذه فطرة مجبولة في الإنسان.

ثانياً: صوت طيب موزون والوزن شيء زائد على حسن الصوت، فقد يكون الصوت حسناً غير موزون أو موزناً غير حسن، ومن الأصوات الموزونة أصوات بعض ذات السجع من الطيور فهي مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع؛ فلذلك يستلذ سماعها، ومنها أصوات بعض الآلات الموسيقية، فلا حرمة في ذلك إلا ما نهى عنه من آلات أهل المجون أو الشراب وما يؤدي إليه، وهو أمر عارض.

ثالثاً: كلام موزون مفهوم، وهو الشعر، وليس فيه من زيادة إلا كونه مفهوماً، والكلام المفهوم غير حرام، والحق في ذلك ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله، وهو أن الشعر كلام فحسنته حسن وقبيحة قبيح، وإذا كانت العناصر كل منها على حدة مباحة أيضاً فإن الجملة مباحة أيضاً إلا إذا تضمن المجموع محظوراً لا تتضمنه الآحاد وليس هنا شيء محظور.

رابعاً: كون السماع محركاً للقلب مهيجاً لما هو الغالب عليه، وهنا يطرح الإمام الغزالي مسألة مهمة لم يهتم بها أحد قبله يقول: لله تعالى سر في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح حتى إنها لتؤثر فيها تأثيراً عجبياً، فمن الأصوات ما يفرح، ومنها ما يحزن، ومنها ما يضحك ويضطرب، ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس.

ويؤكد الإمام الغزالي قيمة هذا الانفعال الإنساني أمام الجمال فيقول: من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج وليس له علاج.

ومن ثم يشير الإمام إلى تأثير الغناء في صرف الطفل عما يبكيه والجمال عن ثقل ما تحمله، ثم يزيد رأيه تأكيداً بقوله: إن تأثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية، زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على جميع البهائم فإنها جميعاً تتأثر بالنغمات الموزونة.

وإذا كان الأمر متعلقاً بتأثير السماع في القلب الإنساني فإن الحكم في أمره بالإباحة أو التحريم لا يصح أن يكون مطلقاً، بل يراعى فيه اختلاف الأحوال والأشخاص وطرق الأنعام نفسها والغاية منها.

ثم بعد هذا يذكر الإمام الغزالي أن الترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد في مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي ستة مواضع:

غناء الحجاج لما فيه من الشوق إلى حج بيت الله، وإذا كانت عناصر الغناء والألحان كثيرة متنوعة كان التأثير أبلغ.

والغناء والألحان من وسائل تحريض الغزاة والمجاهدين إذا كان مع الألحان شعر يدعو إلى الشجاعة والتضحية، ومن ذلك رجزيات التشجيع في أنواع المباريات، وذلك إذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان أوقع في النفس، وكل ما في الأمر أن يكون القتال مشروعاً وأن تكون الألحان نفسها عاملاً على تقوية النفس لا على حل عقدة الشجاعة وإضعاف صرامتها.

أصوات النياحة ونغماتها وتأثيرها في تهيج الحزن والبكاء وملازمة الكآبة، وشريطة ذلك ألا تكون على ما فات و نفذ فيه قضاء الله، وإنما تكون على ما فات من تقصير الإنسان وما فرط منه، وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لأنه يبعث على التشمير للندار. والمبدأ العام عند الإمام الغزالي أن المفضي إلى المحمود محمود.

ولم ينس الإمام الغزالي حاجات النفس الإنسانية وما يصاحب شعورها بالسرور في أوقاته، مثل أيام الأعياد والأعراس وقدم الغائب وولادة مولود ونحو ذلك، وهذه مناسبات يباح فيها السرور، لذلك يقول: ووجه جوازه أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب، فكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه.

والإمام الغزالي يدرك تماماً الطبيعة البشرية فيقرر السماح بالتعبير المتنوع من السرور بالغناء بالشعر والرقص والحركات في حدود آداب الدين، ويؤكد الإمام الغزالي صحة ما ذهب إليه بأدلة نقلية كحديث عائشة رضي الله عنها حينما كانت تنظر إلى الحبشة ولعبهم في مسجد النبي ﷺ وتشجيع النبي ﷺ لهم بقوله: «دونكم يا بني أرفدة» وقول النبي ﷺ لعائشة: «تشتهين أن تنظرين»، ثم قال: «فهذه الأحاديث في الصحيحين، وهي نص صريح في أن الغناء واللعب ليس بحرام).

وسماع العشاق تحريكا للشوق وتهيجا للعشق وتسلية للنفس، فإن كان في مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة، وإن كان في المفارقة فالغرض تهيج الشوق، كل هذا يكون في عشق مباح.

والإمام الغزالي يقدر نفسية العاشق وينقهمها ويعرف ما يريح قلبه فيقول: إن الشوق وإن كان ألما فيه نوع لذة إذا أضيف إليه الوصال، فإن الرجاء لذيق واليأس مؤلم، وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للشيء المرجو، فهذا السماع تهيج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء المقدر في الوصال مع الإطناب في وصف حسن المحبوب، وهذا حلال إن كان المشتاق إليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته فيقضي إلى غنائها لتضاعف لذته في لقائها فيحظى بالمشاهدة

البصر وبالسماح الأذن، ويفهم لطائف معاني الوصال والفرق القلب فتترادف أسباب اللذة، فهذه أنواع تمتع من جملة مباحات الدنيا، وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب، وهذا منه.

وسماع من أحب الله تعالى واشتاق إلى لقائه فصار لا ينظر إلى شيء إلا رأى آلاء الله فيه، ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعه منه، فالسماح في حقه مؤكد لحبه مهيج لشوقه ومور زناد قلبه، ومستخرج منه أحوالاً من المكاشفات والملاحظات لا يحيط الوصف بها، يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن تذوقها، وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجدا مأخوذاً من الوجد والمصادفة، أي صادف من نفسه أحوالاً لم يكن يصادفها قبل السماع، ثم تكون تلك الأحوال أسباباً لروادف وتوابع لها تحرق القلوب بنيرانها وتنقيها من الكدورات كما تنقي النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث، ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات هي غاية مطالب المحبين لله تعالى، ونهاية ثمرة القربات كلها، فالمضي إليها من جملة القربات لا من جملة المعاصي.

ومن هذا المنطلق يؤكد الإمام الغزالي رضي الله عنه من جديد إمكان محبة الإنسان لله تعالى لأنه مصدر الموجودات، فيقول: (ولا خير

ولا جمال ولا محبوب في العالم إلا هو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه، بل كل حسن وجمال في العالم أدرك بالعقول والأبصار والأسماع وسائر الحواس فهو ذرة من خزائن قدرته ولمعة من أنوار حضرته).

وقال الغزالي والعز بن عبد السلام إنه سنة إن حرك اللسان مذكراً بالآخرة. وبه يعلم أن كل شعر فيه الأمر بالطاعة أو كان حكمة أو كان في مكارم الأخلاق أو الزهد، ونحو ذلك من خصال البر كحث على طاعة أو سنة أو اجتناب معصية يكون من إنشائه وإنشاده وسماعه سنة كما صرح به غير واحد من أئمتنا، وهو ظاهر إذ وسيلة الطاعة طاعة.

وقال الإمام الغزالي أيضاً: النصوص التي وردت في السماع والدف تدل على إباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب، والنظر إلى رقص الحبشة والزنج في أوقات السرور كان قياساً على يوم العيد فإنه وقت سرور.

من جانبه قال الإمام السهروردي: المنكر إما جاهل بالسنن والآثار وإما جاهل الطبع لا ذوق له، وأشار بالسنن إلى ما صح عنه ﷺ أنه كان له شعراء يصغي إليهم في المسجد وغيره، منهم حسان بن ثابت وابن رواحة رضي الله عنهما، واستنشد أمية بن أبي الصلت واستمع إليه كما في مسلم.

وقال الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى: أما سماع الإنشاد المحرك للأحوال السنية المذكر للأمور الأخروية فلا بأس به بل يندب عند الفتور وسأمة القلب، ولا يحظر إلا لمن في قلبه

هوى خبيث فإنه يحرك ما في القلب.

وأضاف في تفسيره: وأما الأشعار والتشبيهات فمأذون بها، وقد أنشد كعب رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ «بانة سعاد» القصيدة المشهورة فاستمعها ولم ينكر عليها شيئاً، وفيها الاستعارات والتشبيهات حتى شبه الريقة بالخمرة وكانت حُرمت.

ولكن تحريمها لم يمنع عندهم طيبها بل تركوها مع الرغبة فيها والاستحسان بها، وكان ذلك أعظم لأجرهم.

وذكر الروياني في البحر أن سعاد كانت زوجته وبنات عمه، وأنه إنما أنشد فيها هذه القصيدة ل طول غيبته عنها بهروبه من النبي ﷺ.

وحكي عن العز بن عبد السلام رحمه الله ورضي عنه أنه كان يرقص في السماع.

وقال الأذرعي: وما أحسن قول الماوردي: الشعر في كلام العرب مستحب إن حذر من الدنيا أو رغب في الآخرة أو حث على مكارم الأخلاق، ومباح وهو ما سلم من فحش وكذب، ومحظور ما اقترن بأحدهما.

وقد روي أنه ذكر عند رسول الله ﷺ الشعر فقال: هو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح.

أما الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى فقال: لا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ولا من أولي النهي، وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا وقد قال الشعر أو تمثل به أو سمعه فرضيه، وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على جوازه إن كان كذلك.

وقال الإمام أبو بكر بن العربي المالكي شارح سنن الترمذي: لا بأس بإنشاد الشعر في المسجد إذا كان في مدح الدين وإقامة الشرع.

وأضاف: أما الاستعارات والتشبيهات فمأذون بها وإن استغرق الحد وتجاوزت المعتاد، واستدل بإنشاد كعب بن زهير النبي ﷺ حين جاء تائباً حيث قال:

بانة سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم إثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا

إلا أغن غضيض الطرف مكحول

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت

كأنه منهل بالراح معسول

فجاء في القصيدة من الاستعارات والتشبيهات بكل بديع والنبى ﷺ يسمع ولا ينكر حتى في تشبيهه ريقها بالخمرة، وأما الغناء فإنه من اللهو المهيج للقلوب عند أكثر العلماء، منهم مالك بن أنس، وليس في القرآن

ولا في السنة دليل على تحريمه، أما في الحديث الصحيح فالدليل على إباحته، فإن أبا بكر دخل على عائشة وعندها جاريتان حاديتان من حاديات الأنصار، ثم ساق الحديث بتمامه وقال: فلو كان الغناء حراما ما كان في بيت رسول الله، وقد أنكره أبو بكر بظاهر الحال فأقره النبي ﷺ بفضل الرخصة والرفق بالخليقة في إجماع القلوب، ثم قال: وكل حديث يروى في التحريم، أو آية تتلى فيه فإنه باطل سندا باطل معتقدا خبرا وتأويلا، وقد ثبت أن النبي ﷺ رخص في الغناء في العيدين وفي البكاء على الميت من غير نوح. ورد الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى على الذين تمسكوا بأحاديث الجارية المغنية أنه لا يحل بيعها حيث قال: طالما أنه يجوز وطؤها بالبيع فكيف لا يجوز سماع أصواتهن ولو غناء؟ ثم رد على الآخرين الذين تمسكوا بالآية الكريمة:

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) [لقمان: 6]، فقال: وهذه صفة من فعلها كان كافرا بلا خلاف إذ اتخذ سبيل الله هزوا، ولو أن امرأ اشترى مصحفا ليضل به عن سبيل الله ويتخذ هزوا لكان كافرا، فهذا هو الذي ذمه الله تعالى، وما ذم قط عز وجل من اشترى لهو الحديث ليملى به ويروح نفسه، لا يضل عن سبيل الله تعالى، فبطل تعلقهم بقول كل من ذكرنا.

وقال أبو عثمان النيسابوري: أنشد قوال بين يدي الحارث المحاسبي هذه الأبيات:

أنا في الغربية أبكي  
ما بكت عين غريب  
لم أكن يوم خروجي  
من بلادي بمصيب  
عجبا لي ولتركي  
وطنا فيه حبيبي

فقام يتواجد ويبكي حتى رحمه كل من حضره.

وقال رجل للإمام أبي حفص النيسابوري إن فلانا من أصحابك أبدا يدور حول السماع فإذا سمع حاج وبكى ومزق، ثيابه فقال أبو حفص: إيش يعمل الغريق؟! يتعلق بكل شيء يظن نجاته فيه. بينما يرى الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله تعالى أن السماع ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: منه ما هو حرام محض: وهو لأكثر الناس من الشباب ومن غلبت عليهم شهواتهم ونداتهم وملكهم حب الدنيا.

والقسم الثاني منه مباح: وهو لمن لا حظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن واستدعاء السرور والفرح أو يتذكر غائبا أو ميتا.

والقسم الثالث منه مندوب: وهو لمن غلب عليه حب الله تعالى والشوق إليه، فلا يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة وتضاعف الشوق إلى الله تعالى، وهذا القسم الثالث هو سماع الصوفية أهل الصدق والإخلاص في كل زمان.

ويقول في موضع آخر: وأما المباح من ذلك فهو إذا كان المجلس خاليا من الخمر والزنا واللواط والمس بشهوة والتقبيل والنظر بشهوة لغير الزوجة والأمة، وكان لذلك السامع قصد حسن ونية صالحة وباطن نظيف طاهر من الهجوم على الشهوات المحرمة، وكان قادرا على ضبط قلبه وحفظ خاطره من أن يخطر فيه شيء مما حرمه الله تعالى عليه، فإنه يجوز له أن يسمع هذا السماع المذكور حينئذ بأنواعه كلها ولا يحرم عليه شيء من ذلك، ولا يكره له ما دام موصوفا بما ذكرناه فهو مباح له إن لم يكن من أهل المعرفة بالله تعالى بأن كان عاميا جاهلا غافلا، وأما إذا كان من أهل المعرفة والشهود فيصير السماع المذكور حينئذ في حقه مستحبا مندوبا إليه يثابا عليه. ويقول أيضا: ومعلوم أن هذه الآلات المطربة بجميع أنواعها ليست حرمتها من حيث ذاتها وصورتها المخصوصة ولا من حيث ما يصدر عنها من الأصوات المطربة، وإلا لكان كل صوت مطرب حراما، وهو باطل لأن أصوات الطيور والشحارير المطربة ليست بحرام إجماعا - كما سيأتي - بل حرمتها لاقتران اللهو بها ولكونها ملاهي، واللهو بهذا التفسير المذكور يمكن زواله عنها وتعريبها عنه فتصير خارجة عن كونها ملاهي ويزيل اللهو عن سامعها بها، وإلا لكان العبد مكلفا في الشرع بما ليس في قدرته ومطلوبا منه ما لا يمكنه، والله تعالى يقول: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا )

[البقرة: 286].

ويوضح الإمام أبو نصر السراج أن السماع على ثلاث طبقات؛ فمنها قوم يرجعون فيما يسمعون إلى مخاطبات أحوالهم ومقامهم وأوقاتهم، فهم مرتبطون بالعلم ومطالبون بالصدق فيما يشيرون به لله من ذلك، وقوم هم الفقراء المجردون الذين قطعوا العلائق ولم تتلوث قلوبهم بمحبة الدنيا والجمع والمنع، فهم يسمعون لطيبة قلوبهم ويليق بهم السماع فهم اقرب الناس إلى السلامة، وأسلمهم من الفتنة، وكل قلب ملوث بحب الدنيا فسماعه سماع طبع وتكلف.

أما الإمام ابن بطال رحمه الله تعالى فيقول: ما كان في الشعر والرجز ذكرا لله تعالى وتعظيما له ولوحدانيته وإيثار طاعته والاستسلام له فهو حسن مرغوب فيه، وهو المراد من الحديث (إن من الشعر لحكمة)، وما كان كذبا وفحشا فهو مذموم... إلى أن قال: ومحصلة: أن الحداء بالرجز والشعر لم يزل يفعل في الحضرة النبوية وليس هو إلا أشعارا توزن بأصوات طيبة وألحان موزونة.

وقال الفقيه خليل النحلاوي الدمشقي في كتابه (الحظر والإباحة): الباب السبعون: الغناء وهو السماع، قال في الفتاوى الخيرية (2/167) بعد نقل أقوال العلماء واختلافهم في مسألة السماع: (وأما سماع السادة الصوفية رضي الله عنهم فبمعزل عن هذا الخلاف بل ومرتفع عن درجة الإباحة إلى رتبة المستحب كما صرح به غير واحد من المحققين).

ولما كانت الغاية من الإنشاد الإرشاد والمواعظ والفوائد حيث إن من طبيعة سماعه إثارة كوامن النفوس وتهيج مكونات القلوب، بما فيها من الأنس بالحضرة القدسية والشوق إلى الأنوار المحمدية، مما اتصف به ساداتنا الصوفية الذين لم يحتجوا بالأصوات لهوا ولا يجتمعوا عبثا وهم في واد والناس في واد آخر، والسر أنهم سمعوا ما لم يسمع الناس وعرفوا ما لم يعرف الناس، فسماعهم يثير أحوالهم الحسنة ويظهر وجدهم ويبعث ساكن الشوق ويحرك القلب، ولما كانت قلوبهم بربهم متعلقة وعليه عاكفة وفي حضرة قربه قائمة فالسماع يسقي أرواحهم ويسرع في سيرهم إلى الله تعالى، خلافا لسماع الفسقة اللئام يجتمعون على اللهو وآلات الطرب فيبعث ما في قلوبهم من الفحش والفسق وينسيهم واجباتهم تجاه الله تعالى. وعلى ذلك لا يمكن قياس الأبرار بالفجار ولا الصالحين على الطالحين. وفي معرض الحديث عن فوائد الاستماع لدى ساداتنا الصوفية يطيب للنفس ذكر بعض الشواهد المروية عنهم، فمنها:

قال مسلم السواري: ونزلوا على الساحل ذات ليلة فهيأت لهم طعاما ودعوتهم إليه فجاءوا إلي، ولما وضعت الطعام بين أيديهم قال قائل:

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم

ولذة نفس غيرها غير نافع

فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه وبكى القوم فرفعت الطعام من بين أيديهم وما ذاقوا والله لقمة منه.

ولما ورد ذو النون المصري بغداد جاءه قوم من الصوفية بقوالهم وطلبوا منه أن يأذن له بأن يقول فأذن له فأنشد:

صغير هواك عذبي  
فكيف به إذا احتتكا؟  
وأنت جمعت في قلبي  
هوى قد كان مشتركا  
أما ترثي لمكتتب  
إذا ضحك الخلي بكى؟

فقام ذو النون وسقط على وجهه.

وروي أن أبا الحسين النوري كان مع جماعة في دعوة فجرى بينهم مسألة في العلم، وأبو الحسين ساكت ثم رفع رأسه وأنشدهم:

رب ورقاء هتوف في الضحى  
ذات شجو صدحت في فنن  
ذكرت إلفا ودهرا صالحا  
وبكت حزنا فهاجت حزني  
فبكائي ربما أرقها  
وبكاها ربما أرقني  
ولقد أشكو فما أفهمها  
ولقد تشكو فما تفهمني  
غير أني بالجوى أعرفها  
وهي أيضا بالجوى تعرفني

قال: فما بقي أحد من القوم إلا قام وتواجد، ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه وإن كان العلم جدا وحقا.

وقال أبو القاسم الجنيد قدس الله سره: (السماع لا يحدث في القلوب شيئا، وإنما هو مهيج ما فيها فتراهم يهيجون من وجدهم وينطقون من حيث قصدهم، ويتواجدون من حيث كامنات سرائرهم لا من حيث قول الشاعر، ولا يلتفتون إلى الألفاظ لأن الفهم سبق إلى ما يتخيله الذهن)، وشاهد ذلك كما حكى: أن أبا حكمان الصوفي سمع رجلا يطوف وينادي

(يا سعتبربري) فسقط وأعشى عليه، فلما أفاق قيل له في ذلك فقال سمعته وهو يقول: (اسمع تبربري) ألا ترى أن حركة وجده من حيث هو فيه لا من قول القائل ولا قصده؟

وكما روي عن بعض الشيوخ أنه سمع قائلًا يقول: (الخيار عشرة بحبة) فغلبه الوجد فسئل عن ذلك فقال: إذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الأشرار؟ فالمحترق بحب الله تعالى لا تمنعه الألفاظ الكثيفة عن فهم المعاني اللطيفة حيث لم يكن واقفاً مع نعمة ولا مشاهداً صورة، فمن ظن أن السماع يرجع إلى رقة المعنى وطيب النعمة فهو بعيد من السماع.

وقالوا: وأما الحال الذي يلحق المتواجد فإنه من ضعف حاله عن تحمل الوارد؛ وذلك لازدحام أنوار اللطائف في دخول باب القلب فيلحقه دهش فيعبت بجوارحه ويستريح إلى الصعقة والصرخة والشهقة، وأكثر ما يكون ذلك لأهل البدايات، وأما أهل النهايات فالغالب عليهم السكون والثبوت لانسراح صدورهم واتساع سرائرهم للوارد عليهم، فهم في سكونهم متحركون في ثبوتهم متقلقلون كما قيل لأبي القاسم الجنيد رضي الله عنه: (ما لنا نراك لا تتحرك عند السماع؟) فقال: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) [النمل: 88].

قال الإمام النووي من الشافعية: وبياح قول الشعر وإنشاده إلا أن يهجو أو يفحش أو يعرض بامرأة معينة.

وقال أيضاً: لا بأس بإنشاد الشعر في المسجد إذا كان مدحا للنبوة أو الإسلام أو كان حكمة أو في مكارم الأخلاق أو الزهد ونحو ذلك من أنواع الخير.

وقال الإمام ابن عابدين من الحنفية في حاشيته: جواز القول بالشعر وإنشاده ما لم يذكر فيه ما لا يحل كصفة الذكور والمرأة المعينة الحية ووصف الخمر المهيج إليها، والهجاء لمسلم أو ذمي. وشرط كذلك السادة الحنفية ألا يكون الغالب عليه هو الشعر بحيث يلهيه عن ذكر الله تعالى وعن أداء الواجبات وطلب العلم.

وقال أيضاً في حاشيته: إن التغني المحرم ما كان في اللفظ ما لا يحل كصفة الذكور والمرأة المعينة الحية ووصف الخمر المهيج إليها والحانات والهجاء لمسلم أو ذمي، إذا أراد المتكلم هجاءه لا إذا أراد إنشاده للاستشهاد به أو ليعلم فصاحته وبلاغته، وكان فيه وصف الزهريات المتضمنة وصف الرياحين والأزهار والمياه، فلا وجه لمنعه على هذا.

وقال العلامة ابن جزري من السادة المالكية: الشعر ليس مذموماً على الإطلاق، ثم قال: إن الشعر أربعة أقسام: أحدها حسن وهو الجد والحكمة، والثاني ممنوع مطلقاً وهو الهجو، والثالث المدح والرثاء فإن كان حقاً فهو مكروه وإن كان باطلاً فهو ممنوع، والرابع التغزل فإن كان فيمن لا يحل له فهو حرام وإلا فلا.

وقال العلامة ابن قدامة المقدسي من السادة الحنبلية: الشعر كالكلام حسنه وكبيحه كقبيحه، ثم قال: وليس في إباحة الشعر خلاف، وقد قاله الصحابة والعلماء، والحاجة تدعو إليه لمعرفة اللغة العربية والاستشهاد به في التفسير وتعرف معاني كلام الله تعالى ورسوله ﷺ، ويستدل به أيضا على النسب والتاريخ وأيام العرب، وقال سيدنا عمر بن الخطاب: الشعر ديوان العرب.

## الإشاد في الحضرة

يطلق رجال الطرق الصوفية على الذكر مصطلح الحضرة، وقد عرف أحد أقطاب الصوفية الحضرة بأنها «تعني حضور القلب مع الله، ومن حضر قلبه تذوق معنى الاجتماع ومعنى الذكر ومعنى الحب في الله، والمريدون على علم بأنهم مجتمعون في حضرة الله، وأنهم يذكرون الله وأن حضورهم من أجل الله تعالى، وليس فضلا منهم، وإنما هي نفحة من الله اختصهم بها، ويذكرون أسماء الله» (12).

وتعتبر الحضرة النظام الجماعي للذكر أو (حلقة الذكر) ومن ثم فهي أهم التقاليد الروحية ممارسة في الطريقة الصوفية، والذكر على المستوى النظري هو رأس الأعمال الصالحة؛ وذلك لأن المقصود منه تركية الأنفس وتطهير القلوب وإيقاظ الضمائر.

والذاكر حين يفتح لربه جنانه ويلهج بذكره لسانه، يمدد الله بنوره فيزداد إيمانه إيمانا ويقينه يقينا، فيسكن قلبه للحق ويطمئن به:

(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد: 28].

ويذكر الدكتور سيد عويس عالم الاجتماع الراحل في مقال له بمجلة الهلال أنه إذا كانت حلقة الذكر وظائف اجتماعية معينة في المجتمع المصري، فإنها هي نفسها إحدى وظائف الطريقة الصوفية، بمعنى إتاحة الفرصة للعضو لكي يجد نموذجا فريدا من المنافذ الاجتماعية الذي ينفس أعضاء الطريقة عن طريقه الشعور بالنقص أو الشعور بالذنب الفردي أو الجماعي، إذا وجدت هذه الألوان من الشعور كلها أو بعضها.

وفي دراسة مهمة للفنان والموسيقي الراحل سليمان جميل، قدمها في المؤتمر الدولي للموسيقى الذي انعقد بالقاهرة في ديسمبر 1969، وهي المرة الأولى من نوعها التي تعرض للجانب الموسيقي في الحضرة وعلاقته بالمضمون الصوفي، ويتحدث فيها عن الطريقة الحامدية الشاذلية (13)، يقول:

الحضرة تأتي في المرتبة الثانية بعد مدرسة مجلس الشيخ إذ هي اجتماع أهل الطريقة للذكر والإشاد بحضور شيخ الطريقة أو من ينوب عنه.. يقال إن الحضرة «اجتماع فاتبايع» بمعنى أنها

اجتماع لأهل الطريقة يتبعون فيه أداء شيخ الطريقة للذكر والإنشاد.. وقد تقام الحضرة في بيت أحد أبناء الطريقة، وهي في هذه الحالة تضم عددا من الحاضرين ملائما لمساحة الحجرة في البيت عادة، وتقام الحضرة في القرى داخل الزوايا وهي أماكن مخصصة للعبادة تابعة للطريقة.

والحضرة موضوع البحث هي الحضرة التي تقام في المسجد، ومسجد الحسين بالذات. وهي تقام مساء يوم الثلاثاء أسبوعيا بعد صلاة العشاء. وهذه الحضرة تضم حوالي ألفين من أهل الطريقة وقد تضم ذاكرين من غير أهل الطريقة، بشرط احترام النظام والتقاليد الروحية للحضرة. ويشترط أن تقام هذه الحضرة الكبيرة تحت إشراف شيخ مشايخ الطريقة، ويلقب أيضا بشيخ السجادة أو صاحب السجادة، بمعنى شيخ الطريقة.

والحضرة كشكل لتجمع أهل الطريقة بقصد الذكر، تخضع لنظام معين في ترتيب أماكن جلوس الحاضرين داخل المسجد، وشكل الحضرة على هذا الأساس يأخذ شكل مستطيل بداخله صفوف الذاكرين من أهل الطريقة، وفي أول صف للمنشدين على يسار موقع الشيخ يوجد موقع رئيس فرقة المنشدين بالقرب منه، ثم صفان من المنشدين وخلفهما صفوف الذاكرين، وما وصفناه من صفوف المنشدين والذاكرين على يسار موقع الشيخ يوجد ما يطابقه تماما في عدد الصفوف على يمين موقع الشيخ، وفي منتصف الصف الأول للمنشدين على يمين موقع الشيخ يوجد موقع رئيس فرقة المنشدين، وبين صفي المنشدين على يمين موقع الشيخ يوجد موقع خليفة خلفاء السجادة، أي خليفة الشيخ.. وحول صفوف الحضرة يوجد عشرة نقباء للأشراف على نظام الحضرة.

ويساعد النقباء في مهمتهم 16 منظما يقف كل اثنين منهم عند طرفي كل صف من صفوف الذاكرين والمنشدين.

ومن وظائف النقباء في الحضرة - بجانب إشرافهم على النظام - توصيل إشارات الشيخ إلى الذاكرين من قيام وقعود وسكوت وذكر، وانتقال من درجة سرعة إلى درجة أخرى في أداء الذكر والإنشاد. وهنا في هذه الحالة الأخيرة فإن الشيخ هو الذي يضبط إيقاع الذكر والإنشاد من أول الحضرة إلى آخرها، ووسيلته في ذلك هي التصفيق، كما أن الشيخ هو أول من يبدأ بصوته افتتاح الحضرة، كما سنبين عند حديثنا عن الذكر.

### الذكر والإنشاد:

الذكر هو مجموعة نصوص قديسية، وهذه النصوص قسمان:

الأول هو الأوراد الحامدية ومجموع هذه الأوراد من اختيار شيخ الطريقة، ولها ثلاث وظائف: الأولى للاستغفار وعلى المرید أن يؤديها مائة مرة كل يوم صباحا ومساء.. والثانية للصلاة على

النبي ﷺ ولها صيغة معينة وعلى المرید أداء هذه الصيغة مائة مرة صباح ومساء كل يوم..  
والتالفة للتوحد «لا إله إلا الله» وأیضا یؤدیها المرید مائة مرة صباح ومساء كل يوم.  
أما القسم الثاني من نصوص الذكر فهو خاص بالأحزاب، والحزب معناه مجموعة دعوات  
وابتهالات وصلوات، وهي من تألیف شیخ الطريقة، وبعضها من تألیف غیره من مشایخه  
السابقین.

والأحزاب التي ألفها شیخ الطريقة الحامدية الشاذلية المؤسس، ومنها على سبيل المثال: حزب  
الجوهرة وحزب تقريج الكروب، ومن الأحزاب المختارة حزب الوظيفة مثلا أو حزب النصر  
تألیف أبو الحسن الشاذلي.

إن الذكر أي ذكر النصوص القدسية من أوراد وأحزاب هو المضمون الصوفي للحضرة، بمعنى  
أنه وسيلة المرید في الطريق الذي یبتغي بها تقوية روحه بالجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس لمحو  
الصفات المذمومة، ویأمل الوصول إلى الحضرة العلية؛ ولذلك أخذ اجتماع المریدین للذكر اسم  
الحضرة.

إن الذكر كركيزة صوفية وجد التعبير الملائم له في التكوين الموسيقي للحضرة، وهذا التكوين  
ینقسم إلى قسمین يجب التمييز بينهما بدقة:

القسم الأول: هو إلقاء نصوص الذكر - وهذه النصوص تحتوي على ذكر الجلالة واسم الله...  
إلخ، وفي اعتقاد الصوفي أن هذه النصوص القدسية لا يجب أن تحتويها الألحان؛ ولذلك فإن  
الذكر بالنصوص القدسية يعتمد موسيقيا على عنصر الإيقاع، ویختلف منه عنصر المقام  
الموسيقي، ولناخذ مثلا بداية الذكر في الحضرة، إذ یؤدی الشيخ ومن بعده جميع الحاضرين:  
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم.

إن الأداء هنا يبدأ من نغمة «درجة دو الوسطى» وینتقل إلى مسافة رابعة على نغمة «درجة فا»  
وعند «الرحيم» يحدث الركوز على نغمة درجة السيكاه «مي» نصف بيمول. انظر التدوين  
الموسيقي.

إن مثل هذا الأداء لنصوص الذكر يعتمد على عنصر الإيقاع ویخلو منه عنصر المقام الموسيقي  
وإن استعان بالنغمات الثلاث السابق ذكرها، وعلى هذا الأساس فإنني أصف إلقاء الذاكرين بأنه  
إلقاء إيقاعي شبه منغم، وأن ضغوطه الإيقاعية - القوية والضعيفة - نابعة من نطق اللغة السليم  
الذي یراعى فيه ضبط خصائص الصوت والنبرات في الكلمات؛ وذلك لأن هذه الخصائص  
جوهرية في تحديد معنى الأسماء والألفاظ القدسية التي تتكون منها نصوص الذكر.

أما القسم الثاني: في التكوين الموسيقي للحضرة فهو الإنشاد، والإنشاد عند الصوفي معناه أداء الشعر، والمعنى المقصود هنا هو أداء الشعر بالنغم، وهكذا فإن إنشاد الشعر الصوفي جماعيا في الحضرة أو بالحوار بين المنشد المنفرد وجماعة المنشدين، إنما يحتوي على عنصر الإيقاع وعنصر المقام الموسيقي ومن هذين العنصرين تتكون ألحان الشعر الصوفي، إن التكوين الموسيقي للحضرة الذي يشتمل على الذكر والإنشاد يحتويه قالب موسيقي خاص تحدده الوظيفة الروحية للحضرة.

### القالب الموسيقي للحضرة:

إن الحضرة هي نظام الذكر الجماعي، وهي لذلك أهم التقاليد الروحية ممارسة في الطريقة الصوفية، أولا: لأنها جماعية، ثانيا: لأنها ذكر بحضور شيخ الطريقة. وما يقابل الحضرة وهي الذكر الجماعي، هو الذكر المنفرد الذي يؤديه المرید في خلوته. إن المرید في الطريق إلى الله يلتزم قراءة نصوص الذكر من أورد بعدد المرات المنصوص عليها في قانون الطريقة، وهي تتراوح بين المائة والألف، والمرید يقرأ هذه الأورد بأنواعها المختلفة صباح ومساء كل يوم، كما أنه لا يقرأ أورادا تابعة لشيخ طريقة أخرى، وهو بذلك يمارس تجاه نفسه يوميا وبتكرار منتظم، عملية إحياء ذاتي قوية تربطه بشيخ الطريقة الذي حدد واختار له نصوص الأورد التي عليه أن يقرأها كل يوم في الصباح والمساء. وبهذا الإحياء الذاتي أيضا فإن المرید يدعم اعتقاده في أعماق نفسه هو أن المدد الروحي يأتيه من عند الله ومن خلال شيخ الطريقة الذي اختار له نصوص الأورد المنصوص عليها في قانون الطريقة، ولا يكفي أن يؤدي المرید الذكر بمفرده، وإنما يجب عليه أداء الأورد وغيرها من النصوص القدسية مع الأحباب...

وهكذا كنت أذهب إلى مسجد الحسين ومسجد السيدة زينب قبل صلاة العشاء لألاحظ حالة الاستعداد لإقامة الحضرة، وكنت أكتشف تهافت المریدين على الاشتراك فيها، وناقشت كثيرا منهم وقالوا: إننا لا نكتفي بالذكر بمفردنا، ونحن ننتظر تلك الساعة في ذلك اليوم المحدد لإقامة الحضرة حتى نأتي لنشترك في الذكر مع الأحباب ونكون بالقرب من حضرة الشيخ، ونحن نأتي إلى الحضرة مهما كلفنا الأمر من مشاق... وكنت أشاهد بعد أن تبدأ الحضرة بعض الأشخاص يأتون في حالة لهفة لأنهم قد تأخروا قليلا أو كثيرا عن ميعاد بدء الحضرة، ثم يبحثون عن مكان لهم للانضمام إلى صفوف الأحباب، ويساعدتهم في الحصول على المكان الملائم نقباء الحضرة المسئولون عن النظام.

ونحن قد فرقنا بين الذكر الجماعي والذكر المنفرد؛ لأن الأخير لا يدخله عنصر الإيقاع أو النغم، وقد يحدث للمريد أحيانا وهو في جلسته منفردا أن يتمايل برأسه وكتفيه بخفة إلى اليمين واليسار. وبتكرار يحقق نوعا من الإيقاع المنتظم، ورغم ذلك فإننا نعتبر الذكر المنفرد خارجا عن نطاق حديثنا عن القالب الموسيقي للحضرة.

وحديثنا عن القالب الموسيقي للحضرة يتحدد في قسمين:

**أولا: الشكل العام أو الإطار الخارجي لهذا القالب الموسيقي.**

**ثانيا: ما يحتويه هذا القالب من عناصر موسيقية مرتبطة بمعاني نصوص الذكر.**

**الشكل الموسيقي العام للحضرة:**

إن الإلقاء الإيقاعي شبه المنغم المرتبط بنصوص الذكر هو المحور الذي يحدد الشكل الموسيقي العام للحضرة، وهذا المحور الإيقاعي شبه المنغم يتخلله إنشاد ألحان الشعر الصوفي. وهكذا تقوم نصوص الذكر بالربط بين فقرات إنشاد ألحان الشعر الصوفي وأيضا الاستمرار في شكل وحدة إيقاعية مسموعة في خلفية هذا الإنشاد، وكذلك فإن قراءة جزء من القرآن هي التي يقوم بها مقرئ خاص، وهي الفقرة التي تقسم الشكل الموسيقي العام للحضرة إلى قسمين: الأول يكون فيه أداء الذكر بالإلقاء الإيقاعي شبه المنغم، بينما في القسم الثاني فإن الذكر يدخل في صميم ألحان إنشاد الشعر الصوفي، بحيث تأخذ ألحان الإنشاد شكل الحوار اللحني مع الذاكرين الله الله ثم الله الله لا إله إلا الله مولانا... والذكر هنا يصبح جزءا من تكوين قصيدة الشعر الصوفي، ويتحول إلى جملة لحنية تأخذ شكل المذهب الذي يردده الذاكرون بعد ترديد المنشدين للحن كل شطر أو بيت من أبيات قصيدة الشعر الصوفي.

إن الشكل الموسيقي العام للحضرة له مقدمة وخاتمة. وتتكون المقدمة والخاتمة من جزء من نصوص الذكر يؤديه الذاكرون، بالإلقاء الإيقاعي شبه المنغم، وهكذا تتشابه بداية ونهاية الشكل الموسيقي العام للحضرة.

**محتويات القالب الموسيقي للحضرة:**

تبدأ الحضرة بالإلقاء الإيقاعي شبه المنغم لجزء من حزب الجوهرة، ويسمع مع البداية صوت شيخ الحضرة في أداء أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم من درجة «دو الوسطى»، والارتفاع منها مسافة رابعة - لحنية تامة - وهكذا يستمر صوت الشيخ على درجة «فا» ثم الركوز أسفل هذه الدرجة على درجة «مي نصف بيمول» عند كلمة الرحيم... ويستمر الإلقاء شبه المنغم مع استمرار أداء الذاكرين للنصوص التي يتكون منها الجزء المحدد من حزب

الجوهرة، وينتهي هذا الجزء بقفلة لحنية تامة على درجة أساس «مقام السيكاه»، وبهذه القفلة اللحنية التامة تنتهي مقدمة أو بداية الحضرة، والذاكرون يؤدون هذه المقدمة وهم جالسون، ويقال في هذه الحالة إن الحضرة من جلوس.

بعد المقدمة وانتهائها على درجة السيكاه «مي نصف بيمول» يؤدي شيخ الحضرة صعودا من هذه الدرجة «لا إله إلا الله» على درجة «سي» بيمول، وخلف الشيخ يردد الذاكرون «لا إله إلا الله» وتدور أصواتهم في البداية حول درجة «سي بيمول»، ولكن مع استمرار أداء لا إله إلا الله تهبط أصواتهم نصف درجة صوتية وتستقر بذلك على درجة «لا»، ويتكرر ذكر لا إله إلا الله 45 مرة في وحدة إيقاعية منتظمة يقوم الشيخ بضبط أدائها معتدل السرعة بالتصفيق.

كما يصاحب تكرار الوحدة الإيقاعية لذكر لا إله إلا الله حركة يؤديها الذاكرون، وهي حركة بالرأس تبدأ من اليسار إلى اليمين مع ذكر «لا إله» ومعناها النفي، ثم تستقر حركة الرأس عند اليسار حيث مكان القلب في صدر الإنسان مع ذكر «إلا الله» ومعناها الإثبات.. وهنا فإن الوحدة الإيقاعية وحركة رؤوس الذاكرين المرتبطة بها إنما تؤديان وظيفة صوفية، وهي تأكيد معنى النفي ثم الإثبات في ذكر الجلالة أي لا إله إلا الله.

وبعد ذكر الجلالة يبدأ الذكر بلفظ الجلالة «الله» وهنا يعطي الشيخ الإشارة الصوتية بصوته حول درجة «ري بيمول» صعودا من درجة «سي بيمول» التي بدأ بها الشيخ ذكر لا إله إلا الله، وخلف إشارة الشيخ يردد الذاكرون «الله» حول درجة «ري بيمول» التي بدأ بها الشيخ، ثم تهبط أصواتهم بعد قليل نصف درجة صوتية وبذلك تستقر على درجة «دو».

ونلاحظ منذ بداية الذكر حتى الآن أن درجة الصوت التي بدأت من «دو الوسطى» قد انتقلت صعودا إلى درجة «فا» ثم استقرت على درجة «مي نصف بيمول» مع قفلة المقدمة، ثم عادت إلى الارتفاع من درجة «مي نصف بيمول» أي درجة «لا» مع أداء الذاكرين لا إله إلا الله ومن درجة «لا» صعودا إلى درجة «دو»، وهكذا بلغت أصوات الذاكرين إلى ارتفاع «أوكتاف» بالنسبة لدرجة بداية الذكر «دو الوسطى»... إن هذا الصعود التدريجي في أصوات الذاكرين الذي يقوده شيخ الحضرة منذ بداية الذكر بجزء من حزب الجوهرة حتى الذكر بلفظ الجلالة «الله» إنما يعمق إحساس الذاكرين برفعة «الله»، وهم عندما يصلون إلى ذكر «الله» يؤدون الذكر بالأداء الزمني البطيء على درجة «دو» - أوكتاف دو الوسطى- 3 مرات ثم يقفزون بأصواتهم في وحدة إيقاعية منتظمة من درجة «دو» - أوكتاف دو الوسطى- إلى درجة «فا»، وتستمر هذه الوحدة الإيقاعية بالأداء الزمني البطيء 23 مرة ثم تتزايد بسرعة.

أداء الذكر بالتدرّج وبتوجيه من تصفيق شيخ الحضرة حتى يبلغ الأداء أقصى سرعة ممكنة، ويحدث ذلك مع تكرار الوحدة الإيقاعية للذكر 44 مرة.

ومن نقطة الذروة التي انتهى إليها أداء الذاكرين متزايد السرعة بلفظ الجلالة «الله» يبدأ شيخ الحضرة فيعطي إشارته بصوته، ويبدأ معه الذاكرون من قرار النغم على درجة «لا نصف بيمول» تحت «دو الوسطى»... يذكرون بلفظ الجلالة «الله» وبأداء بطيء يوحى بالعظمة 5 مرات ويمهدون بذلك لبداية الفقرة الأولى من الإنشاد.

يبدأ المنشدون بإشارة من شيخ الحضرة أداء لحن من مقام «البياتي على النوى» وبداية نص الكلمات:

يا إمام الرسل يا سندي  
أنت باب الله معتمدي  
وفي دنيايا وأخرتي  
يا رسول الله خذ بيدي

نقلت نص الكلمات من رئيس المنشدين، أما اللحن فهو من التراث وغير معروف ملحنه، وهذا ما قاله رئيس المنشدين، والملاحظ أن اللحن أقدم من الكلمات، وهذا واضح من عدم مطابقة أبعاد الكلمات مع أبعاد النغم في اللحن، أما الأداء في بداية اللحن على وجه الخصوص فهو قريب الشبه بأداء ألحان الكنيسة.

بالانتهاء من إنشاد اللحن المتكرر لقصيدة «يا إمام الرسل» يبدأ المنشدون أداء لحن قصيدة «نور النبي لما ظهر» من نفس المقام الموسيقي للقصيدة السابقة ولكن مع تغيير وحدته الإيقاعية. إن إنشاد القصيدتين السابقتين من نوع الإنشاد الجماعي، وهو بمثابة افتتاحية تمهد لبداية الإنشاد المنفرد.

وقبل أن يبدأ الإنشاد المنفرد يظهر دور الذكر في الربط بين فقرات الإنشاد، فيبدأ الذاكرون أداء لفظ الجلالة «الله» في وحدة إيقاعية منتظمة مستمرة الحركة يضبط حركتها شيخ الحضرة بالتصفيق، وأصوات الذاكرين هنا خافتة، ويقال عنها في اصطلاحات الإنشاد الصوفي «الأداء بدرجة أعلى من السر» ويستمر أداء الذاكرين الخافت على درجة «صول تحت دو الوسطى»، ثم يؤدي المنشد المنفرد- وهو الصوت الأمامي- خطوط ألحانه مبتدئاً بمقام البياتي على النوى،

وملتزما أداء الألحان مع الارتباط بميزان الوحدة الإيقاعية- الخلفية- التي يؤديها الذاكرون مع أداء لفظ الجلالة «الله».

يبدأ المنشد المنفرد بكلمة «مدد» وهي تعني المدد الروحي الذي يأتي من عند الله ويصل إلى المريدين الذاكرين من خلال الشيخ، وهنا فإن صوت المنشد وسيلة للنشوة وتوصيل المدد إلى المريدين الذاكرين في الحضرة.

ولذلك يقال في الاصطلاح الصوفي إن الذاكرين هم القوم وإن المنشد هو ساقى القوم يسقيهم كأس النشوة الروحية، ولذلك فإن استخدام «المدام» في القصائد الصوفية إنما يعني «النشوة الروحية».

مع أداء ذكر «الله» بدرجة أعلى من السر خلف ألحان المنشد المنفرد، يحرك الذاكرون رؤوسهم من وضعها الطبيعي إلى الأمام قليلا والرجوع بها إلى مكانها الطبيعي بخفة.

وكما هو الملاحظ دائما فإن الذكر يبدأ يتدرج في السرعة حتى بلوغ أقصى سرعة ممكنة، وهو كخلفية إيقاعية للإنشاد المنفرد، فإن هذا الإنشاد لا بد أن تتزايد سرعته أيضا لارتباطه بميزان الوحدة الإيقاعية المستمرة كخلفية له، وعندما يبلغ الذكر أقصى سرعته فإنه بذلك يمهد لبداية الإنشاد الجماعي لقصيدة صوفية جديدة، ويوحى بذلك أداء المنشد المنفرد للأبيات الأولى من القصيدة فينضم إليه في أدائها جماعة المنشدين.

والقصيدة هنا تبدأ:

«إذا ضاق صدري والكروب تزايدت»

وبانتهاء هذه القصيدة على «درجة صول» وهي درجة أساس «مقام البياتي على النوى» الذي صيغت منه ألحان القصيدة، يظهر من جديد دور الذكر في الربط بين فقرات الإنشاد بجانب وظيفته كخلفية إيقاعية منتظمة للإنشاد عموما.

هنا يبدأ الذاكرون بذكر «الله» بصوت قوي يقال عنه في اصطلاح الإنشاد الصوفي «الجهر العالي»، ولا يبدأ الذاكرون كالعادة إلا بعد إن يعطيهم شيخ الحضرة إشارة البدء بصوته، وهي على درجة «دو» صعودا من درجة «صول» التي انتهت عليها لحن القصيدة.

ويقال إن أداء ذكر «الله» بالجهر العالي بعد القصيدة وبأداء زمني سريع، وظيفته تنشيط قلوب الذاكرين وتمهيد لبداية مرحلة جديدة من الذكر باسم «هو» بالجهر المتوسط وبأداء زمني بطيء على درجة «لابيمول» فوق «الوسطى».

يستمر الذاكرون في أداء الوحدة الإيقاعية المنتظمة البطيئة بالذكر «هو»، وتصبح في الخلفية عندما يبدأ المنشدون أداء قصيدة «طلع البدر علينا» من مقام «لابيمول الكبير».

وكالملاحظ دائما فإن الذكر كوحدة إيقاعية في الخلفية تزداد سرعته وتبعا له تزداد سرعة إنشاد القصيدة، ومع هذا التزايد في السرعة يتحول الذكر من الجهر المتوسط - أي الأداء بصوت متوسط القوة- إلى الجهر العالي - أي الأداء بصوت قوي- وعند هذه النقطة يبدأ المنشدون أداء قصيدة أخرى، وهي هنا قصيدة «نسمات الحي هبت» من «مقام الراسد على درجة لابيمول» وتندرج سرعة أداء الذكر والإنشاد لتبلغ أقصى سرعة ممكنة.

ثم يبدأ الذاكرون يتبعون صوت شيخ الحضرة- بعد انتهاء الإنشاد- بأداء الذكر بلفظ «حي» وبالجهر العالي المنطلق اي بأقصى قوة، وبأداء زمني متوسط السرعة تستمر الوحدة الإيقاعية المنتظمة للذكر بلفظ «حي» كخلفية لألحان المنشد المنفرد.

المنشد المنفرد هنا يبدأ بـ«بالممدد» ويستخدم أكثر من مقام موسيقي في صياغة ألحانه، ومن أهم هذه المقامات الموسيقية المرتبطة بعمق بمزاج المستمع المصري، مقام «الصبأ» والحزن هو طابع هذا المقام الموسيقي، وبعد الإنشاد المنفرد ينضم المنشدون إلى رئيس الإنشاد في أداء قصيدة صوفية هي نشيد صوفي عن شيخ الطريقة ومؤسسها، ثم يسكت الإنشاد، ويظهر الذكر بالجهر العالي المنطلق وبسرعة متزايدة، ثم يهبط بالتدريج إلى الأداء بدرجة أعلى من السر، ويستمر كخلفية إيقاعية سريعة لألحان المنشد المنفرد مرة أخرى مبتدئا بـ«الممدد»، وبعد انتهاء الإنشاد المنفرد ينضم المنشدون إلى رئيسهم المنشد المنفرد في أداء قصيدة صوفية «ولكنها مرت كأحلام نائم» ولحن القصيدة من مقام «حجاز كار»، وكالملاحظ دائما فإن أداء الوحدة الإيقاعية للذكر في الخلفية يزداد سرعة، كما تزداد سرعة إنشاد القصيدة تبعا لذلك، وعندما تبلغ السرعة ذروتها يظهر الذكر في حالة استمرار وقد سكت الإنشاد.

هنا يبدأ الذكر بلفظ «قيوم» على درجة «صول فوق دو الوسطى»، بالجهر المتوسط وبأداء زمني متوسط السرعة. بعد الذكر بلفظ قيوم يعطي شيخ الحضرة الإشارة بصوته ذاكرة بلفظ الجلالة «الله» ويبدأ بعده الذاكرون على درجة «دو- أوكتاف دو الوسطى» مرتين، ثم يتحول أداء الذكر إلى الجهر العالي مع المد الطويل أي الأداء البطيء العريض، ثم الذكر بلفظ الجلالة السرعة المتوسطة وبالتدريج إلى أقصى سرعة ممكنة يحددها الشيخ بالتصفيق، وذلك مع انتقال أصوات الذاكرين بلفظ الجلالة «الله» من درجة «دو - أوكتاف دو الوسطى» صعودا إلى درجة «فا»، ويتكرر الذكر هنا بوحدته الإيقاعية متزايدة السرعة 50 مرة، بعدها يعطي شيخ الحضرة الإشارة

لذاكرين ومعناها أنه يدعوهم للجلوس، ثم يجلس الذاكرون والمنشدون وتسود الحضرة حالة صمت استعدادا للاستماع إلى ما تيسر من آيات القرآن الكريم ويسود أنغام هذه القراءة طابع مقام البياتي. وعند هذه الفقرة وهي قراءة القرآن الكريم وبعد أن تصبح الحضرة من جلوس، ينتهي القسم الأول من الشكل الموسيقي العام للحضرة.

وبعد انتهاء المقرئ من قراءة ما تيسر من القرآن الكريم تستمر الحضرة من جلوس، وأول ما تبدأ به هو اشتراك الذاكرين والمنشدين في الإنشاد بالتنغيم البسيط المصاحب للجلالة «لا إله إلا الله» وبهذا التنغيم البسيط يبدأ القسم الثاني من الحضرة، وهو القسم الذي يندمج فيه الذاكرون مع المنشدين في أداء الحان القوائد الصوفية وترديد نفس ألحان هذه القوائد ولكن مع لفظ الجلالة «الله» أو بالإضافة إلى «لا إله إلا الله مولانا».

ينتهي القسم الثاني من الحضرة الذي يجمع الذاكرين والمنشدين في أداء ألحان القوائد الصوفية عندما يعطي شيخ الحضرة إشارة النهاية، ثم يقول للذاكرين والمنشدين بصوت هادئ: الفاتحة يا أحباب، وهكذا يبدأ الجميع قراءة الفاتحة، وتكون هذه القراءة في السر، والقاعدة أن تقرأ الفاتحة 3 مرات، الأولى لأبي الحسن الشاذلي (رضي الله عنه) والثانية لسلامة الرازي (رضي الله عنه) والثالثة للنبي (ﷺ) وأهل بيته الكرام، ولا تقرأ الفاتحة في كل مرة إلا بعد إذن شيخ الحضرة بقوله: الفاتحة يا أحباب.

وتقرأ الفاتحة لرباع مرة بإذن من شيخ الحضرة كبديل للمصافحة حيث لا يستطيع شيخ الحضرة مصافحة جميع الحاضرين لكثرة عددهم.

وبعد قراءة الفاتحة للمرة الرابعة يؤدي الذاكرون والمنشدون ذكر الجلالة «لا إله إلا الله» 3 مرات ثم «محمد رسول الله» مرة واحدة. وهذا الذكر هو خاتمة الحضرة وعادة تتبعه قراءة الفاتحة- بالجهر- لصاحب المقام الذي يحتويه المسجد الذي أقيمت فيه الحضرة، ويضاف إلى الفاتحة «الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله، ألف صلاة، وألف سلام عليك يا أول خلق الله وخاتم رسل الله»... والأداء هنا بالإلقاء الإيقاعي شبه المنغم وهو نفس الأداء الذي تبدأ به الحضرة.

### الخصائص الفنية للأغنية الصوفية:

من المقالات النادرة التي تناقش الخصائص الفنية للأغنية الصوفية هذه المقالة التي نشرها موقع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب، ورغم أنها تضرب أمثلة من الطرق الصوفية في المغرب التي قد لا تكون معروفة في مصر، إلا أنها تحمل سمات الأغنية الصوفية في أي مكان، ولذلك ننشر نصها فيما يلي:

للأغنية الصوفية خصائص ومميزات متعددة سواء من حيث نوعية الموضوعات التي تتطرق إليها، أو من حيث اعتمادها على ألحان موسيقية مميزة، هي في الغالب مزيج من الطبوع والمقامات المستعملة في أنماط الموسيقى المغربية.

### تتميز الأغنية الصوفية بخصائص فنية أهمها:

1.1- أنها تعتمد من حيث الموضوعات على قصائد منظومة في الذكر لأقطاب الصوفية كابن الفارض والششتري والحراق، وعلى ما نظمه أشياخ الطرق ورجالها من أوراد وأحزاب وأدعية. ومثال ذلك دلائل الخيرات للشيخ الجزولي المتوفى عام 870 هـ، والصلاة المشيشية لمولاي عبد السلام ابن مشيش، وحزب الإبريز للشيخ سيدي محمد بن عيسى، وورد الكتانيين وأذكار الطريقة الوزانية والتيجانية وغيرها. وقد ألقت بعض هذه الأوراد بلغة هي مزيج من الفصحى والعامية وألقت أخرى بإحدى اللهجات الأمازيغية إمعانا في استنهاض القوم بلسانهم، مثل كتاب «بحر الدموع» للشيخ محمد ابن علي الهوزالي، ومنظومة الأصناكي وغيرها، وهكذا يجمع كلام الصوفية بين المنظوم والمنثور، في حين لا تنشئ طوائف المستمعين إلا الأشعار المنظومة.

1.2- تقدم الأغنية الصوفية على ألحان موسيقية هي في الغالب مزيج من الطبوع والمقامات المستعملة في أنماط الموسيقى المغربية. وأغلب هذه الطبوع تلك المستعملة في الموسيقى الأندلسية. وقد أفرد الدلائي خاتمة كتابه لذكر ما هو مستعمل من الطبوع الأندلسية في محافل الذكر عند المتصوفة، وفي هذا الفصل ذكر طرائق من بعض الطبوع الأندلسية هكذا:

- طريقة من الحجازي المشرقي في إحدى وعشرين صنعة.
- طريقة من الاصبهان في عشر صنعات.
- طريقة من رمل المائة في خمس صنعات.
- طريقة غربية الحسين والصيكة مختلفتين في تسع عشرة صنعة.
- طريقة من الحجازي الكبير والحصار في اثنتي عشرة صنعة، الأربعة الأخيرة منها تميل إلى طبع عراق العجم، وتتلوها أربع صنعات تميل إلى رمل الذيل، ثم أربعة أخرى تخرج فيها إلى طبع الرصد.

- طريقة من المشرقي الصغير في سبع صنعات تليها سبع أخريات في طبع الاستهلال. وهكذا يبلغ عدد طبوع الموسيقى الأندلسية المستخدمة عند أصحاب الذكر حسب الدلائي اثني عشر طبعا .

1.3- وأغلب ما يكون الذكر جماعيا، وهو ما يرمز إلى التلاحم الروحي الذي يجمع بين أتباع الطريقة.

1.4- أما الرقص فلقد وجدوا فيه خير سبيل إلى استراق القلوب واستلاب الوجدان، وكأنما يريدون من خلال تعاطيهم للشطح تكسير القيود التي تربطهم بالأرض والناس والحياة المادية ليحلوا في الأجواء الروحانية الصافية. وتتمسك الطرق بالرقص تمسكا عظيما لأنها تعتبره أداة فعالة في تحقيق المقاصد الصوفية. ومن ثم فقد غدا يمثل ركنا من أركان الفن الصوفي، إلى جانب الذكر والغناء والموسيقى.

يروى الحسن اليوسي في المحاضرات : «أن جماعة قدموا على سيدي محمد الشرقي التادلاوي، فخرج إليهم، وتحرك سماع، فلم يشعروا به إلا وهو وسطهم يتواجد، وليس عليه القميص، فقال بعض الجالسين سرا: هذا رجل خفيف. فإذا هو على الفور تكلم على خواطرهم فقال:

الله الله يا لله

الله الله يا لطيف

والحب يهز الرجال

لا والله مانى اخفيف

ويعقب اليوسي على ذلك فيقول: ومن هذا قول القطب العارف الشيخ أبي مدين رضي الله عنه:

فقل للذي ينهى عن الوجد أهله

إذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا

وأهم ما يميز رقص الطرقيين أنه يسير وفق قواعد وتقاليد متوارثة بين رجال الطرق، وأنه «يختلف حركة وقوة وحدة باختلاف الطوائف: فإذا كان مثلاً رقص درقاوة والقاسميين هادئاً ليس فيه غير الهز العمودي للجسم، فإن رقص احمادشة وعيساوة يعتمد على تحريك قوى الجسم والأطراف، مع الضرب العنيف بالأقدام على الأرض». ويبلغ الرقص حدته عند بعض الطوائف وخاصة لدى انصرافها إلى التوسل وال جذب على مقاطع كلمة «المدد» التي ترددها على نغمة مكررة، كما هو الشأن عند العيساويين وأهل توات. وهو في هذه الحالة يتحد ويصطخب ويبلغ من العنف درجة قصوى

لا يوازئها إلا قوة الأداء الصوتي الذي يكاد يتحول إلى حشجة مختنقة.

وقد تستحوذ على المرید المنهمك في الذكر والرقص حالات من الوجد يفقد معها وعيه بالناس وشعوره بما حوله. وإلى ذلك يشير ابن خلدون إذ يقول: «إن الجسد إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن ضعفت أحوال الحس وقويت أحوال الروح وغلب سلطانه وتجدد نشوؤه». ويذهب ابن خلدون بعد ذلك إلى تعليل هذه الظاهرة فيقول: «وأعان على ذلك الذكر فإنه كالغذاء لتنمية

الروح». وهو تعليل كما نرى تطبعه سمة تجمع بين النزعة الصوفية والنظرة العلمية، في حين يذهب غيره مذهب التأثير بالخوارق فيزعم أن مثل هذه الحالات إنما هي من كرامات الصوفيين. وقد أنشد صاحب التشوف البيت التالي:

ولله في الأرواح عند استماعها

إلى اللحن سر في الورى غير مظهر

وهكذا أصبح التوسل بالأورد والأذكار يشكل إلى جانب المواظبة على الصلاة دعامة أساسية في تكوين المرید وتربيته تربية روحية.

1.5- وإلى جانب الرقص، تساهم الآلات النقرية بدورها في بلورة الخصائص الإيقاعية لأغاني الطرفين. ويبدو ذلك جليا من وفرة هذه الآلات التي تصاحب الإنشاد وحركات الرقص، كالطبلية لدى القاسميين، والدف والطاسة عند التهاميين، والطاراة عند العيساويين، والهواز لدى الهداويين، والتعريجة وأكوال عند احمادشة، والبندير لدى الجيلاليين.

ولقد كان من نتائج تداول آلات النقر أن أصبحت بعض إيقاعات الأغاني الصوفية بالغة التعقيد والصعوبة، وخاصة لدى احمادشة وهداوة، كما بلغت الأوزان من الاكتمال ما جعلها تقوم بذاتها وتسنقل بكيانها. ومن أبرز هذه الأوزان أوزان احمادشة، وهي الخماري والمزلوك والمجرد، وأوزان جيلالة، وهي الرباني والجيلالي والمجرد والجيلالية.

1.6- وعلى النقيض من لجوء هذه الطوائف ونظائرها إلى صياغة ألقانها في أوزان موسيقية محددة الإيقاع، يلجأ مریدو الطريقة الجزولية وما شاكلها من الطوائف التي تترفع عن استعمال الآلات إلى الاعتماد على الألفاظ واعتبارها أساسا لتوقيع الألقان، فتمد أو تقصر الكلمات، وتسكن المتحرك، وتحرك الساكن، بحسب ما يلائم ذلك من الألقان، وهكذا تتحكم الكلمات هي وحدها في النفس اللحني، ويكاد ينعدم الميزان بمعناه الموسيقي. وقد أشار إلى هذه الظاهرة السملالي المراكشي صاحب الإعلام في صدد ترجمته للشيخ الجزولي.

وقد انعكست نتائج هذه الظاهرة على الإنتاج الغنائي لهؤلاء المادحين، فجاءت أناشيدهم حرة الأداء، وكانت أدعى إلى التأمل والتدبر فيما احتوته من معان، في حين انعكس الالتزام بالموازين لدى الطوائف الأخرى على أغانيها، فجاءت صاخبة الإيقاع، وكانت بدورها أدعى إلى التواجد والشروء الفكري، كما كانت حركاتها أقرب إلى الجذب منها إلى الرقص الموقع.

وباستثناء بعض الطرق الصوفية التي لا تستخدم الآلات مطلقا، وإنما تعتمد كلية على الإنشاد الصوتي وفق الأنغام الموسيقية على طريقة المسمعين، كالكثانيين والتيجانيين والشرفاء الصقليين،

فإننا نجد باقي الطرق، وهي التي تشكل النسبة الغالبة، تعتمد في إنشادها على المصاحبة الآلية. ونستطيع أن نصنف هذه الطرق في فئات ثلاث:

**الفئة الأولى:** تعتمد بالدرجة الأولى على الآلات الوترية. وتشكل من الطرق التي ينتسب رجالها وروادها في الغالب إلى الأوساط البورجوازية والمحافظة. وتكاد هذه الفئة تلتقي في استخدامها للوتريات مع أجواق «الآلة الأندلسية للشبه القائم بينهما». وأبرز طوائف هذه الفئة: الصديقية والحراقية والريسونية والشقورية والدرقاوية، وإلى هذه الفئة الأخيرة أشار التادلي بقوله:

السادات الصوفية أصحاب مولاي العربي الدرقاوي، ومعهم مولاي عبد الرحمن الفجيجي الذي يضرب العود. ومن خلال تتبع حلقة ذكر تحييها الزاوية الشقورية بالشاون يلاحظ استعمال الكمنجة والعود والرباب مع الاعتماد على الطر والدربوكة لضبط الإيقاع. والواقع أن مدن الشمال تكاد تنفرد بظاهرة استخدام الآلات الوترية في مصاحبة الإنشاد داخل الزوايا، وهي ظاهرة تؤكد النزعة التحررية وسمة التسامح اللتين تطبعان النشاط الموسيقي بالمدن الشمالية.

**الفئة الثانية:** تعتمد في مصاحبة إنشادها على آلات النفخ والنقر، مثل التهاميين والغازيين والعيساويين واحمادشة وجيلالة، وينتمي أغلب هذه الطرق إلى أوساط الحرفيين وعمامة الشعب، على أن آلات النقر تحتل الدرجة الأولى في الاستعمال بالنسبة للأسرة الهوائية التي تحتضن النفير الغيطة والليرة والعود (وهو مزمار من قصب سميك).

**الفئة الثالثة:** تكاد لا تستعمل سوى آلات النقر كطائفة هداوة، وإلى ذلك أشار إبراهيم التادلي إذ قال: إن الهداويين يستعملون الإيقاع الثلاثي، فإن دقهم في أكوال ثلاث مرات يشطحون ويضربون عليه. وتندرج تحت هذه الفئة الزاوية الحسونية بسلا، غير أنها تستخدم من بين آلات النقر ما هو ألصق بألوان الموسيقى الشعبية كالتاسة والطبلة والطبل الكبير والطاراة التي يراد بها البندير.

ويلاحظ أن الفئتين الأخيرتين لا تستعملان آلات الوتر في غالب الأحيان، فإن هما استخدمتاها كان ذلك على سبيل نقرها بالأصابع لا غير، كما هو الشأن في استعمال احمادشة للكمبري وكناوة للهجهوج.

ولقد وقفت بعض الطوائف الصوفية من الآلات الموسيقية موقفا سلبيا، فاستتكت عن استخدامها في أذكارها، في حين رحبت بها طرق أخرى ولم تر في استعمالها ما ينقص من قيمة أذكارها. وقد ذهب أصحاب الفئة الثانية في تبرير هذا الاستعمال مذهب التأويل الصوفي، ومن ذلك ما رواه

الشيخ الحسن اليوسي في محاضراته على لسان محمد بن أبي بكر الدلائي إذ رأى ابن حسون في سلا وقد كان يستقبل بزأويته كل صباح أصحاب الآلات الموسيقية: «وأما أمر الآلات فإما أنه كان يستفيد من تلك الأصوات أسراراً ومعاني... وإما أن ذلك يوافق حالة جمالية تحضر في الوقت، ومن هذا المنبع يقع الطرب وما يشاهد من حالات أهل الوجد...».

ويزيد في فهم هذا التأويل قول الشيخ إسماعيل الأنقوري في كتابه «رسالة في دوران الصوفية ورقصهم»: إن أصحاب الباطن ينظرون إلى حقيقة كل شيء، فيسمعون من كل شيء تسبيح الله وتنزيهه كما قال تعالى: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) [الإسراء: 44]. فالدف والمزامير والقضيب والطبل وأمثالها داخل في الشينية، فهم يسبحون الله

ويقدسونه، فكيف ينكر أهل الظاهر على أرباب الطريق الذين يسمعون تسبيح الأشياء؟  
وإذن فاستعمال «الملاهي» ليس من الهزل في شيء، ولكنه الجد كله عند المتصوفة، كما قال ابن الفارض (14):

ولا تك باللاهي عن اللهو جملة  
فلهو الملاهي جد نفس مجدة

## الموالد الشعبية

تعد الموالد الشعبية من أكثر العادات حضوراً وبهاء في الثقافة الشعبية المصرية، ففيها تتجسد أبرز التقاليد وتكشف الكثير عن ملامح هذا الشعب ذي النزعة الصوفية.  
تاريخياً، دخلت الموالد الشعبية إلى مصر على أيدي الفاطميين، في القرن العاشر الميلادي. وتؤكد الكثير من المراجع التاريخية والدراسات الأدبية مثل «موسوعة مصر القديمة» للمؤرخ سليم حسن، وكتاب «الموالد والتصوف في مصر» لنيكولاس بيرخمان، أن الاحتفالات الشعبية بموالد الأولياء والقديسين امتداد تاريخي لما كان يفعله قدامى المصريين في احتفالاتهم بموالد الفراعنة والآلهة، والتي كان من أهم ملامحها تقديس صاحب المولد المحتفل به.

ولا تخلو محافظة أو مدينة أو قرية مصرية من الموالد الشعبية، وقد وصل عدد الموالد في مصر، وفقاً لإحصاء حديث صادر عن الجمعية المصرية للمأثورات الشعبية إلى 2850 مولداً للمسلمين والأقباط. ومن أشهر هذه الموالد حالياً موالد الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة والسيدة عائشة في القاهرة، ومولد سيدي أحمد البدوي في طنطا، وسيدي إبراهيم الدسوقي في مدينة دسوق، وسيدي محمد بن أبي بكر في ميت دمسيس قرب مدينة أجا (دلتا مصر)، وسيدي عبدالرحيم القنائي في قنا، وسيدي أبو الحجاج الأقصري في الأقصر (صعيد مصر)، فضلاً عن

الاحتفالات ببعض أولياء الإسكندرية وأشهرهم سيدي أبو العباس المرسي وسيدي جابر. أما الأقباط فيحتفلون بمولد كثيرة للسيدة مريم العذراء والشهيد ماري (القديس) جرجس في القاهرة وكفر الدوار وميت دمسيس، والقديسة دميانة بمحافظة الدقهلية، ومار مينا بالصحراء الغربية.

هناك طقوس واحدة يقوم بها المصريون في موالد الأولياء والقديسين على السواء، لا يتعاملون مع الموالد على أنها احتفالات دينية فحسب، بل هي بالأساس احتفالات دنيوية، تعبر تعبيراً صادقاً عن الخصوصية الثقافية المصرية. ومن الأمور اللافتة أن تجد الكثير من المسلمين يشاركون في موالد القديسين وتحديدًا مولد العذراء، ومار مرقس، وأن تجد الأقباط يواظبون على حضور موالد آل البيت خاصة مولد السيدة زينب.

وقد نقل الشاعر الكبير صلاح جاهين في رائعته «الليلة الكبيرة» كل تفاصيل المولد الثرية، بدقة شديدة تظهر تأمله العميق في التراث الشعبي المصري، ووصف جمهور المولد المتنوع بين الفلاحين والصعايدة وأهل القنال، الذين يتركون منازلهم كل عام متجهين إلى القاهرة للاحتفال بمولد سيدنا الحسين، أو غيره من الموالد الأخرى التي تشهدها العاصمة، لتزدحم الساحات الأمامية للمسجد بخيام أهل الريف والصعيد التي حملوها معهم.

كما وصف جاهين الأجواء راسماً لوحة نابضة بالحياة للمظاهر الاحتفالية بالموالد وما تتضمنه من فولكلور شعبي مثل «الأراجوز، وبائع اليخت، والمرابيح، والرايات الملونة، والملاهي، ورفع الأثقال والنیشان، والحاوي». وبراعة تحدث عن أشهر المأكولات التي أصبحت جزءاً أساسياً في ثقافة الموالد لدى المصريين فيقول:

حمص حمص تل ما ينقص عالنار يرقص

يرقص ويقول دا اللي شاف حمص ولا كلشي

حب واتلوع ولا طلشي.

وزيارة الأضرحة ومقامات الأولياء الصالحين تمثل أهمية كبيرة لدى جمهور الموالد، وتجد من يأتي ليسكب همومه على عتبات آل البيت ويظل يطوف حول مقام الولي المحتفل به منشداً بعض أشعار الصوفية وكلمة «مدد» لا تفارق لسانه، ويمثل الإنشاد الديني قيمة روحية كبيرة لدى جمهور الموالد، فيحرصون على حضور الليلة الكبيرة، التي يحييها المنشدون والمداحون أمام حشود من الدراويش والعاشقين.

أستاذة الأدب الشعبي الدكتورة عائشة بكر اهتمت في كتابها «مواليد الأولياء والقديسين» الصادر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، برصد التقارب بين طرق الاحتفال بموالد المسلمين والأقباط،

تقول: هناك تقارب شديد بين الاحتفال بموالد الأولياء والقديسين، وهذا يؤكد فكرة النسيج الثقافي الواحد، الذي يشكل الشخصية المصرية بثنائية دياناتها «القبطية والإسلامية». وتضيف بكر أن الموالد وبركات الأولياء ومعجزاتهم أثرت بشكل كبير في وجدان المصريين، مشيرة إلى أن هذا يطابق مقولة هيرودوت: إن المصريين كانوا أشد الشعوب تدينا فكانوا يعتقدون أن كل شيء في العالم ملك للآلهة، وأنهم منبع كل خير وعلى علم برغبات الناس الدنيوية.

وفي دراسته الشهيرة «الموالد، دراسات للعادات والتقاليد الشعبية» يركز عالم الاجتماع الدكتور فاروق أحمد مصطفى على توضيح التأثيرات السيكولوجية لفكرة المولد على الفرد، يقول: إن المشاركة الجماهيرية في الاحتفال، تحول الجمهور من مجرد متلق سلبي إلى مشارك فعال، فيسقط الحاجز بين الإبداع والتلقي، وتنفذ العروض الشعبية إلى وجدان وعقل الجمهور ببسر وسهولة، ومن ثم يمكن للمرء أن يتفاعل مع التجارب الإنسانية.

ويضيف أن الضمير الشعبي والعقل الجمعي المصري حولا الموالد من مجرد احتفالية دينية إلى صيغة طقسية دنيوية ودينية، تندمج فيها ذات الفرد مع ذات الجماعة، وتتحقق فيها حالة من الهروب من الروتين اليومي، والتواصل النفسي والإحساس بالترابط والتآلف<sup>(15)</sup>.

وقد ازدهر فن الإنشاد الديني في الموالد، وذاع صيت كثير من المنشدين منهم الشيخ سيد النقشبندي، والشيخ أحمد التوني وياسين التهامي ونجله محمود التهامي، إلى جانب كثير من الفرق التي ظهرت لتنتقل الإنشاد الديني إلى المسارح والأماكن المختلفة حتى لا تكون مقصورة على المساجد والموالد فقط، ومنها فرقة الحضرة والمولوية المصرية بقيادة عامر التوني، وبعض الفرق السورية التي جققت نجاحا كبيرا في مصر، مثل الإخوة

أبو شعر وفرقة الرضوان (المرعشلي)، وسنعرض لبعض من نجوم الإنشاد بالتفصيل خلال الصفحات التالية من الكتاب.

# الفصل الثاني

## أشهر المنشدين والمنشادات

### مداح النبي (محمد الكحلاوي)

محمد الكحلاوي (1912 – 1982) هو الفنان الذي تغيرت حياته تماما بسبب رؤيا الرسول عليه السلام في المنام، اسمه محمد مرسي عبد اللطيف. ولد بمنيا القمح بمحافظة الشرقية في 1 أكتوبر 1912 يتيما بعدما توفيت والدته وأثناء ولادته ولحق بها أبوه وهو لا يزال طفلا. وتربى في أسرة فنية حيث احتضنه خاله الفنان محمد مجاهد الكحلاوي الذي كان معاصرا للفنان صالح عبد الحي وكان ذا صيت في ذلك الوقت، وكان لملازمته لخاله في حفلاته الأثر الكبير، حيث تشبع بالحياة الفنية منذ صغره وورث عنه الصوت الجميل والأداء المتميز وكذلك لقبه.

عمل موظفا في السكك الحديدية، وبدأ حياته في إنشاد المواويل الشعبية، ثم ترك وظيفته والتحق بفرقة عكاشة وعمل بالإذاعة منذ نشأتها عام 1934، وانتخب نقيبا للموسيقيين عام 1945 لكنه تنازل للموسيقار محمد

عبد الوهاب، وقام بإنشاء شركة للإنتاج، حصل على جائزة التمثيل عن دوره في فيلم «الزلة الكبرى» وجائزة الملك محمد الخامس، وحصل في عام 1967 على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، وقد اهتم بالإنشاد الديني والأغنية الشعبية. ومن اغانيه الشهيرة «لأجل النبي»، «يا قلبي صلي على النبي»، «خليك مع الله»، «نور النبي»، «خللي السيف يجول».

هو صاحب الملحمة النبوية أو «مداح الرسول»، كما كان يحب أن ينادى، المطرب الذي سلك طريق العبادة والزهد وسخر الفن ليكون طريق دعوة وحض على الفضيلة، وهو أيضا الفنان صاحب القدرات المتعددة الذي تنوع بين الغناء البدوي والشعبي والديني وكذلك في التمثيل، وكان له شرف الريادة والسبق في كل ألوان الغناء التي اشتهر بها ثم تبعه المريدون.

كان الفتى الكحلاوي يقضي وقته بين الغناء ولعب كرة القدم التي تميز فيها حتى أصبح في وقت لاحق كابتن فريق نادي السكة الحديد، كما كان يلزم نادي الزمالك ونادي الترسانة في كل سفرياتهما، لعبت الصدفة لعبتها عندما كان يعمل «كومبارس» في فرقة عكاشة، تأخر مطرب الفرقة زكي عكاشة في ذلك الوقت، فطلب منظم الحفلة من الكحلاوي الغناء لتسلية الجمهور الذي تجاوز معه لدرجة أفزعه فهرب من الحفل.

سافر مع فرقة عكاشة للشام دون علم خاله وكان لا يزال طفلا، وعادت الفرقة بعد شهرين وتخلف هو لثمانى سنوات في بلاد الشام، تنقل فيها بين بلادها ليتعلم الغناء العربي الأصيل ويتقن خلالها اللهجة البدوية وإيقاعاتها وغناء الموال والعنابة، ثم عاد إلى مصر شابا يافعا في العشرين من عمره، خرج من بيته بحوالي عشرين قرشا وعاد ومعه حوالي 38 ألف جنيه وهي ثروة ضخمة وقتها.

اتجه الفنان الشاب إلى الغناء البدوي الذي تعلمه جيدا أثناء سفره فكون في بداية حياته ثلاثية جميلة مع بيرم التونسي بالكتابة وزكريا أحمد بالتلحين وهو بالغناء. بدأ محمد الكحلوي التمثيل نجما فكان أول أفلامه من إنتاج «أولاد لامة» وبطولة كوكا وسراج منير الذي تصدر أفيشاته رغم أنه لم يظهر سوى في مشاهد معدودة.

وقد كون الكحلوي ثاني شركة إنتاج في الوطن العربي وهي «شركة إنتاج أفلام القبيلة» أراد بها صناعة سينما بدوية فتخصصت في الأفلام العربية البدوية مثل «أحكام العرب» و«يوم في العالي» و«أسير العيون» و«بنت البادية»، وغيرها، والتي شارك فيها بالتمثيل واعتبرت هذه الأفلام بداية لعملية تمصير الفيلم العربي الذي كان يعتمد من قبل على النصوص الأجنبية المترجمة، وقد قدم في هذه التجربة نحو 40 فيلما.

كانت مرحلته الأخيرة بالغناء الديني التي مثلت حوالي نصف إنتاجه الفني، فقد لحن أكثر من 600 لحن ديني من مجمل إنتاجه الذي قارب 1200 لحن، ولم تكن الأغنية الدينية تعرف بمفهومها الحالي؛ إذ اقتصر في ذلك الوقت على التواشيح الدينية، ولكنه وضع أسسها وأصبحت الأغنية الدينية تغنى بنوتة موسيقية وفرقة كاملة، ولقد تلون في غنائه بين الإنشاد والغناء والسير والملاحم والأوبريتات، فقد قدم «سيرة محمد» و«سيرة السيد المسيح» و«قصة حياة إبراهيم الخليل». ولمع الكحلوي في الغناء الديني ولاقت أغانيه حفاوة عند جمهوره وأصبحت تذاع في كل المناسبات الدينية، ومن أشهر أغانيه «لأجل النبي».

بعد مشوار طويل مع الشهرة والنجومية والثراء، شاهد محمد الكحلوي النبي عليه الصلاة والسلام في رؤيا خلال منامه، وهي الرؤيا التي غيرت حياته، وجعلته يترك السكن في عمارته الأنيقة بحي الزمالك ليؤسس مسجدا وسط المدافن بمنطقة الإمام الشافعي، ويبني لنفسه فوقه استراحة يسكنها، ويؤسس مدفنه فيه أيضا، ويحج أربعين مرة على مدار أربعين عاما بشكل متواصل، ويجري عشرات العمرات أيضا، ويقول عن هذه الفترة في حوار قديم له: إن صدري

يرتاح هنا في بيوت الله ويرتاح لكلام الله بعد أن تعبت من كلام الناس ومن القيل والقال، وأجمل ساعات عمري تلك التي أفضيها هنا في هذا الجو والسكون.

وأكدت الداعية الإسلامية الدكتورة عبلة الكحلاوي، العميدة السابقة لكلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر، أن السبب الأساسي في تحول حياة والدها الفنان محمد الكحلاوي هو رؤيا الرسول عليه السلام في المنام.

دكتورة عبلة أضافت أن والدها تحول إلى المدائح النبوية والمسارة في عمل الخيرات والزهد في الدنيا عن طريق التصوف الصحيح البعيد عن البدع والخرافات، وسجل تلك الرؤيا العظيمة للرسول عليه السلام في منامه في أغنيته الشهيرة «حب الرسول يابا دوبري دوبر».

وبدأ الفنان الشهير رحلته مع النبي عليه الصلاة والسلام، حيث أسس للأغنية الدينية، فأصبحت هناك أغان دينية معترف بها بسببه، بعدما كان الأمر مقتصرًا على التواشيح والأناشيد فقط، فغنى الكحلاوي أغاني لازالت محفوظة باسمه شكلت حوالي نصف إنتاجه الفني.

ولم يكن الكحلاوي يؤمن بفكرة الفن للفن، بل كان يرى أن الفن لا بد أن يساير الأحداث والمواقف الإنسانية؛ لذا فحين بدأت حرب 48 وهجرة اليهود وأحدقت المخاطر بفلسطين، كان الكحلاوي أول من نادى بالوحدة وأنشد العديد من الأغاني الوطنية باللهجة العربية البدوية، ومن هذه الأغاني «علي المجد هيا يا رجال»، «وين يا عرب»، «خلي السيف يجول»، «كريم جواد»، «يا أمة الإسلام»، وغيرها.

من أشهر أغانيه أغنية «لاجل النبي» التي لا يزال كثير من المنشدين يتغنون بها حتى الآن، وتقول كلماتها (من التراث الشعبي):

يا إله الكل كلي كلي.. لاجل النبي لاجل النبي

انت عالم بيا كلي كلي.. لاجل النبي لاجل النبي

يظلموني انت شايف يتهموني انت عارف.. من عبادك ايه حصلي..

انا في جاه النبي تكرم عبيدك والنبي

انا في جاه النبي تقبل صلاتي على النبي لاجل النبي

لاجل النبي لاجل النبي.. القعدة حلوه والنبي عند النبي

لاجل النبي لاجل النبي لاجل النبي.. القعدة حلوه والنبي عند النبي

يا إله الكل عني.. لاجل النبي لاجل النبي

من العباد ما حد عاني.. لاجل النبي لاجل النبي



## الفشني

### بين التواشيح والقرآن

الشيخ طه حسن مرسى الفشني (1900 1971) أحد أعلام قراء القرآن الكريم والمنشدين، ولد بمركز الفشن محافظة بني سويف، حفظ القرآن ثم تعلم القراءات، وتدرج الشيخ طه في دراسته الدينية والعامية وحصل على كفاءة المعلمين من مدرسة المعلمين سنة 1919، حضر الشيخ طه إلى القاهرة، والتحق ببطانة الشيخ علي محمود، ثم ذاع صيته بأنه قارئ ومنشد حسن الصوت. كان والده تاجر أقمشة من ميسوري الحال، اختار لابنه أن يكمل تعليمه بعد أن دخل الكتاب وحفظ القرآن وعمره 10 سنوات، وقبل أن يصل عمره للعشرين أكمل تعليمه وحصل على مدرسة المعلمين، وفي دراسته في تلك المدرسة اكتشف عذوبة صوت الشيخ طه الفشني ناظر المدرسة وأسند إليه القراءة اليومية للقرآن في الطابور وحفلات المدرسة، ولكن لم يكن حتى ذلك الوقت يُعدُّ الشيخ الفشني عذوبة صوته في التلاوة القرآنية، خاصة أن طموح والده كان أن يكمل ابنه دراسة القضاء الشرعي، وبالفعل ذهب الشيخ طه الفشني إلى القاهرة للالتحاق بمدرسة القضاء الشرعي، إلا أن ثورة

1919 كانت مشتعلة، وحالت الأحداث دون استقراره في القاهرة فعاد مرة أخرى إلى بلده الفشن، وإن كان اختار طريقه فذهب يحيي السهرات في المآتم كقارئ للقرآن في بلدته والقرى المجاورة له.

بدأ يأخذ سمعة أنه قارئ للقرآن الكريم ولكنه لم يكن مضطرا إلى الاستمرار في قراءة القرآن خاصة أنه من أسرة ميسورة الحال وكان شيء ما يجذبه ناحية القاهرة بعدما لم يتمكن في المرة الأولى من أن يلتحق بمدرسة القضاء الشرعي، ولكن كان منظر حي الحسين في خاطره، التحق بالأزهر الشريف في هذه المرة ولكن بغرض أن يتعلم فنون القراءات وحصل بالفعل على إجابة علم القراءات، على يد الشيخ عبد الحميد السحار وأتقن علوم التجويد.

أقام بحي الحسين وكان قريبا منه في السكن الشيخ علي محمود ملك التواشيح الدينية، وكان للشيخ علي محمود فرقة تواشيح خاصة فعرض على الشيخ طه الفشني أن ينضم لبطانته.

ولكن طريق الشيخ الفشني كان مختلفا ففي إحدى الليالي بحي الحسين عام 1937 كان في حفلة ضخمة وكان يحضرها سعيد باشا لطفى رئيس الإذاعة المصرية، وكانت علاقة خاصة تجمع بين الشيخ علي محمود والشيخ طه الفشني لأنه يعتبره تلميذه وامتدادا له، وأعطى الشيخ علي محمود

الفرصة للشيخ طه الفشني أن يقرأ أمام رئيس الإذاعة، أعطى الشيخ علي محمود مقعده للشيخ طه وبدأ يقرأ القرآن.

التحق بالإذاعة المصرية سنة 1937، وعين قارئاً لمسجد السيدة نفيسة من سنة 1940 وحتى وفاته، وبعد التحاقه بالإذاعة كان يذاع للشيخ الفشني أسبوعياً في المساء يومي السبت والأربعاء تلاوته على الهواء مباشرة، مدة كل تلاوة 40 دقيقة، ورغم أن نجم الشيخ طه الفشني قد لمع في عالم تلاوة القرآن لكنه استمر كمنشد ديني، وحاتت له الفرصة عندما مرض الشيخ علي محمود وكانت هناك مناسبة كل شهر هجري تنظم الإذاعة فيه حفل إنشاد ديني، وطلبت منه الإذاعة أن يحل محل شيخه علي محمود ولكنه رفض أن يقبل طلب الإذاعة إلا بعد موافقة الشيخ علي، وذهب إليه فقال له الشيخ: «أذهب يا طه يا ابني اقرأ أنت خليفتي» وأذيعت الحفلة وازدادت شهرة طه الفشني في فن الإنشاد الديني؛ مما دعاه أن ينشئ فرقة خاصة به للإنشاد الديني عام 1942 مع استمرار عمله كمقرئ.

وظل الشيخ طه الفشني منذ عام 1943 وحتى قيام ثورة 1952 يقرأ القرآن الكريم بقصري عابدين بالقاهرة ورأس التين بالإسكندرية لمدة 9 سنوات، ويستمتع الملك فاروق إلى تلاوته التي تمتد إلى 45 دقيقة، فضلاً عن الدعوة الملكية للشيخ طه الفشني لتناول طعام الإفطار على المائدة الملكية في شهر رمضان كل عام.

كما كان الشيخ الفشني القارئ المفضل للزعيم الراحل جمال عبد الناصر الذي أهدها طبقاً من الفضة الخالصة مهوراً بتوقيعه، ومن بعده الرئيس الراحل محمد أنور السادات. واختير رئيساً لرابطة القراء خلفاً للشيخ عبد الفتاح الشعشاعي سنة 1962، وكان الشيخ طه صاحب مدرسة متفردة في التلاوة والإنشاد، وكان على علم كبير بالمقامات والأنغام، وانتهت إليه رئاسة فن الإنشاد في زمنه، فلم يكن يعلوه فيه أحد.

وفي عام 1991 كرمته الدولة بمنح اسمه نوط الامتياز من الطبقة الأولى وأطلق اسمه على أحد الشوارع الرئيسية بمدينة نصر بجوار مدرسة ابن الأرقم.

وكان الشيخ طه الفشني خير سفير لمصر في البلدان العربية والإسلامية التي زارها مبعوثاً أو مدعواً، كما كرمه زعماء ورؤساء وملوك دول السعودية وباكستان وتركيا وماليزيا وتونس والمغرب وليبيا والسودان وسوريا.

قال عنه المتخصصون في فن التلاوة وعلم الصوتيات إن الشيخ طه الفشني وهبه الله سبحانه وتعالى صوتاً ملائكياً عذباً ومقامات صوتية تعدت نحو 17 مقاما صوتياً ينتقل من بينها في سلاسة

واقْتدار لا مثيل لهما، فضلا عن تمتعه بطول نفس وعلمه الكبير بالموسيقى العربية ومقاماتها. ولم يترك الشيخ الفشني مجالاً إلا كانت له بصمة فيه بين تلاوة القرآن وتراتيل التواشيح وإنشاد المديح، صوته واسمه محفوران في ذاكرتنا كأشهر مؤذن، لصوته عذوبة وحركة لم يمتلكها أحد غيره، ينتقل بين المقامات الموسيقية بصورة غير مألوفة، وعندما تسمعه وهو قارئ للقرآن كأنك تسمع واحداً غيره وهو ينشد المديح.

اشتهر الشيخ بتواشيحه وابتهالاته أكثر منه كقارئ، فلم يسعفه الوقت لترتيل المصحف بأكمله، لكن ثلاثة أرباعه فقط، وطبيعة صوته التي احتاجت التبحر أكثر في النغم، لذا كان أول من أدخل النغم على التجويد.

ومن المواقف الطريفة التي تعرض لها الشيخ طه الفشني، أنه كان ينشد التواشيح في أحد الموالد بديروط، فأقسم عليه عمدة إحدى القرى التابعة لمركز ديروط، بالطلاق أن يظل الشيخ يردد نفس المقطع حتى الصباح، فلم يجد الشيخ وسيلة للفرار من القسم، وظل يردد المقطع حتى بزوغ نور الشمس، ثم غادر الصوان على عجل فراراً من الرجل، واستقل أول قطار متجه إلى القاهرة.

الصحفية خيرية البكري روت حادثة غريبة في جريدة أخبار اليوم، فقالت: «لقد شاهدت إحدى الكرامات فقد كنت ذاهبة لرحلة الحج وكنا نستقل الباخرة، واستألفت نظرنا وجود شيخ جليل بيننا، تعلق وجهه علامات الأسى والحزن وهو يجلس على الباخرة صامتاً، ويحيط به جمع من أقاربه، وهو سارح يتعبد في صمت». مضيئة: «ولما سألنا عنه قيل لنا إنه الشيخ طه الفشني أشهر قراء القرآن الكريم، وأنه فقد صوته فجأة منذ عدة أسابيع ولم يفلق الأطباء في علاجه وافترقنا».

البكري تابعت: «كانت الحشود تستعد لصلاة العصر، في البقعة المقدسة يوم عرفة، وفجأة شق الفضاء صوت جميل يؤذن للصلاة، ولم يكن غريباً عن المصريين، كان صوت الفشني الذي استرده بفضل الله، وبكى الجميع متأثراً».

ومن أعمال طه الفشني: يا أيها المختار - اسقني في الحان راحي - أنت للإحسان أهل - اهد قلبي وخاطري وضميري - إذا باهى الأنام بأي هاد - أخذ بالروح مني - ألا زعمت ليلي بأني أحبها - بشراك يا نفس - ترنم

يا شجي الطير - كن عن همومك معرضاً.

يا أيها المختار

ماذا أقول لمدحه والله طهر

من سفاح الجاهلية أحمدا

ذو رأفة بالمؤمنين ورحمة  
سماك ربك في القران محمدا  
نادت بك الرسل الكرام فبشرت  
وملائك الرحمن خلفك سجدا  
لا يحصي فضلك ناثر أو كاتب  
عددا ولا الشعراء يا غوث الندى  
طه صلاة الله مني سرمدا  
ثم الصلاة عليك يا نجم الهدى  
يا رب هب لي من لدنه شفاعاة  
واجعل كتابك حجة لي شاهدا

الله زاد محمدا تكريما  
(لابن الجنان الأندلسي)

الله زاد محمدا تكريما  
وحباه فضلا من لدنه عظيما  
واختصه في المرسلين كريما  
ذا رأفة بالمؤمنين رحيفا  
جلت معاني الهاشمي المرسل  
وتجلت الأنوار منه لمجتلي  
وسما به قدر الفخار المعتلي  
فاحتل في أفق السماء مقيفا  
حاز المحامد والممادح أحمد  
وزكت مناسبة وطاب المحتد  
وتأملت علياؤه والسؤدد  
مجدا صميما حادثا وقديما  
شمس الهداية بدرها الملتاح  
قطب الجلالة نورها الواضح  
غيث السماحة للندى يرتاح

يروى بكوثره الظماء الهيما  
تاج النبوة خاتم الأنباء  
صفو الصريح خلاصة العلياء  
نجل الذبيح سلالة العلماء  
بشري المسيح دعاء إبراهيم  
فخر لآدم قد تقادم عصره  
من قبل أن يدري ويجري ذكره  
سر طواه الطين فهم نشره  
معنى السجود لآدم تقيما  
الله فضل المصطفى المختار  
ما إن له في المكرمات مجاري  
ولا مبار باختصاص الباري  
بالحق قدم مجده تقديما  
أوصاف سيدنا النبي الهادي  
ما نالها أحد من الأمجاد  
فالرسل في هدي وفي إرشاد  
قد سلموا لنبينا تسليما  
آياته بهرت سنا وسناء  
وأفادت القمرين منه ضياء  
وعلت بأعلام الظهور لواء  
فهدى به الله الصراط قويا  
دنت النجوم الزهر يوم ولادته  
ورأت حليلة آية لسيادته  
وتحدثت سعد بذكر سعادته  
فتفاءلوا نعم اليتيم يتميا  
ما زال برهان النبي يلوح  
يغدو به الإعجاز ثم يروح

حتى أتاه بعد ذاك الروح  
يوحى له وحي الإله حكيمًا  
شهدت له بمزية التفضيل  
سور وآيات من التنزيل  
وصلاة خالقه أدل دليل  
فافهمه واسمع قوله تعظيمًا  
إن الرسول المعتلي المقدار  
لمؤيد من ربه القهار  
بالمعجزات جلت عمى الأبصار  
وشفت من داء الضلال سقيمًا  
كم شاهد لمحمد بنبوته  
في أيد تأييد الإله وقوته  
فبذاك أعلى الله دعوة حجته  
فمضت حساما صارما وعزيمًا  
البدر شق له ليظهر صدقه  
والشمس قد وقفت تعظم حقه  
والمزن أرسل إذ توسل ودقه  
فاخضر ما قد كان قبل هشيما  
والماء بين بنانه قد سالا  
عذبا معينًا سائغا سلسالا  
كنداه يمنح رفته من سالا  
وينيل راجيه النوال جسيما  
بركاته أربت على التعداد  
كم أطعمت من حاضرين وبادي  
من قصعة أو حثية من زاد  
رزقا كريمًا للجيش عميما  
سجد البعير له سجود تذلل

وشكا إليه بحرقة وتململ  
والشاة قال ذراعها لا تأكل  
مني فإني قد ملئت سموما  
والغصن جاء إليه يمشي مسرعا  
والصخر أفصح بالتحية مسمعا  
والظبية العجماء فيها شفعا  
والضب كلم أحمدا تكليما  
والجذع حن له حنين الواله  
بيدي الذي يخفيه من بلباله  
أفلا يحن متيم بجماله  
يشتاق وجها للنبي وسيما؟  
ما بالنا نسلو وحب حبيبنا  
يقضي ببث غرامنا ونحيبنا؟  
لو صح في الإخلاص عقد قلوبنا  
لم ننس عهدا للرسول كريما  
أين الدموع نفيضا هتاناً؟  
أين الضلوع نقضا أشجاناً؟  
حتى نقيم على الأسي برهانا  
لمتمم إرشادنا تتميما  
أوليس هاديننا إلى سبل الهدى؟  
أوليس منقذنا من أشراك الردى؟  
أوليس أكرم من تعمم وارتدى؟  
أولم يكن أزكى البرية خيما؟  
ذاك الشفيح مقامه محمود  
ولوأوه بيد العلا معقود  
فإذا توافت للحساب وفود  
قالوا تقدم بالأنام زعيما

فيقوم بالباب العلي ويسجد  
ويقول يا مولاي أن الموعد  
فيجاب قل يسمع إليك محمد  
ونريك منا نضرة ونعيما  
أعظم بعز محمد وبجاهه  
أكرم به متوسلا لإلهه  
شربت كرام الرسل فضل مياهه  
فغدت تعظم حقه تعظيما  
يا سامعي أخباره ومفاخره  
ومطالعي آثاره ومآثره  
ومؤملي وافي الثواب ووافره  
إن شئتم فوزا بذاك عظيما

\* \* \*

### السلام عليك يا شهر رمضان (من التراث الشعبي)

السلام عليك يا شهر رمضان  
السلام عليك يا شهر القرآن  
السلام عليك يا شهر التراويح  
السلام عليك يا شهر المصابيح  
نودعك ونحن مشتاقون إليك  
ونفارقك ونحن متلهفون إليك

## طوبار وأوتار القلوب

نصر الدين طوبار منشد إسلامي وقارئ قرآن، ولد عام 1920 بالمنزلة بمحافظة الدقهلية وتوفي في 6 نوفمبر عام 1986، بعد أن حفظ القرآن الكريم ذاع صيته في مدن وقرى محافظة الدقهلية ونصح أصدقائه بالدقهلية أن يتقدم لاختبارات الإذاعة، وبالفعل تقدم إلى اختبارات الإذاعة لكنه رسب خمس مرات متتاليات، حتى ضجر، إلا أن إصرار من حوله لاقتناعهم بصوته، دفعه إلى دخول اختبارات أصوات قراءة القرآن والإنشاد الديني للمرة السادسة، وكان أن نجح في السابعة.

اختير مشرفاً وقائداً لفرقة الإنشاد الديني التابعة لأكاديمية الفنون بمصر في عام 1980. شارك في احتفالية مصر بعيد الفن والثقافة، كما أنشد في قاعة ألبرت هول بلندن، وذلك في حفل المؤتمر الإسلامي العالمي، وسافر إلى العديد من الدول العربية والأجنبية، وكتبت عنه الصحافة الألمانية: صوت الشيخ نصر الدين طوبار يضرب على أوتار القلوب.

تم تعيينه قارئاً للقرآن الكريم ومنشداً للتواشيح بمسجد الخازنداره بشبرا. قدم الشيخ نصر الدين طوبار ما يقرب من مائتي ابتهاج؛ لم تذكر المصادر مؤلفيها إلا أنها اشتهرت وذاع صيتها، منها:

يا مالك الملك، ومجيب السائلين، وجل المنادي، والسيدة فاطمة الزهراء، وغريب، ويا سالكين إليه الدرب، ويا من له في يثرب، ويا من ملكت قلوبنا، ويا باري الكون، وما بين زمزم، ومن ذا الذي بجماله حلاك؟ وسبحانك يا غافر الذنوب، وإليك خشوعي، حين يهدي الصبح اشراق سناه، ويا ديار الحبيب، وقف أديبا، وطه البشير، ولولا الحبيب، وكل القلوب إلى الحبيب تميل، ويحق طاعتك، وعدت إلى رحابك، ويا ليلة القدر، ورمضان اشرق، والحوت والعنكبوت، ويحلو لدي، وامري إليك، واکرمنا في المعاش والمعاد، وحنيني، وأشرق الحق واصطفاه الضياء، وبك أستجير، وقبس من الرحمن لاح، ومن غير ربي يستجيب؟ وسبحان من جعل الارض قرارا، وربى هو الله، ويا من يراني في علاه ولا أراه، وتسايحي، ومن حشره كسوه الناس حريرا، وألم تجعل السفينة من قوارب النجاة؟ وأشرق الحق بالهدى، وإن لم ينل منك العليل شفاءه، ويا حنان يا منان، ويا ودودا، وأنا العبد المقر بكل ذنب، والله كان ولا شيء سواه، وصدق وعده، ومن يحيي العظام، ومن لي سواك؟ وحسبي رضاك، ويا من علاه فوق كل بيان، ورب لبيك، ويا زمان الرسول، ويا آل طه، وهو الله، وقصة اليتيم، وسبحانك اللهم، والأمر أمرك، والطير سبحة، والهي، وبالله إيماني، وبحق طه ترحمني، ويسبح لك الفضاء، ويا من ترى على الولاء مشاعري، ويا

فاطري يا من نراه، ويا عالم السر،  
ويا ذا الجلال والإكرام، وإن ترد المقام، وغرور أنت يا دنيا، وأصحاب الفيل، ومؤنسي في  
وحدتي، ويا نصير المظلومين، ويا سالكين الدرب، وفاطر الأكوان.

### مالك الملك

يا مالك الملك.. أنت المستجار به  
من ذا له لائذ بالباب ناداك  
مسبح بك.. مملوء بحبك.. مشغ  
وف بقربك.. مشغول بنجواك  
راض بما أنت ترضاه ومتخذ  
إليك منك طريقا من عطاياك

### يا مؤنسي

يا مؤنسي في وحدتي  
يا منقذي في شدتي  
يا سامعا لندائي  
فإذا دجا ليلى وطال ظلامه  
ناديت يا رب.. فكنت ضيائي

### يا إله العالمين

يا إله العالمين حنيني دائم  
والقلب شاك عليه  
سال دمعي يا إلهي  
ولولا غربتي، ما كان دمعي يسيل  
غربتي نجوى.. ونيران شوق  
وأسى باك.. وليل طويل  
وإذا ضاقت فنجوى دعائي  
حسبي الله ونعم الوكيل

### أنا العبد

أنا العبد المقر بكل ذنب

وأنت السيد المولى الغفور  
فإن عذبتني فبسوء فعلي  
وإن تغفر فأنت به جدير  
أفر إليك منك.. وأين إلا  
إليك يفر منك المستجير؟

### يا عالم السر

يا عالم السر لا يدري به أحد  
ومعطي الحمد من بالحمد لباك  
إياك نعبد لا خوفا ولا طمعا  
لكن حنينا إلى أنوار رؤياك  
الله الله في روح تحن  
وفي قلب يئن.. بنار الشوق ناجاك  
بحق طه وآل البيت ترحمني  
وإن تحاسب على ذنبي فرحمآك

### إلهي

ربي إلهي دموع العين جارية  
والقلب تحرقه في أضلعي النار  
إن ضل قلبي فقلبي أنت تعرفه  
أو كان ذنبي كبيرا أنت غفار  
يا غافر الذنب أنت غفار  
يا مسدل الستر أنت ستار

### يا سالكين الدرب

الله كان ولا شيء سواه بلا  
بدء ولا منتهى رب عبدناه  
إن ضاق أمر دعوانه وإن نزلت  
بنا الشدائد عن قرب سألناه  
يا سالكين إليه الدرب لا تقفوا

طاب الوصول لمحروم تمناه  
يا رب يا خير مأمول وأكرم مسئول  
وأعظم مقصود قصدناه  
يا رب هيئ لنا من أمرنا رشدا  
يهدي إلى الحق من ضلوا ومن تاهوا

### ذقت الهوى

ذقت الهوى مرا ولم أذق الهوى  
يا رب حلوا، قبل أن أهواك  
يا غافر الذنب العظيم.. وقابلا  
للتوب.. قلب تائب ناجاك  
رباه ها أنا ذا خلصت من الهوى  
واستقبل القلب الخلي هواك  
وتركت أنسي بالحياة ولهوها  
ولقيت كل الأنس في نجواك  
ونسيت حبي واعتزلت أحبتي  
ونسيت نفسي خوف أن أنساك

### مجيب السائلين

مجيب السائلين حملت ذنبي  
وسرت على الطريق إلى حماك  
ورحت أدق بابك مستجيرا  
ومعتذرا، ومنتظرا رضاك  
دعوتك يا مفرج كل كرب  
ولست ترد مكروبا دعاك  
وتبت إليك توبة من تراه  
غريقا في الدموع ولا يراك

يا رب عدت الي رحابك تائبا

يا رب عدت إلى رحابك تائبا

مستسلما مستمسكا بعراك  
أدعوك ياربي لتغفر زلتي  
وتعينني وتمدني بهذاك  
فاقبل دعائي واستجب لرجاوتي  
ما خاب يوما من دعا ورجاك

هو الله

هو الله رب الو  
جود ولا معبود إلاه  
سبحانه.. قد تجلى في تفرده  
وفي علاه وفي نعمى عطاياه  
سبحانه.. ذو الجلال الحق رحمته  
ظل لقدرته سر لنجواه  
مدبر الفلك الدوار.. حامله  
لمستقر له يسعى ليلقاه

يا ودودا

يا ودودا قد ضمنا بالتآخي  
في ظلال ندية الأرجاء  
وإيها نلوذ نستمطر الغف  
ران من فيضك السخي العطاء  
قد أتيناك طائعين، منيبين  
ن ونرجو الرجوع بالأناء  
بالثواب المرجو، والعفو والصف  
ح عسانا نكون في العتقاء  
من عذاب السعير، من هول مانل  
قاه يوم الحساب عند اللقاء

ضياؤك مشكاتي

ضياؤك مشكاتي، وفيضك منبعي

وفضلك مرآتي، وعدلك مرجعي  
وأنت إله العدل والفضل والندى  
ورب الأيادي والجلال الممنع  
بك الخلق والإيجاد في كل كائن  
بك الرزق والإمداد في كل موضع  
وكم لك من بر شفى هم وآله  
ولوعة محزون وبؤس مروع  
مواهب رزاق.. وحكمة خالق  
وإنعام رحمن.. وإتقان مبدع  
فأي دليل حار فيك عن الهدى  
ومنك الهدى قد لاح في كل مطلع؟

### سبحانك

سبحان ذاتك يا من لا شبيه له  
وما رأيناك لكنا عرفناك  
يا سامعا دعوة المظلوم صاعدة  
وظالم النفس يخشاها ويخشاك  
رحماك فالطف بنا فيما قضيت به  
واغفر لنا واهدنا دوما لنعمائك  
ولا تخيب رجاء لي وخذ بيدي  
ما لي سواك وما لي عنك إلاك

### يا من رضيت لنا

يا من رضيت لنا دين الهدى دينا  
حمدا إليك فذاك الفضل يكفينا  
يا رازق الطير فضلا أنت سابعه  
أوليتنا نعمًا فاقت أمانينا  
يا فالق الصبح في الأرجاء من ظلم  
يا صاحب الأمر أنت المرتجى فينا

يا كاشف الضر يا رحمن يا صمد  
يا من يجير وإن ندعو يلبينا  
تبنا إليك فطهرنا بمغفرة  
واهد الخلائق واقبل من تاجينا

## أستاذ المداحين (سيد النقشبندي)

اشتهر الشيخ سيد محمد النقشبندي (1921- 1976) بلقب «أستاذ المداحين»، وهو صاحب الصوت المتميز جدا الذي لم يكن بحاجة إلى ميكروفونات وهو ينشد ويغني.

والده محمد النقشبندي شيخ الطريقة النقشبندية، ومنذ صغره كان يجلس «سيد» في حلقات ذكر والده وينشد أناشيدهم، حتى أصبح المنشد الرئيس، ولم يكن يستخدم الموسيقى في إنشاده حتى التقى الملحن بليغ حمدي في واقعة شهيرة ليصبح بعدها من أساطير الأغنية الدينية.

ومن أغانيه الشهيرة قصيدة ابن الفارض «قلبي يحدثني بأنك متلفي» التي يغنيها النقشبندي بمصاحبة آلة القانون، وهي من المرات القليلة التي يغني فيها بمصاحبة هذه الآلة.

ولد الشيخ النقشبندي في قرية (دميرة) مركز طلخا بمحافظة الدقهلية عام 1920، ثم انتقل وهو طفل بصحبة والدته إلى مدينة طهطا بمحافظة سوهاج، وهناك تربي تربية صوفية أساسها الإيمان بالله وحب الرسول ﷺ، وحفظ القرآن الكريم وهو في سن مبكرة من عمره.

بدأت شهرة الشيخ الجليل - يرحمه الله - وعرفته الإذاعات الدينية والعربية من خلال إحيائه الليلة الختامية لمولد الإمام الحسين رضي الله عنه وكانت بدعوة من صديقه الحميم الحاج سيد محمد محمد من القاهرة، فلبى الشيخ النقشبندي الدعوة وأقام حفلا ترنم فيه بصوته وشدا بمدح الرسول الكريم ﷺ بابتهالاته الدينية المميزة في ساحة سيد الشهداء، وأدهش مستمعيه فذاع صيته وتناقلته الإذاعات عبر موجاتها.

سعت إليه الشهرة في عام 1967 وبدأت الإذاعة في عمل برامج دينية منها: برنامج (الباحث عن الحقيقة - سلمان الفارسي) بالإضافة إلى الابتهالات الدينية بصوت الشيخ حتى أصبح صوته مظهرا من المظاهر الدينية خلال شهر رمضان، الذي ارتبط في أذهاننا بصوتين بالغين الأداء الشيخ محمد رفعت (قيثارة السماء) لقراءة القرآن، والشيخ سيد النقشبندي في أدعية الإفطار وتسابيح الفجر.

وحصل الشيخ النقشبندي على العديد من الأوسمة والنياشين من مختلف الدول التي زارها، فلم يكن تكريمه محليا فقط بل دوليا وإسلاميا، وقد كرمه الرئيس الراحل السادات عام 1979 فحصل على وسام الدولة من الدرجة الأولى، وفي ليلة القدر كرمه الرئيس حسني مبارك بوسام الجمهورية من الدرجة الأولى عرفانا لما قدمه الشيخ من ابتهالات وتواشيع دينية تخدم الإسلام والمسلمين.

اشترك الشيخ في حفلات وابتهالات وأناشيد وتواشيع دينية في معظم الدول الإسلامية والعربية بدعوة من هذه الدول وحكامها، فزار أبو ظبي وسوريا والأردن وإيران والمغرب العربي

والسعودية واليمن ودول الخليج العربي وإندونيسيا، كما زار معظم الدول الإفريقية والآسيوية. عاش الشيخ عبدا فقيرا زاهدا عبدا محبا مخلصا كريما لم يترك من حطام الدنيا شيئا يذكر. وفي حوار نادر أجرته شبكة الإعلام العربية (محيط) مع نجله الشيخ أحمد النقشبندي الذي يقيم مثلما كان والده بجوار السيد أحمد البدوي بطنطا، أجراه سيد حامد في 25 يوليو 2014، يتحدث عن جذور العائلة بالقول: كلمة نقشبندي أصلها فارسي، وكان الجد يكثر من ذكر اسم الله سبحانه وتعالى، حتى نقش اسم الجلالة على صدره، وبند هو الصدر، وأصل العائلة من أذربيجان، وللأسف ليس لدي معلومات عن سبب وكيفية قدوم الجد الأكبر إلى مصر، لكن العائلة تفرقت فروعها، ما بين مصر والشام والعراق وإيران.

ووالد الشيخ سيد هو الشيخ محمد النقشبندي، وكان واعظا دينيا مفوها، وله مريدوه في شتى أنحاء القطر المصري، وأينما حل التف حوله مريدوه، يعظمهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولم يكن منشدا ولا قارنا للقرآن.

تاريخ ميلاده الصحيح كما سجله الشيخ في مذكراته هو 13 مارس من عام 1921، وليس عام 1920 كما تكتب العديد من المواقع الإخبارية.

وصغيرا انتقل مع أسرته الكريمة إلى مدينة طهطا بصعيد مصر، وقبل أن يستكمل عامه الثامن أتم حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ أحمد خليل رحمه الله، وتعلم الإنشاد الديني في حلقات الذكر بين مريدي الطريقة النقشبندية، وحفظ درر الشعر الصوفي في مدح الحبيب ﷺ.

وفي عام 1955 استقر الشيخ سيد رحمه الله في مدينة طنطا، مؤثرا المقام بجوار سيدي أحمد البدوي، رافضا أن يترك جواره، حتى بعد أن طرقت الشهرة أبوابه بقوة، وتستدعي منه الإقامة بالقاهرة، وحاولنا مرارا أن ننثيه عن الإقامة في طنطا، أو على الأقل أن يملك شقة في القاهرة بجوار الإذاعة والتليفزيون، إلا أنه رفض، وقال يوما: «زارني البدوي في المنام وقال لي: لا تتركني يا سيد!».

وقد بدأ والدي الكريم الإنشاد منذ نعومة أظفاره، وشجعه جدي على قراءة القرآن والإنشاد، حتى صدح بالإنشاد، وقضى طفولته في الصعيد مع والدته في طهطا، وجاب نجوع الصعيد.

وأول تسجيلات لابتهاالات والدي تحمل تاريخ 1957، في سوريا، ففي عام 1956 كان الشيخ سيد في المدينة المنورة، يؤدي مناسك الحج، حيث تقابل مع مجموعة من الإخوة السوريين، من بينهم الشيخ الجليل محمد علي المراد (1918-2000)، تعرف عليهم النقشبندي، وحينما عاد إلى مصر، دعاه الشيخ المراد إلى زيارة سوريا.

في العام التالي، لبي الشيخ الدعوة، وأقام في حماة المحمية ليالي بديعة، وصدح بصوته، ومن حماة ومع أحبته السوريين، استقل الطائرة لأداء مناسك الحج للمرة الثانية، ومن الحجاز طار إلى دوحة الشام، يشدو فيها بأعذب الابتهالات، ثم عاد إلى القاهرة.

كانت الفترة التي قضاها الشيخ بسوريا كافية لكي تخلب قلوب السوريين، ويعشقوا صوته، ولهذا يأتينا كل يوم بالجديد من تراث الشيخ في سوريا بما لم نسمع به من قبل.

أما في مصر فقد بدأت شهرته على المستوى الجماهيري، مع دخوله الإذاعة عام 1966، وجاء ذلك قدرا أيضا، فقد كان النقشبندي يحيي ليلة مولد سيدنا الحسين، فسمعه أحد المخرجين واسمه مصطفى صادق والأستاذ أحمد فراج، فكانا سببا في عرضه على الإذاعة والتلفزيون.. وكانت أول أعماله: ابتهالات رمضان الشهيرة.

ورغم شهرة سيد النقشبندي لدى الجماهير كمنشد ومبتهل، إلا أن له قراءات قرآنية، بلغ فيها من الروعة والجمال مبلغا، منها مقاطع من سور مريم وطه والفرقان والإسراء وإبراهيم والقيامة والمزمل والنساء، وكلها تستمع إليها وتشعر بأجحة الملائكة تطير بك إلى الحضرة الإلهية.

ويضيف نجله: كان القارئ محمود علي البنا على علاقة صداقة قوية بوالدي، فقد كان البنا يقرأ يوم الجمعة في جامع البدوي، وبعدها يزور الشيخ في شقته التي تطل على الجامع، في البيت الذي يحمل رقم 6 بحارة القصيبي.

ويستطرد: كان لوالدي غرام بالشعر، حتى حفظ أكثر من 10 آلاف بيت، لكنه نادرا ما كان يكتب ابتهالاته بنفسه، وإنما أنشد للعديد من الشعراء، ولتذوقه الكلمات كان يعدل في بعض الألفاظ. ومن الشعراء الذين تعامل معهم الشاعر عبدالفتاح مصطفى (1924-1984)، الذي كتب الأغاني الدينية للفنان عبد الحليم حافظ، وكتب لوالدي عدة أناشيد موسيقية، لحنها بليغ حمدي؛ منها مولاي إني ببابك قد بسطت يدي، أقول أمتي.. يا رب أمتي، ما أعظم الذكرى.. في بدر الكبرى، رباه يا من أناجي.. في كل هذا الوجود.

في البيت وصفه النقشبندي الابن بأنه: شخص جليل، تربى على القرآن الكريم والإنشاد، فاستقام لسانه وقلبه، وكل جوارحه من هذا النبع الصافي الجليل، فتخلق بخلق الصالحين، فلم أشاهده يوما يضرب أحد أولاده، وإنما ينهرنا في أدب جليل، حلينا على أخطائنا، محبا للفقراء، لدرجة أن طبيعة عمله كانت تجبره على السهر والاستيقاظ ظهرا، فكان استيقاظه الساعة الثامنة صباحا، لكن كان أي رجل فقير، مهما كان حاله، أن يوقظه صباحا، ويذهب معه إلى أي مصلحة حكومية أو وزارة يقضي معه مصلحته.

ويقول الشيخ أحمد النقشبندي إن والده كانت له علاقة قوية مع الرئيس السادات، وحينما تقابل الاثنان لأول مرة، قال له السادات إنه من عشاقه، وأنه حينما كان مسافرا ذات مرة إلى السويس، تصادف مولد سيدي الغريب، فاستمع السادات للنقشبندي، ولم يغادر مكانه إلا مع نهاية الإنشاد. وبعد أن تولى السادات الرئاسة، كان يتصل بطبيبه الخاص الدكتور محمود جامع، الذي كان يقيم في طنطا، ليأتي له بالنقشبندي، إلى قرية ميت أبو الكوم، وهناك ينشد النقشبندي.

ويقص علينا النقشبندي الابن الأيام الأخيرة في حياة والده فيقول: كان لدى الشيخ تسجيل في التليفزيون لصلاة الجمعة 13 فبراير 1976، فسافر يوم الخميس من طنطا، ليبيت عند أخيه سعد في العباسية، وفجأة طلب من أخيه سعد ورقة وقلمًا، سطر فيها وصيته، وأعطاه لأخيه وأوصاه ألا يفتحها إلا بعد الوفاة، ولم يستطع الشيخ ليلتها النوم لشدة الألم في صدره.

وفي صباح الجمعة، حاول الاتصال بالتليفزيون للاعتذار، لكنه لم يتمكن، فتوكل على ربه، وتوجه إلى المسجد، وأدى القراءة مرهقا، وسجل الأذان بصوته للمرة الأولى، وهو الأذان الذي نسمعه اليوم، يتهدى إلى الأرواح، وبعد التسجيل زار الشيخ معظم أهله في القاهرة كأنه يودعهم، وكذلك زار أهله في طنطا التي وصلها عند المغرب.

وفي صباح السبت 14 فبراير 1976 استيقظ من نومه، وطلب طبيبه، وذهب إلى مستشفى المبرة لإجراء بعض الفحوصات، وقبل أن يبدأها نطق الشهادة، وفاضت روحه الكريمة إلى بارئها، وفتح أخوه سعد الوصية، فكان فيها: (الدفن بجوار الوالدة بالقاهرة مهما كانت الظروف.. لا داعي للمأتم إطلاقا ويكفي جدا النعي بالجراند والحمد لله رب العالمين).

ومن جامع سيدي أحمد البدوي خرج جثمانه يشيعه الآلاف من محبيه وعاشقيه، في طريقه إلى القاهرة، ليوارى الثرى جسده الكريم في مقبرة السادة الخلوئية، في حي البساتين بجوار قبر والدته حسب وصيته قبل ليلة وفاته.

ويقول النقشبندي الابن: رغم كل تلك السنوات ما زال الشيخ يبهرنا بما نعثر عليه من تراث له، سواء في سوريا، أو داخل مكتبة الإذاعة المصرية، وكم أسعد حينما أجد الشباب الصغار متعلقا بصوت النقشبندي، وتتردد ابتهالاته في كل الأماكن، وهذا من كرامات الشيخ النقشبندي، الذي صدق مع ربه، فصدقه وأكرمه.

### السادات وبليغ:

لم يكن الشيخ سيد النقشبندي ينشد باستخدام الآلات الموسيقية حتى تدخل الرئيس أنور السادات في واقعة شهيرة، حكاها الإعلامي الكبير وجدي الحكيم بالقول إنه كان أحد المشاركين في صناعة

«مولاي إني ببابك»، مؤكداً أن الفضل في بداية التعاون بين الشيخ سيد النقشبندي والموسيقار بليغ حمدي، يعود إلى الرئيس الراحل أنور السادات، حيث كان السادات عاشقاً للإنشاد الديني ولصوت الشيخ النقشبندي.

ويضيف الحكيم أنه في عام 1972 كان السادات يحتفل بخطبة إحدى بناته في القناطر الخيرية، وكان النقشبندي موجوداً في الاحتفال الذي حضره الملحن بليغ حمدي، وكنت أنا حاضراً هذا الاحتفال كمسؤول في الإذاعة المصرية، فإذا بالسادات ينادي لبليغ ويقول له: «عاوز أسمعك مع النقشبندى»، وكلفني بفتح استديو الإذاعة لهما.

وأضاف أنه تحدث بعدها مع النقشبندي فقال له: ما ينفعش أنشد على ألحان بليغ الراقصة، حيث كان النقشبندي قد تعود على الابتهاج دون موسيقى، وكان في اعتقاد الشيخ أن اللحن يفسد حالة الخشوع التي تصاحب الابتهاج، وقال: «على آخر الزمن يا وجدي هاغني؟» وطلب منه الاعتذار لبليغ.

وتابع الحكيم: طلبت من النقشبندي أن يستمع إلى اللحن الذي أعده بليغ، واصطحبته إلى استديو الإذاعة واتفقت معه على أن أتركه مع بليغ لمدة نصف ساعة ثم أعود، وأن تكون بيننا إشارة أعرف من خلالها إن كانت ألحان بليغ أعجبته أم لا، حيث اتفقنا أن أدخل عليهما بعد نصف ساعة فإذا وجدت النقشبندي خلع عمامته فإن هذا يعني أنه أعجب بألحان بليغ، وإن وجدته ما زال يرتديها فيعني ذلك أنها لم تعجبه، وأتججج بأن هناك عطفاً في الاستوديو لإنهاء اللقاء، ونفكر بعدها في كيفية الاعتذار لبليغ.

ويستطرد قائلاً: دخلت فإذا بالنقشبندي قد خلع العمامة والجبة والقفطان، وقال لي: يا وجدي بليغ ده جن، وفي هذا اللقاء انتهى بليغ من تلحين «مولاي إني ببابك» التي كانت بداية التعاون بين بليغ والنقشبندي، أسفر بعد ذلك عن أعمال وابتهاجات عديدة هي «أشرق المعصوم، أقول أمتي، أي سلوى وعزاء، أنغام الروح، رباه يا من أناجي، ربنا إنا جنودك، يا رب أنا أمة، يا ليلة في الدهر / ليلة القدر، دار الأرقم، إخوة الحق، أيها الساهر، ذكرى بدر».

من روائع النقشبندي

مولاي إني ببابك  
(العبد الفتاح مصطفى)

مولاي إني ببابك قد بسطت يدي  
من لي ألوذ به إلاك يا سندي؟

أقوم بالليل والأسحار ساجية  
أدعو وهمس دعائي بالدموع ندي  
بنور وجهك إني عائد وجل  
ومن يعذبك لن يشقى إلى الأبد  
مهمل لقيت من الدنيا وعارضها  
فأنت لي شغل عما يرى جسدي  
تحلو مرارة عيش في رضاك وما  
أطيق سخطا على عيش من الرغد  
ومن سواك يرى قلبي ويسمعه؟!  
كل الخلائق ظل في يد الصمد  
أدعوك يا رب فاغفر زلتي كرما  
واجعل شفيع دعائي حسن معتقدي  
وانظر لحالي في خوف وفي طمع  
هل يرحم العبد بعد الله من أحد؟  
مولاي إني ببابك قد بسطت يدي  
من لي ألوذ به إلاك يا سندي؟

**نفسي يا رب تغالبني  
(لعبد السلام أمين)**

نفسي يا رب تغالبني..  
وأجاهدها فتحاربني أخشى أن أهن فتغلبني  
لو لا رحمتك تقربني  
من نورك فامنح غفرانك خفف عن قلبي أوزاره  
وامنحني نورا وطهاره لأجاهد نفسي الأماره  
فتعود لظلك مختاره  
وتظل تبخ سبحانك أقسمت بعظمة آلائك  
وبسر الذات وأسمايك لن أدع الارض لأعدائك  
أو تكتبني مع شهدائك

فأفوز بعفوك سبحانك حقق غايتنا المرجوه  
واجمعنا في أوثق عروه يربطنا دين وأخوه  
وامنحنا العزة و القوه  
لنصد و نسحق من خانك

ابتهال باللهجة العامية في مولد سلامة الراضي

(من التراث الشعبي)

أحبابك زوارك الكل جولاك من قريب وبعيد  
على جناح الصفا حضروا في ليلة عيد  
والبهجة والتقوى مالية قلوبهم والفرح بيزيد  
أحبابك زوارك الكل جولاك من قريب وبعيد  
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد  
مالك أزمة قلوب المحبين.. وجاذب أعنة أرواح المقربين  
ومدد العارفين في ساحة الإحسان... والنعمة العظمى للسائلين  
وأنس العاكفين ووقار المتواضعين.. وفخر الزاهدين وغوث المكروبين..  
وأمان الخائفين وشفاء الموحدين ومصباح المفكرين  
وعلى آله الطيبين الطاهرين  
صلاة تفتح لنا بها أبواب رحمتك وتدخلنا بها في حفظ عنايتك  
وتقربنا بها لحضرتك وتدخلنا بها جناتك  
مع النبيين والصديقين والشهداء برحمتك  
يا أرحم الراحمين ياالله

لغة الكلام

(لعبد الله شمس الدين)

سيدي يا رسول الله  
لغة الكلام كما رأيت على فمي  
خجلى ولولا الحب لم أتكلم  
يا مظهر التوحيد حسبي أنني  
أحد الشداة الهائمين الحوَم

ما حيلة الشعراء؟ زاد غناؤهم  
رغبا لدى هذا الجلال الأعظم  
إن الذي سواك في قرآنه  
وفاك وصفا بالثناء الأكرم  
سبقت محبته مجيئك للورى  
في عالم الغيب الكبير الأقدم  
يا نور يوم ولدت قامت عزة  
للأرض إذ أمست لنورك تنتمي  
الكوكب الأرضي حين وطئته  
أمسى حصاه يسير فوق الأنجم  
طوعا لأحكام القضاء خطى على  
هذا الثرى خطو اليتيم المعدم  
متجردا من كل جاه ظاهر  
وبغير جاه الله لم يستعصم  
صلى الإله عليه نورا هاديا  
متعبدا في غاره لم يسأم  
هيمن تضرع للسماء دموعه  
في تيه مشتاق ووجد متيم  
حتى أتى الروح الأمين يضمه  
ضما على رهبوته المتبسم  
اقراً وربك ملهم سبحانه  
قد علم الإنسان ما لم يعلم

أغيب وذو اللطائف لا يغيب  
(العبد الرحيم البرعي)

أغيب وذو اللطائف لا يغيب  
وأرجوه رجاء لا يخيب  
وأسأله السلامة من زمان

بليت به نوائبه تشيب  
و أنزل حاجتي في كل حال  
إلى من تطمئن به القلوب  
فكم لله من تدبير أمر  
طوته عن المشاهدة الغيوب  
وكم في الغيب من تيسير عسر  
ومن تقريج نائبة تنوب  
ومن كرم ومن لطف خفي  
ومن فرج تزول به الكروب  
ومن لي غير باب الله باب  
ولا مولى سواه ولا حبيب  
كريم منعم بر لطيف  
جميل الستر للداعي مجيب  
حليم لا يعاجل بالخطايا  
رحيم غيث رحمته يصب  
فيا ملك الملوك أقل عثاري  
فإني عنك أنأتني الذنوب  
وأمرضني الهوى لهوان حظي  
لكن ليس غيرك لي طبيب  
فأمن روعتي واكبت حسودا  
فإن النائبات لها نيوب  
وأنسني بأولادي وأهلي  
فقد يستوحش الرجل الغريب  
ولي شجن بأطفال صغار  
أكاد إذا ذكرتهم أذوب  
ولكني نبذت زمام أمري  
لمن تدبيره فينا عجيب

هو الرحمن حولي واعتصامي  
به وإليه مبتهلاً أتئيب  
إلهي أنت تعلم كيف حالي  
فهل يا سيدي فرج قريب؟  
فيا ديان يوم الدين فرج  
هموما في الفؤاد لها دبيب  
وصل حبلي بحبل رضاك وانظر  
إلي وتب علي عسى أتوب  
وراع حمايتي وتول نصري  
وشد عراي إن عرت الخطوب  
وألهمني لذكرك طول عمري  
فإن بذكرك الدنيا تطيب  
وقل عبد الرحيم ومن يليه  
لهم في ريف رأفتنا نصيب  
فظني فيك يا سندي جميل  
ومرعى ذود أمالي خصيب  
وصل على النبي وآله ما  
ترنم في الأراك العندليب

**مولاي صل وسلم دائما أبدا  
(من بردة البوصيري)**

مولاي صل وسلم دائما أبدا  
على حبيبك خير الخلق كلهم  
محمد أشرف الأعراب والعجم  
محمد خير من يمشي على قدم  
محمد باسط المعروف جامع  
محمد صاحب الإحسان والكرم  
محمد تاج رسل الله قاطبة

محمد صادق الأقوال والكلم  
محمد ثابت الميثاق حافظه  
محمد طيب الأخلاق والشيم  
محمد حاكم بالعدل ذو شرف  
محمد قائم لله ذو همم  
محمد خير خلق الله من مضر  
محمد خير رسل الله كلهم  
محمد دينه حق ندين به  
محمد مجملًا حقًا على الأمم  
محمد ذكره روح لأنفسنا  
محمد ذكره فرض على الأمم  
محمد سيد طابت مناقبه  
محمد صاغه الرحمن بالنعيم  
محمد صفوة الباري وخيرته  
محمد طاهر من سائر التهم  
محمد ضاحك للضيف مكرمه  
محمد جاره والله لم يضم  
محمد طابت الدنيا ببعثته  
محمد جاء بالآيات والحكم  
محمد يوم جمع الناس شافعنا  
خير البرية من عرب ومن عجم

## منشد البردة (عبد العظيم العطواني)

بفضل قصيدة البردة المعروفة، إحدى أشهر قصائد المديح النبوي وهي القصيدة التي بوأته صاحبها شرف الدين البوصيري بما حظيت به من مكانة لا تتنافسها فيها سوى البردة الأم لـ«كعب بن زهير»، توج الشيخ عبد العظيم العطواني بإمامة فن المدائح النبوية، وقد اقترن العطواني بها، فصار لا يعرف إلا بها ولا ينشدها إلا هو، ورغم بعده عن وسائل الإعلام وإصراره على البقاء في صعيد مصر إلا أن شهرته جابت الآفاق، وعد أشهر منشدي البردة على الإطلاق.

وكان من أهم من تأثر بهم الشيخ العطواني، الشيخ محمد متولي الشعراوي عام 1983، وكانت أسرطة الكاسيت التي تحمل قصيدة البردة للشيخ العطواني قد انتشرت، وكان لقاءه بالشيخ محمد متولي الشعراوي بحضور الشيخ محمد عبده يمانى وزير الإعلام السعودي الأسبق، وكان الشيخ يمانى من المرردين في الجلسة وراء إنشاد العطواني.

اسمه عبد العظيم أحمد سليم، وشهرته عبد العظيم العطواني؛ نسبة إلى قرية العطواني؛ وهي إحدى أشهر قرى مركز «إدفو» بمحافظة أسوان جنوب مصر. وكعادة أبناء قرى صعيد مصر التي ما زالت تحتفظ بكيانها وتقاليدها العريقة وثقافتها المتميزة.. كانت بدايته في كتاب القرية أحد أهم مظاهر التمسك بالدين والعتبة الأولى والأساس نحو مدارج العلم المختلفة. فكانت الخطوة الأولى للشيخ عبد العظيم تعلم أحكام القرآن الكريم وحفظه كاملاً مجوداً، وقد لمس شيخ الكتاب إمكانات العطواني، فدفعه إلى أن تكون الغاية والوسيلة هي كتاب الله وأحكام تجويده وما استتبع ذلك من خطوات تمثلت في ترحاله للاستزادة من دراسته للقرآن حفظاً وتجويداً وأحكاماً، وكان الشيخ البطيخي - الذي تعلم على يديه الشيخ محمد صديق المنشاوي - أحد أبرز معلمي الشيخ العطواني في فترة صباه.

حين كان العطواني تلميذاً في كتاب القرية كان من عادة شيخ الكتاب حين ينتهي من تعليم التلاميذ أن يختم لقاءه معهم بأنشودة دينية، وكانت قصيدة المديح النبوي للإمام البوصيري هي تلك الأنشودة التي يرددونها التلاميذ كل مرة.. فراقت كلماتها للشيخ العطواني وهو في صباه، ولمست موسيقاها ثنايا أذنه، فحفظها عن ظهر قلب، وشجا بها بين التلاميذ دون أن يشعر، وسمعه شيخه فقال له: لقد تملك منك البردة وتملكت منها.. وعشقتها وعشقتك.. وامتلاً بها قلبك فخرجت من صوتك وكأنها لم تخرج من صوت أحد قبلك؛ فأنشدنا بها دائماً.

بعد ذلك كان لا بد للشيخ من الذهاب الي قرية أصفون المجاورة لقرية العطواني، وهي تابعة لمركز إسنا المجاور لمركز إدفو وذلك لتلقي أحكام القراءات وتجويد القرآن الكريم على يد الشيخ

محمد سليم المنشاوي الذي يمت بصلة قرابة للشيخ صديق المنشاوي، وكذلك على يد الشيخ البطيخي استاذ المنشاوي.

فاكتشف العطواني أنهم في أصفون ينشدون البردة بطريقة مختلفة وجديدة غير التي حفظها، فحفظ الطريقة الجديدة بعد أن فهم أن البردة ليست مجرد قصيدة، وبدأ ينشد بها في الاحتفالات والمناسبات بعد قراءة القرآن الكريم.

ومنذ ذلك التاريخ صارت البردة ملازمة للشيخ العطواني مثلما صار هو معروفاً بها، وقال في ذلك فضيلة الشيخ متولي الشعراوي رحمه الله حين سمع الشيخ العطواني يشدو بالبردة في تقرد ووجد: كأنما وضع البوصيري البردة لينشدها.

وتحدث نقطة تحول في حياة الشيخ عبد العظيم، حين يلتقي بالشيخ الشعراوي في مولد أحبائه الله الصالحين، ويقول الشيخ العطواني: كان بيني وبين الشيخ الشعراوي ود وحب في الله فقد كان الشيخ الشعراوي يحب سماع البردة مني، وكنا نداوم على الاجتماع كل عام أثناء الاحتفال بمولد السيدة نفيسة في المبرة التي بناها الشيخ الشعراوي وأحبابه، فكان الشيخ الشعراوي دائماً ما يطلب مني إنشاد البردة، وكان حين يسمعها يهيم ويسيل الدمع من عينيه.

ويضيف: هناك موقف آخر حدث حينما كان الشيخ الشعراوي مريضاً وكنا وقتها في المملكة العربية السعودية فأردت زيارته، وكان يقيم وقتها في القصر الملكي بجوار الحرم المكي، فعرفنا أنه ذهب إلى جدة، ليتلقى علاجاً هناك فذهبنا خلفه وحين تمت الزيارة، وبعد أن سلمنا عليه اقترب مني وقام بتقبيل جبھتي، وكان في صحبتنا الصديق محمد عارف وهو من تلاميذ الشعراوي المقربين، وبعد ذلك قال الشعراوي: لقد قبلتك في المكان الذي قبلك فيه البوصيري، وأضاف الشعراوي بأنه سأل الإمام البوصيري: (لماذا تقبل العطواني ولم تقبلني؟ فقال لي: يا شعراوي أنت صاحب المشاهدة).

واللافت للنظر أن الشيخ الشعراوي قد أدخل تغييرات في متن قصيدة البردة، وبحسب الشيخ العطواني: أدخل الشيخ الشعراوي تغييرات كثيرة فمنها مثلاً في مطلع البردة يقول البوصيري:

مولاي صل وسلم دائماً أبداً

على حبيبك خير الخلق كلهم

**فغير الشعراوي وجعلها:**

مولاي صل وسلم دائماً أبداً

على المحبين للمختار كلهم

مولاي صل وسلم دائما أبدا  
على الحسينين والأنساب كلهم  
مولاي صل وسلم دائما أبدا  
على النبي وآل البيت كلهم  
فالتزمت أنا بها - والكلام مازال للشيخ - وأخذت أبدأ بها في كل الاحتفالات، كما أدخل الشيخ  
الشعراوي تغييرات في البردة ذاتها، فمثلا يقول البوصيري:  
فاق النبيين في خلق وفي خلق  
ولم يدانوه في علم وفي كرم  
غيرها الشيخ الشعراوي وجعلها:  
تاج النبيين في خلق وفي خلق  
وهم روافده في العلم والكرم  
وأضاف الشيخ الشعراوي في نهايتها:  
واجز البوصيري خيرا حيث شرفنا  
بمدح أحمد أبهى نعمة النعم  
وأقوم أنا أيضا بالختم بها حيث أنشد هذا البيت في كل احتفالية.  
توفي الشيخ عبد العظيم العطواني في فبراير 2016، ودفن في بلدته.

### قصيدة البردة

(للإمام البوصيري)

أمن تذكر جيران بذي سلم  
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم  
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة  
وأومض البرق في الظلماء من إضم  
فما لعينيك إن قلت اكفها همتا  
وما لقلبك إن قلت استفق يهم  
أيحسب الصب أن الحب منكمتم  
ما بين منسجم منه ومضطرم  
لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل

ولا أرقت لذكر البان والعلم  
فكيف تتكر حبا بعد ما شهدت  
به عليك عدول الدمع والسقم؟  
وأثبت الوجد خطي عبرة وضنى  
مثل البهار على خديك والعنم  
نعم سرى طيف من أهوى فأرقني  
والحب يعترض اللذات بالألم  
يا لائي في الهوى العذري معذرة  
مني إليك ولو أنصفت لم تلم  
عدتك حالي لا سري بمستتر  
عن الوشاة ولا دائي بمنحسم  
محضنتي النصح لكن لست أسمع  
إن المحب عن العذال في صمم  
إني اتهمت نصيح الشيب في عدل  
والشيب أبعد في نصح عن التهم  
فإن أمارتي بالسوء ما اتعظت  
من جهلها بنذير الشيب والهرم  
ولا أعدت من الفعل الجميل قرى  
ضيف ألم برأسي غير محتشم  
لو كنت أعلم أني ما أوقره  
كتمت سرا بدا لي منه بالكتم  
من لي برد جماح من غوايتها  
كما يرد جماح الخيل باللجم؟  
فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها  
إن الطعام يقوي شهوة النهيم  
والنفس كالطفل إن تهمله شب على  
حب الرضاع وإن تفضمه ينفطم

فاصرف هواها وحاذر أن توليه  
إن الهوى ما تولى يصم أو يصم  
وراعها وهي في الأعمال سائمة  
وإن هي استحلّت المرعى فلا تسم  
كم حسنت لذة للمرء قاتلة  
من حيث لم يدر أن السم في الدسم  
واخش الدسائس من جوع ومن  
شبع قرب مخمصة شر من التخم  
واستقرغ الدمع من عين قد امتلأت  
من المحارم والزم حمية الندم  
وخالف النفس والشيطان واعصهما  
وإن هما محضاك النصح فاتهم  
ولا تطع منهما خصما ولا حكما  
فأنت تعرف كيد الخصم والحكم  
أستغفر الله من قول بلا عمل  
لقد نسبت به نسلا لذي عقم  
أمرتك الخير لكن ما انتمرت به  
وما استقمت فما قولي لك استقم؟  
ولا تزودت قبل الموت نافلة  
ولم أصل سوى فرض ولم أصم  
ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى  
أن اشتكت قدماه الضر من ورم  
وشد من سغب أحشاءه وطوى  
تحت الحجارة كشحا مترف الأدم  
وراودته الجبال الشم من ذهب  
عن نفسه فأراها أيما شمم  
وأكدت زهده فيها ضرورته

إن الضرورة لا تعدو على العصم  
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من  
لولا له لم تخرج الدنيا من العدم؟  
محمد سيد الكونين والثقلين  
والفريقين من عرب ومن عجم  
نبينا الأمر الناهي فلا أحد  
أبر في قول لا منه ولا نعم  
هو الحبيب الذي ترجى شفاعته  
لكل هول من الأهوال مقتحم  
دعا إلى الله فالمستمسكون به  
مستمسكون بحبل غير منفصم  
فاق النبيين في خلق وفي خلق  
ولم يدانوه في علم ولا كرم  
وكلهم من رسول الله ملتمس  
غرفا من البحر أو رشفا من الدير  
وواقفون لديه عند حدهم  
من نقطة العلم أو من شكلة الحكم  
فهو الذي تم معناه وصورته  
ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم  
منزه عن شريك في محاسنه  
فجوهر الحسن فيه غير منقسم  
دع ما ادعته النصارى في نبيهم  
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم  
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف  
وانسب إلى قدره ما شئت من عظم  
فإن فضل رسول الله ليس له  
حد فيعرب عنه ناطق بقم

لو ناسبت قدره آياته عظما  
أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم  
لم يمتحنا بما تعيا العقول به  
حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم  
أعيا الورى فهم معناه فليس يرى  
في القرب والبعد فيه غير منفحم  
كالشمس تظهر للعينين من بعد  
صغيرة وتكل الطرف من أمم  
وكيف يدرك في الدنيا حقيقته  
قوم نيام تسلوا عنه بالحلم ؟  
فمبلغ العلم فيه أنه بشر  
وأنه خير خلق الله كلهم  
وكل أي أتى الرسل الكرام بها  
فإنما اتصلت من نوره بهم  
فإنه شمس فضل هم كواكبها  
يظهرون أنوارها للناس في الظلم  
أكرم بخلق نبي زانه خلق  
بالحسن مشتمل بالبشر متسم  
كالزهر في ترف والبدر في شرف  
والبحر في كرم والدهر في همم  
كانه وهو فرد من جلالته  
في عسكر حين تلقاه وفي حشم  
كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف  
من معدني منطق منه ومبتسم  
لا طيب يعدل ترابا ضم أعظمه  
طوبى لمن تشق منه وملتتم  
أبان مولده عن طيب عنصره

يا طيب مبتدأ منه ومختتم  
يوم تفرس فيه الفرس أنهم  
قد أنذروا بحلول البؤس والنقم  
وبات إيوان كسرى وهو منصدع  
كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم  
والنار خامدة الأنفاس من أسف  
عليه والنهر ساهي العين من سدم  
وساء ساوة أن غاضت بحيرتها  
ورد واردةا بالغيط حين ظمي  
كأن بالنار ما بالماء من بلل  
حزنا وبالماء ما بالنار من ضرر  
والجن تهتف والأنوار ساطعة  
والحق يظهر من معنى ومن كلم  
عموا وصموا فأعلان البشائر لم  
تسمع وبارقة الإنذار لم تشم  
من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم  
بأن دينهم المعوج لم يقيم  
وبعد ما عاينوا في الأفق من شهب  
منقضة وفق ما في الأرض من صنم  
حتى غدا عن طريق الوحي منهزم  
من الشياطين يقفو إثر منهزم  
كأنهم هربا أبطال أبرهة  
أو عسكر بالحصى من راحتيه رمي  
نبذا به بعد تسبيح ببطنهما  
نبذ المسيح من أحشاء ملتقم  
جاءت لدعوته الأشجار ساجدة  
تمشي إليه على ساق بلا قدم

كأنما سطرت سطرًا لما كتبت  
فروعها من بديع الخط في اللقم  
مثل الغمامة أنى سار سائرة  
تقيه حر وطيس للهجير حمي  
أقسمت بالقمر المنشق إن له  
من قلبه نسبة مبرورة القسم  
وما حوى الغار من خير ومن كرم  
وكل طرف من الكفار عنه عم  
فالصدق في الغار والصديق لم  
يرما وهم يقولون ما بالغار من أرم  
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على  
خير البرية لم تتسج ولم تحم  
وقاية الله أغنت عن مضاعفة  
من الدروع وعن عال من الأطم  
ما سامني الدهر ضيما واستجرت به  
إلا ونلت جوارا منه لم يضم  
ولا التمسست غنى الدارين من يده  
إلا استلمت الندى من خير مستلم  
لا تتكر الوحي من رؤياه إن  
له قلبا إذا نامت العينان لم ينم  
وذاك حين بلوغ من نبوته  
فليس ينكر فيه حال محتلم  
تبارك الله ما وحي بمكتسب  
ولا نبي على غيب بمتهم  
كم أبرأت وصبا باللمس راحته  
وأطلقت أربا من ربة اللمم  
وأحيت السنة الشهباء دعوته

حتى حكمت غرة في الأعصر الدهم  
بعارض جاد أو خلت البطاح بها  
سيب من اليم أو سيل من العرم  
دعني ووصفي آيات له ظهرت  
ظهور نار القرى ليلا على علم  
فالدر يزداد حسنا وهو منتظم  
وليس ينقص قدرا غير منتظم  
فما تطاول آمال المديح إلى ما  
فيه من كرم الأخلاق والشيم  
آيات حق من الرحمن محدثة  
قديمة صفة الموصوف بالقدم  
لم تقترن بزمان وهي تخبرنا  
عن المعاد وعن عاد وعن إرم  
دامت لدينا ففاقت كل معجزة  
من النبيين إذ جاءت ولم تدم  
محكمات فما تبقيين من شبه  
لذي شقاق وما تبغين من حكم  
ما حوربت قط إلا عاد من حرب  
أعدى الأعادي إليها ملقي السلم  
ردت بلاغتها دعوى معارضها  
رد الغيور يد الجاني عن الحرم  
لها معان كموج البحر في مدد  
وفوق جوهره في الحسن والقيم  
فما تعد ولا تحصى عجائبها  
ولا تسام على الإكثار بالسأم  
قربت بها عين قاريها فقلت له  
لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

إن تتلها خيفة من حر نار لظى  
أطفأت حر لظى من وردھا الشبم  
كأنھا الحوض تبيض الوجوه به  
من العصاة وقد جاؤوه كالحمم  
وكالصراط وكالميزان معدلة  
فالقسط من غيرها في الناس لم يقم  
لا تعجبين لحسود راح ينكرھا  
تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم  
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد  
وينكر الفم طعم الماء من سقم  
يا خير من يمم العافون ساحته  
سعيًا وفوق متون الأينق الرسم  
ومن هو الآية الكبرى لمعتبر  
ومن هو النعمة العظمى لمغتتم  
سريت من حرم ليلا إلى حرم  
كما سرى البدر في داج من الظلم  
وبت ترقى إلى أن نلت منزلة  
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم  
وقدمتك جميع الأنبياء بها  
والرسل تقديم مخدوم على خدم  
وأنت تخترق السبع الطباق بهم  
في موكب كنت فيه صاحب العلم  
حتى إذا لم تدع شأوا المستبق  
من الدنو ولا مرقى لمستتم  
خفضت كل مقام بالإضافة إذ  
نوديت بالرفع مثل المفرد العلم  
كيما تفوز بوصل أي مستتر

عن العيون وسر أي مكتتم  
فحزت كل فخار غير مشترك  
وجزت كل مقام غير مزدحم  
وجل مقدار ما وليت من رتب  
وعز إدراك ما أوليت من نعم  
بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا  
من العناية ركنا غير منهدم  
لما دعا الله داعينا لطاعته  
بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم  
راعت قلوب العدا أنباء بعثته  
كنبأة أجملت غفلا من الغنم  
ما زال يلقاها في كل معترك  
حتى حكوا بالقنا لحما على وضم  
ودوا الفرار فكادوا يغبطون به  
أشلاء شالت مع العقبان والرخم  
تمضي الليالي ولا يدرون عدتها  
ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم  
كأنما الدين ضيف حل ساحتهم  
بكل قرم إلى لحم العدا قرم  
يجر بحر خميس فوق سابعة  
يرمي بموج من الأبطال ملتطم  
من كل منتدب لله محتسب  
يسطو بمستأصل للكفر مصطلم  
حتى غدت ملة الإسلام وهي بهم  
من بعد غربتها موصولة الرحم  
مكفولة أبدا منهم بخير أب  
وخير بعل فلم تيتم ولم تئم

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم  
ماذا رأى منهم في كل مصطدم  
وسل حنينا وسل بدرا وسل أحدا  
فصول حتف لهم أدهى من الوخم  
المصدري البيض حمرا بعد ما  
وردت من العدا كل مسود من اللمم  
و الكاتبين بسمر الخط ما تركت  
أقلامهم حرف جسم غير منعجم  
شاكى السلاح لهم سيما تميزهم  
والورد يمتاز بالسيميا عن السلم  
تهدي إليك رياح النصر نشرهم  
فتحسب الزهر في الأكمام كل كمي  
كأنهم في ظهور الخيل نبت ربا  
من شدة الحزم لا من شدة الحزم  
طارت قلوب العدا من بأسهم  
فرقا فما تفرق بين البهم والبهم  
ومن تكن برسول الله نصرته  
إن تلقه الأسد في آجامها تجم  
ولن ترى من ولي غير منتصر  
به ولا من عدو غير منقصم  
أحل أمته في حرز ملتته  
كالليث حل مع الأشبال في أجم  
كم جدلت كلمات الله من جدل  
فيه وكم خصم البرهان من خصم  
كفاك بالعلم في الأمي معجزة  
في الجاهلية والتأديب في اليتم  
خدمته بمديح استقيل به ذنوب

عمر مضى في الشعر والخدم  
إذ قلداني ما تخشى عواقبه  
كأنني بهما هدي من النعم  
أطعت غي الصبا في الحاليتين  
وما حصلت إلا على الآثام والندم  
فياخسارة نفس في تجارتها  
لم تشتتر الدين بالدنيا ولم تسم  
ومن يبيع أجلا منه بعاجله  
يبين له الغبن في بيع وفي سلم  
إن أت ذنبا فما عهدي بمنقوض  
من النبي ولا حبلي بمنصرم  
فإن لي ذمة منه بتسميتي  
محكما وهو أوفى الخلق بالذمم  
إن لم يكن في معادي أخذا بيدي  
فضلا وإلا فقل يا زلة القدم  
حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه  
أو يرجع الجار منه غير محترم  
ومنذ ألزمت أفكاره مدائحه  
وجدته لخلاصي خير ملتزم  
ولن يفوت الغنى منه يدا تربت  
إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم  
ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفت  
يدا زهير بما أثنى على هرم  
يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به  
سواك عند حلول الحادث العمم  
ولن يضيق رسول الله جاهك بي  
إذا الكريم تجلى باسم منتقم

فإن من جودك الدنيا وضرتها  
ومن علومك علم اللوح والقلم  
يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت  
إن الكبائر في الغفران كاللحم  
لعل رحمة ربي حين يقسمها  
تأتي على حسب العصيان في القسم  
يا رب واجعل رجائي غير منعكس  
لديك واجعل حسابي غير منخرم  
والطف بعبدك في الدارين إن له  
صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم  
واذن لسحب صلاة منك دائمة  
على النبي بمنهل ومنسجم  
ما رنحت عذبات البان ريح صبا  
وأطرب العيس حادي العيس بالنغم  
ثم الرضا عن أبي بكر وعن عمر  
وعن علي وعن عثمان ذي الكرم  
والآل والصحب ثم التابعين فهم  
أهل التقى والنقا والحلم والكرم  
يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا  
واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم  
واغفر إلهي لكل المسلمين بما يتلوه  
في المسجد الأقصى وفي الحرم  
وبجاه من بيته في طيبة حرم  
واسمه قسم من أعظم القسم  
وهذه بردة المختار قد ختمت  
والحمد لله في بدء وفي ختم  
أبياتها قد أنت ستين مع مائة

فرج بها كربنا يا واسع الكرم

## ساقى الأرواح (أحمد التونى)

الشيخ أحمد التونى أشهر وأكبر منشدى صعيد مصر، يطلق عليه لقب «ساقى الأرواح» و«سلطان المنشدين»، وقد استطاع بأدائه المتميز الخروج بالغناء الصوفى من المحلية إلى العالمية، إذ دعى للمشاركة في العديد من المهرجانات الموسيقية الروحية.

يقول الشيخ التونى عن الموسيقى إنها «تجلب الجمهور، وتقرب المعنى، وتطرب النفس، وترقق المشاعر وأن الموسيقى تؤدي لأن يسود سهرات الإنشاد الصوفى نوع من الصفاء والحب، والإبداع والتشويق، يهدف الشيخ من خلال الإنشاد والموسيقى الروحية إلى إيصال رسالة التصوف الإسلامى إلى العالم كله، ويعتقد أن التصوف صالح لجميع الأديان وليس حكرا على المسلمين وحدهم.

يركز الشيخ فى إنشاده على الكلام، لا على الألحان حيث تكون الألحان مجرد خلفية مرافقة، وهو ينشد بشكل فطرى قائم بصورة أساسية على الارتجال مما يحفظه من أشعار كبار أئمة التصوف ومنهم أبو العزائم وابن الفارض والحلاج.. ويتبع الشيخ تخت موسيقى شرقى بسيط مؤلف من الرق والناي والكمان، يعزفون وراءه وفقا لما يفيض على شيخهم من تجليات شعرا وتتويجا بين المقامات الموسيقية.. وقد يتولى بنفسه ضبط الإيقاع من خلال النقر بمسبحة على كأس زجاجى، وبهذا يعود الشيخ أحمد التونى إلى طريقته الأصلية فى الإنشاد.

يقدم الشيخ التراث القديم كما هو، كما جاء على السنة الأولياء والعارفين بالله والسالكين فى مدارجهم، وعن الموالد التى تشتهر بها مصر التى كان الشيخ التونى نجمها الأول منذ سنوات عديدة، قال: إن مولد السيد البدوى بمدينة طنطا شمالي مصر المولد الوحيد الذى يحافظ على تقاليد الأصلية

لا سيما «الدورة» وهى نوع من الحركات تتبع فى الحضرات الصوفية. كان الشيخ ينشد مرتجلا من دون مرافقة الألحان إلى أن أدرك أهمية استخدام الموسيقى فى نشر رسالة التصوف التى يحملها، والتى بلغت عبر صوته مسارح باريس وعموم أوروبا والولايات المتحدة والبرازيل والأرجنتين وسائر دول شمالي أفريقيا، بالإضافة إلى سوريا.

فى الموالد، كمولد السيد البدوى وسيدنا الحسين والسيدة زينب، كان الشيخ أحمد يجد متعته فى الغناء المتواصل لساعات طويلة، تصل أحيانا لحوالى ست ساعات فى المولد، وكل ذلك ارتجالا مما يحفظه من الشعر دون أن ينشد فى ليلتين متتاليتين نفس الأشعار، ويعتبر الشيخ ياسين التهامى أحد أشهر تلاميذ الشيخ التونى.

وليس من الصدفة أن ينشد الشيخ أحمد التوني بمهرجان فريبورغ الدولي للموسيقى الروحية الذي احتضنته المدينة السويسرية في يوليو 2008، فهذا المهرجان تميز بالانفتاح على المدارس الموسيقية المختلفة، وعلى شتى الديانات والثقافات.

دعوة الشيخ التوني، وفرفته للمشاركة في هذه التظاهرة الثقافية الدولية، اعتراف بحسن الأداء، وإقرار بقدرة الإنشاد الصوفي على مد جسور التواصل مع جمهور يولي لهذه التعبيرات الثقافية اهتماما ويظهر شغفا متزايدا بها.

ويقول السيد فليب ترانشون، المسئول الإعلامي بمهرجان فريبورغ الدولي للموسيقى الروحية: أردنا خلال دورة 2008 تقديم عروض متنوعة ونماذج مختلفة من التراث الموسيقي للمنطقة المشرفة على حوض البحر الأبيض المتوسط، و ليس بإمكان أي مثقف يحترم نفسه أن يتحاشى أو يتغافل الثقافة التي يمثلها التراث المصري، والتراث الشرقي بصفة عامة.

وتنشر الصحف السويسرية أنه سوف ينطلق العرض الإنشادي لفرقة الشيخ أحمد التوني، فامتألت الساحة المجاورة لكاتدرائية القديس ميشال بجمهور غفير، وعندما فتحت القاعة، تدافع الجمع في مشهد غير مألوف في هذه البلاد، وفسرت السيدة منى فيدال، وكيلة الشركة الفرنسية للإنتاج الفني، التي لعبت دور الوسيط في استقدام فرقة التوني، فسرت الصحف ذلك بالقول إن الجمهور الغربي يهتم كثيرا بالأدبيات الصوفية والذين يأتون لمثل هذا الحفل، لديهم فكرة مسبقة عن طبيعة العرض، وجه التشويق يظل إذن في اكتشاف المنشد أحمد التوني، واللون المصري الصعيدي. وتقول سيدة مقيمة بمدينة فريبورغ: حضرت الحفل، وقد علت وجهها مسحة من التأثر وزينت نبرة كلامها مشاعر الإعجاب: حضرت هذا الحفل الإنشادي، وقبل أن آتي سمعت أن منشدا عربيا سيغني هذه الليلة، وتخيلت أنه من نوع الدراويش، لكن المفاجأة كانت كبيرة، لقد كان الأداء أجمل بكثير مما توقعت.

وتواصل هذه السيدة شارحة أسباب تأثرها البالغ بالإنشاد الصوفي الإسلامي:

لقد انجذبت أكثر فأكثر إلى القطعة الأخيرة من إنشاده.. شيخ مسلم يغني بكنيسة، ويتغنى بالقساوسة والرهبان، ويدعو للتعايش والحوار، في زمن تتصاعد صراعاته الدينية والعرقية.

وتقول سيدة أخرى جاءت من إقليم بروتاني الفرنسي لحضور الحفل:

عندما أقارن بين دعوة الشيخ التوني للتواصل والتلاقي والتعارف بين الحضارات، وبين ما تردده وسائل إعلامنا كل يوم من أخبار الحروب والقتل، أصاب بصدمة. لما أنشد الشيخ المطرب

داعيا إلى التأخي الإنساني، وإلى التعايش، رأيت الجمهور يتفاعل، وكان التأثير الشديد باديا على الوجوه.

تأثر وتجاوب لا يبدو أنه فاجأ الشيخ أحمد التوني، فبالنسبة إليه الإنشاد يخلق حالة متطابقة من الانفعال والتأثر النفسي لدى الجميع، كل يعبر عنه بلغته وأسلوبه، وبحسب ما منحه الله من إيمان ويقين.

ويذهب شيخ المنشدين إلى أبعد من ذلك، فيؤكد أن الذين يطربون لإنشاده من غير المسلمين أكثر من المسلمين أنفسهم؛ لأن رسالة التصوف تخترق جدران الثقافات والأعراق والأديان(16).

عقب وفاته عام 2014 أجرت مجلة صباح الخير حوارا مهما مع نجله الشيخ محمود التوني، قال فيه إن جنازة الشيخ التوني كانت حالة خاصة، فقد تحولت إلى عرس كبير في حب الشيخ فلم أقبل فيه تعازي فهو في فرحة تمام رسالته وحسنت خاتمته، ومن يحزن فهو أناني، ولم أرض أن أبكي فلو بكيت لكان كل عشاقه انهاروا؛ لذا لم أنزل معه للقبر وخفت ألا أصمد فأبكي ولم أتقص دور من أصبر الناس ومن يقول «اقرأ له الفاتحة» أردت أنه هو من قرأ الفاتحة علينا جميعا.

وعن فترة مرضه قال نجله: أعتقد أن معاصرتي للشيخ في مرضه نفحة اختصني الله بها، وكنت قد أغلقت تليفونات الشيخ في فترة مرضه الأخير حتى لا يسمع أحد صوته وهو مريض لأنه لا يريد أن يحزن عليه أحد، فقد كان يشفق حتى علي أنا من رؤيته مريضا، وكنت أطهر قدميه طول الوقت وكأني أمدنت تطهيرهما بالفعل من التفرحات التي يسببها مرض السكر، وكان يحاول منعي ويخاف علي من أن أشعر بتألمه، فكان يغني للشيخ مصطفى إسماعيل طول الوقت ليثبت أنه موجود ثم يدخل في غيبوبة السكر التي تلازمه، ثم

لا يلبث أن يغني للشيخ مصطفى إسماعيل ليطمئنني وكان دائم التلاوة للآية الكريمة: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (128) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) [التوبة: 129، 128] وأقسم بالله أنه كان يكررها خلال الأربعين يوما الأخيرة مع كل نفس، كررها أكثر من 1500 مرة في اليوم وكنت عندما أقول له: يا مولانا انتظر لا تتحدث لتستطيع التنفس يعلو صوته: «لا..لا أوصيك بها يا بني لو بتموت قلها» ومن عشقه للشيخ مصطفى إسماعيل كان طوال الوقت يريد أن يستمع إلى إنشاده وإلى تلاوته لسورة مريم، وكان عند انتهاء الآيات يتنبه الشيخ التوني ويخبرني بالعودة للبداية ويقول: أقسم بالله يا محمود الشيخ مصطفى إسماعيل أزاح عني الألم ويغني عن الأكل والشرب والعلاج.

وكان يردد قبل وفاته بساعات أنشودة: «اللي يفوح العشق من قدمه»، واكتشفت معناها بعد وفاته عندما أكد أكثر من ستين فردا شاهدين على ما حدث، منهم الشيخ ياسين التهامي أن بعد نزوله للقبر فاحت رائحة المسك على الناس كلها، وأقسم بالله أن ساعة الغسل لم يكن هناك أي من تقرحات السكر التي كانت موجودة وكأنها كلها اختفت وحلت محلها رائحة المسك.

وعن عشق الشيخ أحمد التوني للإنشاد، قال نجله: أبي هو الرجل الذي لا يحزن فمئذ ساعة ولادتي لم أره قد حزن يوما قط، بل عاش ومات ولم تشغله هموم الدنيا، كان أهم ما يشغله هو أن يقف لينشد، ولم يكن ينتسب من الإنشاد قط، وكل ليلة يحييها كأنها أهم ليلة في حياته، فعشقه للإنشاد يفوق أي شيء، وكان أيضا لا يفرق معه سن فقد كان شابا في الخامسة والتسعين من عمره وآخر ليلة أداها كانت على كرسي.

وعن مشاركته للإنشاد، قال: كنت دائما أذهب معه حتى إن تعب أقوم مكانه بإحياء الليلة، ولكن بصدق كنت أذهب كثيرا بالقميص والبنطلون حتى يصعب أن أغني بدلا منه لأنني سأكون فاشلا بالعشرة أمام الشيخ التوني، فكيف أنشد في حضوره؟ وكيف أقول «في الخمر يا ليل» والشيخ موجود؟ فهو الأصل، ولكن بعد وفاته بعدما رأيت أن الناس من ثاني يوم على الوفاة تعزي وتتوسل لأي رائحة من الشيخ التوني، وكنت أتوقع انقطاع هذا الطلب بعد وفاته، إلا أنني فوجئت في الليلة الخامسة عشرة للعزاء الناس تقول: «هذا هو الشيخ التوني» وحبا في الشيخ ساراضي الناس، وإذا كان لي أسلوب سابقا إلا أنني سأنقصر حركاته وأداءه وكلماته (17).

وربما لا يعلم الكثيرون أن الشيخ أحمد التوني ظهر في فيلم عالمي هو «فينجو»، حيث تم تجسيد الشيخ أحمد التوني في المشهد الأول لفيلم فينغو الإسباني للفرنسي توني جاتليف، ليقف الشيخ ممسكا بمسبحة يطرق بها على الكوب مغنيا «مدد.. مدد» في حفل مشترك له مع فرقة عزف لموسيقى الفلامنكو الإسبانية، ليقدم التوني أغنية أخرى تنتهي بأجراس كنيسة توظف البطل، وهو والد الفتاة التي قتلت وفي مسجلها شريط كاسيت خاص بالتوني شيخ المداحين.

وللشيخ التوني موقف وطني متميز، حينما أحيا ليلة ذكر في حب الثورة المصرية بميدان التحرير خلال شهر يوليو عام 2011، وملاً ميدان التحرير بصوته وروحانيات كلماته ونغمته المحببة للقلوب.

وعن رسالته تلك، قال الشيخ أحمد التوني إنه يحمل رسالة سلام إلى العالم أجمع، رسالة سلام صوفية خالصة على أنغام الموسيقى تتحدى كل أشكال التطرف والكرهية والعنف.

حين كان الشيخ التونسي يسأل عن جماهيره من الغرب الذين قد لا يفهمون كلمات أناشيده ولا يعتقدون الإسلام، كان يردد دائما بأن الصوفية شأن عام وروح راقية لا تنتقي القلوب والأرواح، بل تمس الجميع وتخص الجميع وتداعب وجدان الناس من دون تفرقة. ويضيف مثنيا على الموسيقى، قائلا إنها تضيء الصفاء على الروح والإطراء على القلوب وتمنح السهرات وحلقات الذكر نوعا من الدفاء والحب.

لم يمسك الشيخ بورقة ليقرأ منها يوما أشعارا مما كان ينشدها على أذان المستمعين، بل حفظها سماعيا عن ظهر قلب وأبا عن جد. لم يحفظ لحنا واحدا، بل كان يعتمد دائما على الارتجال وتوظيف تجليات فرقته بمنتهى التلقائية لخدمة الكلمات التي يحفظها ليردد على إيقاع الدف والطبلة كلمات أشعار الحلاج، وابن الفارض، وسيدي محمد أبو العزائم، مضيفا إيقاعه الخاص بتحريك سبخته على كوبه الزجاجي. يلقي هذا الخليط في أحضان النغمة الخارجة من الكمان والناي، فيرمي على الجميع تلك الخلطة السحرية التي تعلق قلوبهم في سقف القاعة، وأرواحهم في عنان السماء(18).

وفي 20 يوليو 2013 عاد الشيخ أحمد التونسي مرة أخرى إلى ميدان التحرير ليشارك في مليونية الانتصار والعبور، التي دعا لها عديد من القوى السياسية احتفالا بالإطاحة بنظام الإخوان. غنى الشيخ أحمد التونسي آلاف القصائد، ومنها:

### سكرت وتهت

سكرت وتهت عن حسي ونفسي  
و ملت برشف راحي عن زماني  
تتادي كل جارحة وعضو  
وأزهار و أنوار الجنان  
وأفلاك تدور على انتظام  
وأنهار بها حلو الغواني

### أبدأ تحن إليكم الأرواح

### (للسهروردي)

أبدأ تحن إليكم الأرواح  
ووصالكم ريحانها والراح  
وقلوب أهل ودادكم تشناقكم

وإلى بهاء جمالكم ترتاح  
وا رحمة للعاشقين تحملوا  
ثقل المحبة والهوى فضاح  
أهل الهوى قسمان: قسم منهم  
كنتموا، وقسم بالمحبة باحوا  
فالبائحون بسرهم شربوا الهوى  
صرفا فهزموا الغرام فباحوا  
و الكاتمون لسرهم شربوا الهوى  
ممزوجة فحمتهم الأقداح  
يا صاح ليس على المحب ملامة  
ان لاح في أفق الصباح صباح  
لا ذنب للعشاق إن غلب الهوى  
كتمانهم، فنما الغرام، فباحوا  
ركبوا على سفن الوفا ودموعهم  
بحر وشدة شوقهم ملاح  
والله ما طلبوا الوقوف ببابه  
حتى دعوا، وأتاهم المفتاح  
لا يطربون لغير ذكر حبيبهم  
أبدا فكل زمانهم أفراح  
أهل المحبة حين طاب شرابهم  
باعوا النفوس لحبهم وارتاحوا  
شربوا كؤوس الحب في حان  
الصفاء فتمايلت سكرها الأرواح  
ملاً الحبيب في قلوبهم من  
نوره فشذاهم من عطره فواح

## عميد المنشدين (ياسين التهامي)

الشيخ ياسين التهامي هو أسطورة الإنشاد الديني في مصر الآن، ولد في قرية الحواتكة مركز منفلوط محافظة أسيوط، نشأ في بيت ديني حيث يعد والده من الزهاد. وكان لهذا الجو الديني تأثير عميق في نفس الشيخ ياسين، فقد نشأ وتربى في جو يسوده التدين وذكر الله، وذلك من خلال ليالي الذكر التي كان والده يقيمها في المناسبات الإسلامية، مثل المولد النبوي الشريف وغيرها من المناسبات الدينية.

ومن هنا دفع به والده إلى أن يتلقى تعليمه بالمعاهد الأزهرية حتى وصل إلى السنة الثانية في المرحلة الثانوية الأزهرية، وخلال هذه الفترة من عمر الشيخ كان مولعا بالشعر الصوفي، والذي كان يسمعه من والده وممن يحضرون ليالي الذكر التي كان والده يقيمها، ثم ظل لمدة عامين متأملا ومنقطعا لقراءة أشعار المتصوفة الكبار أمثال: سيدي عمر بن الفارض، وسيدي الحلاج، وسيدي السهروردي، وسيدي محيي الدين بن عربي، وغيرهم من أقطاب الصوفية الكبار الذين كان لهم الفضل وكان لهم أكبر الأثر في تكوين شخصيته في هذه الفترة السنية التي يبني فيها عقل الإنسان وتتشكل فيها شخصيته.

ويعد الشيخ ياسين التهامي ظاهرة فريدة في عالم الغناء والطرب وفي عالم الإنشاد الديني خاصة، حتى أطلقت عليه الصحافة الإسبانية (ياسين العظيم ظاهرة الشرق).

بزغ نجم الشيخ ياسين التهامي منذ منتصف السبعينيات كمنشد ديني متمكن، منافسا بذلك الشيخ أحمد التوني سيد هذا الفن حينئذ، واستطاع الشيخ ياسين التربع على عرش الإنشاد حتى الآن، والارتقاء بالإنشاد الديني الشعبي من الأسلوب الدارج والكلمات العامية إلى تطعيمه بأرقى وأجمل ألوان الشعر الصوفي الفصيح لعمالقة الشعراء، كما يتمتع الشيخ ياسين بمعرفة موسيقية عالية، وتنفق مرن وسلس بين المقامات.

لكن الشيخ ياسين التهامي تلميذ الشيخ التوني تألق وحقق شعبية جارفة، مستفيدا بظهور شركات الكاسيت وانتشار أجهزة التسجيل في فترة سفر المصريين إلى دول الخليج في السبعينيات، فكانت الفرصة كبيرة أمام هذه الملايين للتعبير عن نفسها واختيار الشيخ الذي يعبر عنها ويقدم لها اللون الذي تحبه وتفهمه.

ورغم أن قصائد القطب الصوفي الأشهر عمر بن الفارض التي تخصص التهامي في إنشادها مكتوبة باللغة العربية الفصحى، إلا أن المصريين يستمتعون بها، وانتشر أسلوب الشيخ على مستوى الجمهورية وأصبح له مقلدون وتلاميذ، وأصبح حضوره في ليالي الإسكندرية والمحلة

والقاهرة وطنطا لا يقل عن حضوره في ليالي سوهاج وأسيوط وقنا، ولا يوجد مولد لأحد الأولياء في أي مدينة صغيرة أو كبيرة إلا شارك فيه ياسين التهامي بإحياء الليلة.

وأهم ما يميز التهامي إحساسه بالقصائد، وهو إحساس عال نشأ لديه بحكم نشأته في بيئة صوفية متعلمة، كما أنه أثناء إنشاده يقدم حالة فنية متكاملة فيها الصوت والكلمة واللحن والأداء المسرحي والزبي الشعبي المتمثل في العمامة التي تميز صعيد مصر.

للإنشاد الديني دولة وسلطنة، والمنشد الصوفي ياسين التهامي هو أحد أشهر أركان هذه الدولة التي تمتد باتساع العالم العربي والإسلامي، وتنسب إليه رسالة ماجستير في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عن الشعر الصوفي.

فقبل التهامي كانت قصائد المتصوفة من خواص الخواص؛ مكانها بطون الكتب أو حلقات الذكر ومجالس شيوخ الطرق؛ فجاء الشيخ ياسين بإنشاده في الموالد والميادين والحفلات ليجعله على السنة العوام في القرى والنجوع والأرياف أشبه بالأهازيج والفلكلور الشعبي، فتسمع مثلا حمال أمتعة أتعبته كثرة العمل بيدر لك عجزه عن رفع بعض المتاع قائلا: «ما حيلتي والعجز غاية قوتي؟!»، وقد تشكر آخر على خدمة أسداها إليك فيرد عليك: العفو.. الشكر لله ثم يردف: «لم أفعل شيئا...»، «أنا قلم والاقنتاء أصابع»، وربما عبر لك ثالث عن قلقه حيالك قائلا: «قلبي يحدثني بأنك متلفي»، ثم لا يلبث أن يردف مؤكدا أنه يداعبك فقط فيقول: «روحي فداك عرفت أم لم تعرف».

والجميع يرددون هذه الكلمات وغيرها المقطعة من عيون الشعر الصوفي كثيرا، ودون إدراك لمعانيها الحقيقية غالبا بعفوية وفصاحة لا تتم عنها بساطتهم ومستوياتهم الثقافية والاجتماعية المتواضعة، بل إن بعضهم يكاد يحفظ قصائد بأكملها لأقطاب المتصوفة يعجز عن حفظها كبار المتقنين، وذلك من كثرة ما ردها وراء الشيخ ياسين في الموالد والحفلات.

وقد أبدع الشيخ ياسين بهذه الموهبة لونا جديدا في الإنشاد الديني لم يكن موجودا من قبل، يزاوج فيه بين إيقاعات النغم الشرقي الأصيل والنغم الشعبي، وأدخل فيه الآلات الموسيقية على اختلاف أنواعها، ونوع من المقامات الموسيقية المتعارف عليها؛ فطور بذلك في الإنشاد الديني، وميزه عن أنواع مختلفة قد تتداخل معه؛ مثل الابتهاال الديني الذي قدمه كبار المنشدين من أمثال النفشبندي، ونصر الدين طوبار، وطه الفشني؛ ليس على مستوى الكلمة فقط، بل أيضا اللحن وشكل الأداء؛ فقد ظل الابتهاال أقرب للدعاء والمناجاة، ولا يرتبط فيه المبتهل بإيقاع بعينه، بل هو حر في أغلب الأحيان، وتصاحبه دائما بطانة تردد خلفه من دون موسيقى غالبا.

بينما طور الشيخ ياسين لونا من الإنشاد يعتمد على إدخال المقامات الشرقية - بما فيها المقامات المهجورة - على القصائد الدينية والتنويع بينها، وكذلك الآلات الموسيقية على اختلافها من كمان وناي وقانون وأكورديون... ومزج بين إيقاعات النغم الصعيدي وإيقاعات النغم الشرقي الأصيل، كما اختلف أيضا في طريقة الأداء التي تعتمد أساسا على العلاقة مع الجمهور وتقوم على التفاعل والتأثير المتبادل، خاصة أنه يقدم في الميادين والموالد والشوارع مباشرة إلى الجمهور.

رغم جمال موسيقاه فإنها تبدو كأنها تسير على غير قاعدة، وأحيانا متشابهة في أغلب ما ينشده؛ فإن هذا يصدق فقط على الاستهلال، أما فيما بعد الاستهلال فتكون أكثر انتظاما، ولكل قصيدة موسيقاها الخاصة بها، حتى إن بدت للوهلة الأولى متشابهة، وفي معظم الأحيان تفرض القصيدة المقام الموسيقي الخاص بها، والذي قد يتغير في القصيدة الواحدة. فهناك قصائد تغير مقامها ولحنها الآن من مرحلة عمرية لأخرى ومن مكان لآخر، وكثيرا ما يدخل تغييرا ليس على المقام الموسيقي فقط بل على كلمات وأبيات القصيدة نفسها.

ويمتلك ياسين التهامي طاقة ومساحة صوتية هائلة أغرت باحثا أمريكيا مثل «مايكل فروشكوف» بتخصيص دراسة كاملة عن أدائه الصوتي، ودفعت المستشرق الألماني «كولن» إلى أن يفرد له قسما مستقلا في كتابه عن الموسيقى الشرقية؛ باعتباره مرتجلا لنغم صوفي جديد من دون تعليم أو دراسة أكاديمية.

وصوت ياسين التهامي هو ما أتاح له إنشاد أصعب القصائد بمقامات لم يؤد عليها إلا كبار الفنانين، من أمثال ناظم الغزالي وأم كلثوم وصباح فخري؛ وهو أقرب إلى البوح الذي يخوض في مساحات واسعة في النفس الإنسانية تجعله يؤثر في ذاته دون معرفة معنى الكلمات أو حتى اللغة العربية نفسها؛ فهو صوت إنساني بامتياز يحسه كل من يسمعه حتى ولو لم يكن يفهمه.

لذلك كان أول ما وصفته به هيئة الإذاعة البريطانية في حلقة خاصة أنه «صاحب صوت إنساني فضفاض يستوعب أي إنسان على اختلاف لغته وموسيقاه»، وبعد أن أحيأ ليلة كاملة في مهرجان الموسيقى الروحية الذي تستضيفه العاصمة البريطانية لندن كل عام، علق بعض الحضور بأن «صوته وألحانه تفتح في النفوس طرقا من النور والإيمان»، واختصر مقدم الحفل ليلتها كلمته قائلا: «ياسين شيء مختلف لا نستطيع تقديمه؛ لذا فمن الأفضل أن نتركه يقدم نفسه من خلال غناؤه وموسيقاه وشكل أدائه الذي يشبه البوح».

طريقة الشيخ ياسين في الإنشاد فريدة ولها خصوصيتها؛ إذ تعتمد على التواصل المستمر بينه وبين فريق اللحن والجمهور وطبيعة وأجواء الزمان والمكان.. أو استحضر ما يسميه «الحالة»؛

حيث التفاعل المستمر، وتبادل المشاعر والأحاسيس مع الجمهور وانفعالاته؛ لذلك فهو لا يقوم بالإنشاد

– مثلا – داخل أستوديو، وإنما في الموالد واللقاءات المفتوحة مع الجمهور.

وهو – أيضا – لا يقوم بأي بروفة للحن أو لكلمات ما ينشده من قصائد، بل يأتي عفويا ومن تلقاء نفسه أو حسب ما يسميه «الحالة»؛ فهو يرتقي المسرح، ويحاول أن يختار من قصائد الصوفية أليقها بالمقام، لكن الذي يحدث غالبا أن «الحالة» هي التي تلهمه اختيار القصيدة وكذا اللحن، وهما متغيران بحسب «الحالة».

ويبدو ذلك واضحا من تغير لحن وكلمات القصيدة الواحدة؛ فكثيرا ما أنشد القصيدة الواحدة على أكثر من لحن أو مقام، وربما أنشد على المقام الواحد أكثر من قصيدة، وربما غير في القصيدة الواحدة والمقام الواحد بحسب الحالة التي ينشد فيها، والتي يخلقها الزمان والمكان والحدث والناس من حوله أو حالته الشخصية أيضا التي تتدخل في ذلك، لذلك مرات تأتي القصيدة ترقص طربا، ومرات أخرى تأتي هي نفسها تقطر حزنا.

ولأنه ولد وتربى في أجواء التصوف، وشب على حلقات الذكر، جاء معظم إنشاد الشيخ ياسين من قصائد وأشعار المتصوفة الذين تربطه بهم علاقة عشق ووجد، وممن أنشد لهم ياسين التهامي عبد القادر الجيلاني وعبد الكريم الجيلي والحلاج ومحبي الدين بن عربي وأبو معين الغوث وعمر بن الفارض، وغيرهم من أقطاب الصوفية أو أصحاب الطلة والروح

- بتعبير دراويش الصوفية - وهو ما يناسب الإنشاد الديني في الموالد وحلقات الذكر؛ ولهذا يكثر في إنشاد الشيخ ياسين المعاني والمصطلحات الصوفية.

ولا يخرج الشيخ ياسين عن عيون الشعر الصوفي إلا نادرا، وإذا ما أنشد لغير المتصوفة فلشعراء لهم نفس الروح والمشاعر والعاطفة القوية؛ مثل الأمير عبد الله الفيصل وعبد الله البردوني وعلي عبد العزيز وأحمد شوقي وعليه الجعار والأخطل الصغير (بشارة الخوري)، وطاهر أبو فاشا، وإيليا أبي ماضي.. ومن القدماء المتنبي وأبو فراس الحمداني ورابعة العدوية، وعنزة ابن شداد من الجاهليين أيضا؛ فالمبدأ عنده هو روح القصيدة وليس شخص صاحبها(19).

وهذه أمثلة من أهم القصائد التي تغنى بها:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة

(لابن الفارض)

شربنا على ذكر الحبيب مدامة

سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم  
لها البدر كأس وهي شمس يديرها  
هلال وكم يبدو إذا مزجت نجم  
ولولا شذاها ما اهتديت لحانها  
ولولا سناها ما تصورها الوهم  
ولم يبق منها الدهر غير حشاشة  
كأن خفاها في صدور النهى كتم  
فإن ذكرت في الحي أصبح أهله  
نشاوى ولا عار عليهم ولا إثم  
ومن بين أحشاء الدنان تصاعدت  
ولم يبق منها في الحقيقة إلا اسم  
وإن خطرت يوما على خاطر امرئ  
أقامت به الأفراح وارتحل الهم  
ولو نظر الندمان ختم إنائها  
لأسكرهم من دونها ذلك الختم  
ولو نضحوا منها ثرى قبر ميت  
لعدت إليه الروح وانتعش الجسم  
ولو طرحوا في فيء حائط كرمها  
عليلا وقد أشفى لفارقه السقم  
ولو قربوا من حانها مقعدا مشى  
وينطق من ذكرى مذاقتها البكم  
ولو عبقت في الشرق أنفاس طيبها  
وفي الغرب مزكوم لعاد له الشم  
ولو خضبت من كأسها كف لأمس  
لما ضل في ليل وفي يده النجم  
ولو جليت سرا على أكمه غدا  
بصيرا ومن راو دقها تسمع الصم

ولو أن ركبا يمموا ترب أرضها  
وفي الركب ملسوع لما ضره السم  
ولو رسم الراقي حروف اسمها على  
جبين مصاب جن أبرأه الرسم  
وفوق لواء الجيش لو رقم اسمها  
لأسكر من تحت اللوا ذلك الرقم  
تهذب أخلاق الندامى فيهتدي  
بها لطريق العزم من لا له عزم  
ويكرم من لم يعرف الجود كفه  
ويحلم عند الغيظ من لا له حلم  
ولو نال قدم القوم لثم فدامها  
لأكسبه معنى شمائلها اللثم  
يقولون لي صفها فأنت بوصفها  
خبير، أجل عندي بأوصافها علم  
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا  
ونور ولا نار وروح ولا جسم  
تقدم كل الكائنات حديثها  
قديما ولا شكل هناك ولا رسم  
وقامت بها الأشياء ثم لحكمة  
بها احتجبت عن كل من لا له فهم  
وهامت بها روعي بحيث تمازجات  
تحادا ولا جرم تخلله جرم  
فخمر ولا كرم وآدم لي أب  
وكرم ولا خمر ولي أمها أم  
ولطف الأواني في الحقيقة تابع  
للطف المعاني والمعاني بها تنمو  
وقد وقع التقرييق والكل واحد

فأرواحنا خمر وأشباحنا كرم  
ولا قبلها قبل ولا بعد بعدها  
وقبلية الأبعاد فهي لها حتم  
وعصر المدى من قبله كان عصرها  
وعهد أبينا بعدها ولها اليتيم  
محاسن تهدي المادحين لوصفها  
فيحسن فيها منهم النثر والنظم  
ويطرب من لم يدرها عند ذكرها  
كمشتاق نعم كلما ذكرت نعم  
وقالوا شربت الإثم كلا وإنما  
شربت التي في تركها عندي الإثم  
هنيئا لاهل الدير كم سكروا بها  
وما شربوا منها ولكنهم هموا  
وعندي منها نشوة قبل نشأتي  
معي أبدا تبقى وإن بلي العظم  
عليك بها صرفا وإن شئت مزجها  
فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم  
فدونكها في الحان واستجلها به  
على نغم الألحان فهي بها غنم  
فما سكنت والهم يوما بموضع  
كذلك لم يسكن مع النغم الغم  
وفي سكرة منها ولو عمر ساعة  
ترى الدهر عبدا طائعا ولك الحكم  
فلا عيش في الدنيا لمن عاش صاحيا  
ومن لم يمت سكرًا بها فاته الحزم  
علي نفسه فليبك من ضاع عمره  
وليس له فيها نصيب ولا سهم

## هو الحب فاسلم بالحشا (لابن الفارض)

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل  
فما اختاره مضنى به وله عقل  
وعش خاليا فالحب راحته عنا  
وأوله سقم وآخره قتل  
ولكن لدي الموت فيه صباية  
حياة لمن أهوى علي بها الفضل  
نصحتك علما بالهوى والذي أرى  
مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلو  
فإن شئت أن تحيا سعيدا فمت به  
شهيدا وإلا فالغرام له أهل  
فمن لم يمت في حبه لم يعيش به  
ودون اجتناء النحل ما جنت النحل  
تمسك بأذيال الهوى واخلع الحيا  
وخل سبيل الناسكين وإن جلوا  
وقل لقتيل الحب وفيت حقه  
وللمدعي هيهات ما الكحل الكحل  
تعرض قوم للغرام وأعرضوا  
بجانبيهم عن صحتي فيه فا عتلوا  
رضوا بالأمانى وابتلوا بحظوظهم  
وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا  
فهم في السرى لم يبرحوا من مكانهم  
وما ظعنوا في السير عنه وقد كلوا  
وعن مذهبي لما استحبوا العمى على  
الهدى حسدا من عند أنفسهم ضلوا  
أحبة قلبي والمحبة شافعي  
لديكم إذا شئتم بها اتصل الحبل

عسى عطفة منكم علي بنظرة  
فقد تعبت بيني وبينكم الرسل  
أحباي أنتم أحسن الدهر أم أسا  
فكونوا كما شئتم أنا ذلك الخل  
إذا كان حظي الهجر منكم ولم يكن  
بعاد فذاك الهجر عندي هو الوصل  
وما الصد إلا الود ما لم يكن قلى  
وأصعب شيء غير إعراضكم سهل  
وتعذيبكم عذب لدي وجوركم  
علي بما يقضي الهوى لكم عدل  
وصبري صبر عنكم وعليكم  
أرى أبدا عندي مرارته تطلو  
أخذتم فؤادي وهو بعضي فما الذي  
يضركم لو كان عندكم الكل؟  
نأيتم فغير الدمع لم أر وافيا  
سوى زفرة من حر نار الجوى تغلو  
فسهدي حي في جفوني مخلد  
ونومي بها ميت ودمعي له غسل  
هوى ظل ما بين الطلول دمي فمن  
جفوني جرى بالسفح من سفحه وبل  
تباله قومي إذ رأوني متيما  
وقالوا بمن هذا الفتى مسه الخبل؟  
وماذا عسى عني يقال سوى غدا  
بنعم له شغل؟ نعم لي بها شغل  
وقال نساء الحي عنا بذكر من  
جفانا وبعد العز لذ له الذل  
إذا أنعمت نعم علي بنظرة

فلا أسعدت سعدي ولا أجملت جمل  
وقد صدئت عيني بروية غيرها  
ولثم جفوني تربها للصداء يجلو  
وقد علموا أنني قتيل لحاظها  
فإن لها في كل جارحة نصل  
حديثي قديم في هواها وما له  
كما علمت بعد وليس لها قبل  
وما لي مثل في غرامي بها كما  
غدت فتنة في حسنها ما لها مثل  
حرام شفا سقمي لديها رضيت ما  
به قسمت لي في الهوى ودمي حل  
فحالي وإن ساءت فقد حسنت به  
وما حظ قدرتي في هواها به أعلو  
وعنوان ما فيها لقيت وما به  
شقيت وفي قولي اختصرت ولم أغل  
خفيت ضنى حتى لقد ضل عاندي  
وكيف ترى العواد من لاله ظل؟  
وما عثرت عين على أثري ولم  
تدع لي رسما في الهوى الأعين النجل  
ولي همة تغلو إذا ما ذكرتها  
وروح بذكرها إذا رخصت تغلو  
جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي  
فأصبح لي عن كل شغل بها شغل  
فنافس ببذل النفس فيها أخوا الهوى  
فإن قبلتها منك يا حبذا البذل  
فمن لم يجد في حب نعم بنفسه  
ولو جاد بالدنيا إليه انتهى البخل

ولولا مراعاة الصيانة غيرة  
ولو كثروا أهل الصباية أو قلوبا  
لقلت لعشاق الملاحة أقبوا  
إليها على رأيي وعن غيرها ولوا  
وإن ذكرت يوما فخرها لذكرها  
سجودا وإن لاحت إلى وجهها صلوا  
وفي حبها بعث السعادة بالشقا  
ضلالا وعقلي عن هداي به عقل  
وقلت لرشدي والتسك والتقى  
تخلوا وما بيني وبين الهوى خلوا  
وفرغت قلبي عن وجودي مخلصا  
لعلي في شغلي بها معها أخلو  
ومن أجلها أسعى لمن بيننا سعى  
وأعدو ولا أعدو لمن دأبه العذل  
فأرتاح للواشين بيني وبينها  
لتعلم ما ألقى وما عندها جهل  
وأصبو إلى العذال حبا لذكرها  
كأنهم ما بيننا في الهوى رسل  
فإن حدثوا عنها فكلي مسامح  
وكلي إن حدثتهم ألسن تتلو  
تخالفت الأقوال فينا تباينا  
برحم ظنون بيننا ما لها أصل  
فشنع قوم بالوصال ولم تصل  
وأرجف بالسلمان قوم ولم أسل  
فما صدق التشنيع عنها لشقوتي  
وقد كذبت عني الأراجيف والنقل  
وكيف أرجي وصل من لو تصورت  
حماها المنى وهما لضاقت بها السُّبُلُ؟

وإن وعدت لم يلحق الفعل قولها  
وإن أوعدت بالقول يسبقه الفعل  
عديني بوصل وامطلي بنجازه  
فعندي إذا صح الهوى حسن المطل  
وحرمة عهد بيننا عنه لم أحل  
وعقد بأيد بيننا ما له حل  
لأنت على غيظ النوى ورضى الهوى  
لدي وقلبي ساعة منك ما يخلو  
ترى مقلتي يوما ترى من أحبهم  
ويعتبني دهري ويجتمع الشمل  
وما برحوا معنى أراهم معي فإن  
نأوا صورة في الذهن قام لهم شكل  
فهم نصب عيني ظاهرا حيثما سروا  
وهم في فؤادي باطنا أينما حلوا  
لهم أبدا مني حنو وإن جفوا  
ولي أبدا ميل إليهم وإن ملوا

و الله ما طلعت شمس  
(الحلاج)

والله ما طلعت شمس و لا غربت  
إلا و حبك مقرونا بأنفاسي  
ولا تنفست مسرورا و مكتئبا  
إلا و أنت سهيلي بين أنفاسي  
ولا شربت شراب الماء من عطش  
إلا رأيت خيالا منك في الكاس

أكاد من فرط الجمال أدوب  
(من الشعر الصوفي)

أكاد من فرط الجمال أدوب

هل يا حبيب في رضاك نصيب؟  
جعلت قلبي يهفو دوما للقاء وإذا ذكرتك يا حبيبي أطيّب  
بمجرد الأذكار قلبي هائم هل فؤادي عنك قط يغيب؟  
إني الأسير بحبي فيك في شرع الهوى فارحم قلوبا نال منها شحوب  
من يغفر الزلات غيرك سيدي إني السعيد إذا أتيت أتوب  
شاقني وجدي وحبك مطلب من شاقه حب الجمال يصيب  
أسلمت أمري آه للذي أنا ملكه فاملك فحزبي إن أنت قريب  
إني الفقير إليك عبد رضاكم عطفًا علي فإنني المجذوب  
أוכל ما هتف الأحية باسمه رقص الفؤاد و شاقني المحبوب؟  
أهيم في لقياه كيف وصاله؟ هل يا ترى يرضى وكلي عيوب؟  
متناول أنا في ادعائي بحبه و الحب يأتي يسوقه المطلوب  
أنا القليل بلا إثم ولا حرج  
(لابن الفارض)

ما بين معترك الأحداق والمهج  
أنا القليل بلا إثم ولا حرج  
ودعت قبل الهوى روعي لما نظرت  
عيناى من حسن ذاك المنظر البهج  
لله أجفان عين فيك ساهرة  
شوقا إليك وقلب بالغرام شج  
وأضلع نحلّت كادت تقومها  
من الجوى كبدي الحرا من العوج  
وأدمع هملت لولا التنفس من  
نار الهوى لم أكد أنجو من اللجج  
وحبذا فيك أسقام خفيت بها  
عني تقوم بها عند الهوى حجج  
أصبحت فيك كما أمسيت مكتئبا  
ولم أقل جزعا يا أزمة انفرجي

أهفو إلى كل قلب بالغرام له  
شغل وكل لسان بالهوى لهج  
وكل سمع عن اللاحي به صمم  
وكل جفن إلى الإغفاء لم يعج  
لا كان وجد به الأماق جامدة  
ولا غرام به الأشواق لم تهج  
عذب بما شئت غير البعد عنك تجد  
أوفى محب بما يرضيك مبهج  
وخذ بقية ما أبقيت من رمق  
لا خير في الحب إن أبقى على المهج  
من لي بإتلاف روعي في هوى رشا  
حلو الشمائل بالأرواح ممتزج  
من مات فيه غراما عاش مرتقيا  
ما بين أهل الهوى في أرفع الدرج  
محجب لو سرى في مثل طرته  
أغنته غرته الغرا عن السرج  
وإن ضللت بليل من ذوائبه  
أهدى لعيني الهدى صبح من البلج  
وإن تنفس قال المسك معترفا  
لعارفي طيبه من نشره أرجي  
أعوام إقباله كالיום في قصر  
ويوم إعراضه في الطول كالحجج  
فإن نأى سائرا يا مهجتي ارتطي  
وإن دنا زائرا يا مقلتي ابتهجي  
قل للذي لامني فيه و عنفني  
دعني وشأني وعد عن نصحك السمج  
فاللوم لؤم ولم يمدح به أحد  
وهل رأيت محبا بالغرام هجي؟

يا ساكن القلب لا تنظر إلى سكاني  
واربح فؤادك واحذر فتنة الدعج  
يا صاحبي وأنا البر الرؤوف وقد  
بذلت نصحي بذاك الحي لا تعج  
فيه خلعت عذاري واطرحت به  
قبول نسكي والمقبول من حججي  
وابيض وجه غرامي في محبته  
واسود وجه ملامي فيه بالحجج  
تبارك الله ما أحلى شمائله  
فكم أماتت وأحيت فيه من مهج  
يهوي لذكر اسمه من لج في عذلي  
سمعي وإن كان عذلي فيه لم يلج  
وأرحم البرق في مسراه منتسبا  
لثغره وهو مستحي من الفلج  
تراه إن غاب عني كل جارحة  
في كل معنى لطيف رائق بهج  
في نغمة العود والناي الرخيم إذا  
تألقا بين ألحان من الهزج  
وفي مسارح غزلان الخمائيل في  
برد الأصائل والإصباح في البلج  
وفي مساقط أنداء الغمام على  
بساط نور من الأزهار منتسج  
وفي مساحب أذيال النسيم إذا  
أهدى إلي سحير أطيب الأرج  
وفي التثامي ثغر الكاس مرتشفا  
ريق المدامة في مستنزه فرج  
لم أدر ما غربة الأوطان وهو معي

وخاطري أين كنا غير منزعج  
فالدار داري وحي حاضر ومتى  
بدا فمخرج الجرعاء منرجي  
ليهن ركب سروا ليلا وأنت بهم  
بسيرهم في صباح منك منبلج  
فليصنع الركب ما شأؤوا بأنفسهم  
هم أهل بدر فلا يخشون من حرج  
بحق عصياني اللاحي عليك وما  
بأضاعي طاعة للوجد من وهج  
انظر إلى كبد ذابت عليك جوى  
ومقلة من نجيع الدمع في لجج  
وارحم تعثر آمالي ومرتجي  
إلى خداع تمنى الوعد بالفرج  
واعطف على ذل أطماعي بهل وعسى  
وامن علي بشرح الصدر من حرج  
أهلا بما لم أكن أهلا لموقعه  
قول المبشر بعد اليأس بالفرج  
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد  
ذكرت ثم على ما فيك من عوج

### قلبي يحدثني (لابن الفارض)

قلبي يحدثني بأنك متلني  
روحي فداك عرفت أم لم تعرف  
لم أقض حق هواك إن كنت الذي  
لم أقض فيه أسى ومثلي من يفي  
ما لي سوى روعي وباذل نفسه  
في حب من يهواه ليس بمسرف  
فلئن رضيت بها فقد أسعفتني

يا خيبة المسعى إذا لم تسعف  
يا مانعي طيب المنام ومانحي  
ثوب السقام به ووجدي المتلف  
فالوجد باق والوصال مماطلاي  
والصبر فان واللقاء مسوفي  
عظفا على رمقي وما أبقيت لي  
من جسمي المضنى وقلبي المدنف  
لم أخل من حسد عليك فلا تضع  
سهري بتشنيع الخيال المرجف  
واسأل نجوم الليل هل زار الكرى  
جفني وكيف يزور من لم يعرف؟  
لا غرو إن شحت بغمض جفونها  
عيني وسحت بالدموع الذرف  
وبما جرى في موقف التوديع من  
ألم النوى شاهدت هول الموقف  
إن لم يكن وصل لديك فعد به  
ألمي وماطل إن وعدت ولا تقي  
فالمطل منك لدي إن عز الوفا  
يحلو كوصل من حبيب مسعف  
أهفو لأنفاس النسيم تعة  
ولوجه من نقلت شذاه تشوفي  
فلعل نار جوانحي بهبوبها  
أن تنطفي وأود أن لا تنطفي  
يا أهل ودي أنتم ألمي ومن  
ناداكم يا أهل ودي قد كفي  
عودوا لما كنتم عليه من الوفا  
كرما فإني ذلك الخل الوفي

وحياتكم وحياتكم قسما وفي  
عمري بغير حياتكم لم أحلف  
لو أن روعي في يدي ووهبتها  
لمبشري بقدمكم لم أنصف  
لا تحسبوني في الهوى متصنعا  
حتى لعمرى كدت عني أختفي  
وكتمته عني فلو أبديته  
لوجدته أخفى من اللطف الخفي  
ولقد أقول لمن تحرش بالهوى  
عرضت نفسك للبلأ فاستهدف  
أنت القتل بأي من أحبته  
فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي  
قل للعذول أطلت لومي طامعا  
أن الملام عن الهوى مستوقفي  
دع عنك تعنفي وذق طعم الهوى  
فاذا عشقت فبعد ذلك عنف  
برح الخفاء بحب من لو في الدجى  
سفر اللثام لقلت يا بدر اختف  
وإن اكتفى غيري بطيف خياله  
فأنا الذي بوصاله لا أكتفى  
وقفا عليه محبتي ولمحتني  
بأقل من تلقى به لا أشتفى  
وهواه وهو أليتي وكفى به  
قسما أكاد أجله كالمصحف  
لو قال تيهها قف على جمر الغضا  
لوقفت ممتلا ولم أتوقف  
أو كان من يرضى بخدي موطنأ

لوضعتة أرضا ولم أستتكف  
لا تتكروا شغفي بما يرضى وإن  
هو بالوصال علي لم يتعطف  
غلب الهوى فأطعت أمر صبابتي  
من حيث فيه عصيت نهى معنفي  
مني له ذل الخضوع ومنه لي  
عز المنوع وقوة المستضعف  
ألف الصدود ولي فواد لم يزل  
مذ كنت غير وداده لم يألف  
ياما أميلح كل ما يرضى به  
ورضابه ياما أحيلاه بفي  
لو أسمعوا يعقوب ذكر ملاحه  
في وجهه نسي الجمال اليوسفي  
أو لو رآه عائدا أيوب في  
سنة الكرى قدما من البلوى شفي  
كل البدر إذا تجلى مقبلا  
تصبو إليه وكل قد أهيف  
إن قلت عندي فيك كل صباية  
قال الملاحه لي وكل الحسن في  
كملت محاسنه فلو أهدى السنا  
للبر عند تمامه لم يخسف  
وعلى تقنن واصفيه بحسنه  
يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف  
ولقد صرفت لحبه كلي على  
يد حسنه فحمدت حسن تصرفي  
فالعين تهوى صورة الحسن التي  
روحي بها تصبو إلى معنى خفي

أسعد أخي وغنني بحديثه  
وانثر على سمعي حلاه وشنف  
لأرى بعين السمع شاهد حسنه  
معنى فأتحنفي بذاك وشرف  
يا أخت سعد من حبيبي جئتني  
برسالة أديتها بتلطف  
فسمعت ما لم تسمعي ونظرت ما  
لم تنظري وعرفت ما لم تعرفي  
إن زار يوماً يا حشاي تقطعي  
كلفاً به أو سار يا عين اذرفي  
ما للنوى ذنب ومن أهوى معي  
إن غاب عن إنسان عيني فهو في

# محمود التهامي ونقابة المنشدين

فكرة إقامة نقابة للمنشدين في مصر ظهرت في عدة فترات، لكن الشيخ محمود التهامي نجل الشيخ ياسين التهامي، الذي يسير على درب والده حتى أصبح من كبار نجوم الإنشاد الديني في مصر، تبني هذه الفكرة ويحاول الخروج بها رسمياً إلى النور، ويمارس نشاطه بالفعل كنقيب للمنشدين.

وقد أجريت حواراً صحفياً مع الشيخ محمود التهامي، نشر بجريدة الأهرام بتاريخ 3 يونيو 2016، شرح فيه كل ما يتعلق بهذا الموضوع وتحدث عن نفسه، وفيما يلي نص الحوار:

الفنون وسيلة الإنسان الكبرى للارتقاء بنفسه وروحه، إذا أسلم نفسه إليها أسلمته هي إلى فضاءات من الحب والجمال والرقى، وليس أعذب في أذن السامع وقلبه من فن الإنشاد الديني الذي يجول بنا في سحب من التجلي والوصول، ويبحر بنا في أمواج موسيقية تنساب على أرواحنا نورا وصفاء وحباً.

الشيخ محمود التهامي نقيب المنشدين من أشهر المنشدين الذين طوروا هذا الفن بالعلم والموهبة والتجديد، حتى أصبح ملء السمع والبصر، يضيف كل يوم جملة جديدة إليه، فهو الدارس للغة العربية بجامعة الأزهر، وفي الوقت نفسه حضر جلسات حرة بالكونسرفتوار، جامعاً بهذا بين الأصالة والمعاصرة، والعلم والروح، فأخرج لنا مدرسة جديدة من الإنشاد الديني.

وفي حوارٍ معه تحدث عن مستقبل الإنشاد في مصر، وشروط الالتحاق بالمدرسة التي أسسها، والدور المهم الذي تقوم به نقابة المنشدين، والمهرجانات الدولية التي شارك فيها.. وإلى الحوار:

## أبدأ معكم بنقابة المنشدين وهل أنت أول نقيب لها؟ ومتى تأسست؟

بدأت فكرة نقابة الإنشاد الديني بدءاً من عام 2007؛ حيث إن هناك شعبة في نقابة المهن الموسيقية للإنشاد الديني إلا أنها لم تكن مفعلة بالشكل الكافي، فعدد الأعضاء المعتمدين ولهم عضويات عاملة وحقوق من النقابة يعدون على أصابع اليد، أما الباقون فأصحاب عضويات منتسبة، لا يجدون لهم حقوقاً، بل أعرف منهم الكثيرين يخرجون للإنشاد على كبر سنهم من أجل قوت يومهم، وأعمارهم فوق الستين والسبعين بل والثمانين، وليس لهم تأمينات صحية، ولا معاش آخر، فتحدثت مع النقابة في أننا نحتاج إلى عضويات عاملة للمنشدين، ولكن دون جدوى، ففكرت في إنشاء نقابة خاصة بالإنشاد الديني تهتم بالإنشاد وأهله من المنشدين ليكون لهم حقوق كما

يقدمون إمتاعا وعملا جليلا، فتقدمت بمشروع قانون إنشاء نقابة للإنشاد الديني إلى مجلس الشورى ومجلس الوزراء وكان هذا عام 2008، وكان من المفترض أن يناقش هذا القانون في مجلس الشعب عام 2010، وقبل انعقاد المجلس قامت الثورة، فتعطلت الإجراءات، وبعد جهد وسعي كبيرين حصلنا على إشهار نقابة مستقلة، وبدأنا أول مهرجان للإنشاد الديني.

### متى كان هذا المهرجان؟

كان في شهر أكتوبر 2013، وانطلقنا بعد هذا المهرجان إلا أنني صدمت بالواقع، فوجدت أن معظم المنشدين مغنون شعبيون، وكل ما في الأمر ان المغني يذهب إلى الفرح الشعبي فيتغنى ببعض الجمل الدينية قائلا مثلا: (يا صلاة الزين.. يا صلاة الزين) فيردد الجمهور وراءه، فيعتبر نفسه منشدا دينيا، فقررت أن أنشر فن التواشيح المصري الذي غزا العالم كله، وأنشأت مدرسة لتعليم الإنشاد الديني وتوثيق التراث، والذي يتقدم للنقابة ونرى فيه صوتا جميلا واستعدادا نحوله على المدرسة فتصقله، وتنمي ذائقته وحاسته الموسيقية والروحية، فيخرج منشدا مثقفا.

### كم عدد أعضاء نقابة الإنشاد الديني الآن؟

يبلغ عدد أعضاء النقابة حوالي ألفي عضو.

### وهل كل أعضاء النقابة يدرسون في المدرسة التي قمت بتأسيسها؟

لا.. وإن كنت أرى أن المهنة وحدها لا تكفي، فاهتمت بالمدرسة لكي أجبر الكل على أن ينتمي إليها للعلم والدراسة وصقل الموهبة، فحين يرى الدارسون ما أعده لهم من مهرجانات ولقاءات في الإذاعة والتلفزيون، واستضافة شخصيات كبيرة، يتشجعون ويذهبون للدراسة بالمدرسة، حتى يقوم كل شيء على العلم لا على الحب وحده.

### كم دفعة تخرجت في المدرسة إلى الآن؟

المدرسة بها أربعة مستويات، تخرج فيها بالمستوى الأول دفعتان، وهناك دفعة تخرجت في المدرسة بالمستويات الأربعة.

### وهل يقوم بالتدريس في المدرسة أساتذة مختصون؟

نعم فأنا أقوم بالتدريس ومعني الشيخ طه الإسكندراني، والأستاذ مصطفى النجدي، وآخرون في النقابة، وكلنا - والحمد لله - مطلعون، وكل منا يختص بجانب معين.

### ما شروط الالتحاق بمدرسة الإنشاد الديني؟ وهل هناك سن معينة للالتحاق بها؟

هناك شروط أساسية، وهي: الصوت الجميل - الأذن الموسيقية - الموهبة. وليس هناك سن معينة للالتحاق بالمدرسة فعندنا دارس عمره ستون عاما، وآخر عمره ثلاثة عشر عاما.

**ما أكثر المحافظات التي تهتم بهذا النوع من الغناء؟**

كل محافظات مصر، خاصة أهالي الصعيد والمنوفية.

**هل شاركتكم في مهرجات دولية قبل ذلك؟**

يغلب على عملي الحفلات والمشاركات الخاصة، وكنت أمثل الدولة في بعض المهرجانات، وقد دعيت إلى مهرجان سماع بالجزائر للمنافسة على (البردة) وقد فزت بجائزة البردة عام 2005، فأني مهرجان أو عمل يكون به اسم مصر أذهب ولو على حسابي الخاص.

**ما أوجه التعاون بينكم وبين وزارة الثقافة؟**

لقد أحببت منذ البداية أن يكون مشروع الإنشاد الديني والنقابة والمدرسة مشروعاً مؤسسياً، لا مشروع محمود التهامي وحده؛ لأن محمود التهامي سيذهب وسيبقى المشروع، من هنا كان التعاون مع وزارة الثقافة ليأخذ الإنشاد الديني مساحة في الوزارة، وينهض بالشباب، وسنعمل في قصور الثقافة تدريبات ودروساً بعد عيد الفطر إن شاء الله تعالى.

**كيف ترى مستقبل الإنشاد الديني في مصر؟**

بفضل السعي الجهد الذي نقوم به في نقابة الإنشاد الديني، ومدرسة الإنشاد الديني، أرى أنه سيعود فن الإنشاد إلى سابق عصر ازدهاره، خاصة وأنا أرى كثيراً من الشباب الموهوبين يسعون إلى هذا المجال، ويحبونه ويحاولون الوصول إلى درجة الإنشاد الراقية.

**هل للإنشاد الديني دور في مواجهة التشدد والأفكار المتطرفة؟**

للإنشاد الديني دور كبير في مواجهة التطرف، فالتطرف قائم على الاختلاف والتعصب، أما الإنشاد فهو يجمع الناس على كلمة واحدة، فالكل يسمع وينصت ويحب ويشدو بحب سيدنا النبي - ﷺ - أيضاً الإنشاد الديني يفرغ طاقة الشباب في الحب والقُدوة الحسنة، بدلاً من تفرغها في التطرف والأعمال العنيفة، هو يستغل كل حواس الشاب في صوته وتحسينه والشدو بالحب لا بالكره والعنف. كذلك فإن الإنشاد ارتقاء بالروح والمعاني السامية، ويبتعد عن المادية البحتة المؤدية إلى التطرف، فهو يسمو بالروح ويصفيها ويجليها لتصبح أكثر حبا ووداً وقرباً.

**بمناسبة البعد عن التطرف، حدثنا عن أشهر الأقباط المنشدين في حب الرسول ﷺ؟**

نعم.. عندنا بالنقابة أربعة منشدين أقباط، منهم مكرم المنيأوي، جميل عبدالكريم، وقد دمجتنا هذا العام الترانيم القبطية في مسابقة الإنشاد الديني، في مسابقة إبداع، التي ترعاها وزارة الشباب والرياضة.. وأنا محكم في المسابقة عملت مسابقة إبداع فأدرجتنا فيها مجال الترانيم في مسابقة الإنشاد الديني، يعني أصبح من ضمن المتسابقين مسيحيون.

## هل المولوية المصرية تطوير للإنشاد؟

لست مع كلمة المولوية المصرية؛ لأن المولوية فن تابع لمولانا جلال الدين الرومي.. المولوية بشكل عام لون من ألوان الإنشاد الديني.

### تقصد أن الإنشاد أعم؟

الإنشاد لفظ أعم يندرج تحته الابتهاال فيندرج تحته الأذان، المديح، ويندرج تحته قراءة القرآن، والتواشيح فن الخطابة. المولوية نوع من الإنشاد ولكن ليست تطويرا له، وأنا مختلف بشأنها لأنني أراها تركية أكثر منها مصرية.

### نريد أن نعرف أكثر عن الشيخ محمود التهامي وما دراستك؟

أنا محمود التهامي محب لرسول الله - ﷺ - نذرت عمري للإنشاد الديني حتى أقدم شيئا جليلا لخدمة هذا الدين، والارتقاء بالذوق الإنساني عموما، والذوق الروحي خصوصا. حصلت على ليسانس لغة عربية جامعة الأزهر و تمهيدي ماجستير سنتين في تربية علم نفس، وكنت أثناء الليسانس أحضر في الكونسرفتوار جلسات حرة موسيقية، وهذه الدراسة مع دراسة اللغة العربية أفادتني، وأكثر دراسة أفادتني دراسة علم النفس؛ لأنها هي التي جعلتني أفهم طبيعة الشخصيات في المكان الذي أنشد فيه، أتقهم طبائعهم وأذواقهم فأقدم لهم ما يناسبهم من الإنشاد، فلا أقدم قصائد صعبة والجمهور بسيط، والعكس صحيح.

### من قدوتك في الإنشاد الديني والأساتذة الذين تعلمت على أيديهم؟

قدوتي الشيخ علي محمود والشيخ محمود عبد الجليل، والأستاذ محمد فرغلي، ود. مايكل برشكوف، والشيخ ياسين التهامي، وعمار الشريعي.

### وفيما يلي بعض القصائد التي تغنى بها الشيخ محمود التهامي:

#### عصت الدموع

#### (من الشعر الصوفي)

عصت الدموع وفي العيون عناء

ناديتها شوقا فضاغ نداء

يا أيها الدمع العصي تشققت

مني الجفون وحل فيها الداء

فالنوم فارقها وأنت هجرتها

والشوق للقلب المحب بلاء

أفضي الليالي ساهرا في خلوة  
عفت الفراش كأننا أعداء  
تمضي الدقائق مرة وبطيئة  
والصمت ساد كأنها بكاء  
يا صبر إنني لا أطيقك فارتحل  
ما لي على البعد الطويل عزاء  
الشوق نار في الضلوع وشوقه  
تحت الجفون تحسر وبكاء  
تخاطب الليل الطويل جوارحي  
فتجيبني أعماقه السوداء  
وتقول صبرا فالأحبة دونهم  
درب بعيد دونه بيداء  
وتهزني الذكرى لأيام خلت  
مثل الشراع تهزه الأنواء  
ذكرى الذي رمى الفؤاد بسهمه  
فأصابني وأذيعت الأنبياء  
وأصابه سهمي وبرحني الهوى  
بدمائنا فكأننا الشهداء  
الجرح في القلبين جرح واحد  
وصالنا لو تعلمون دواء  
إن القلوب إذا أصيبت بالهوى  
لا يرتجى من ذا المصاب شفاء  
فإذا الجراح تصاعدت آهاتها  
وعلى الرمال تجاوزت أصداء  
فاعلم بأن البعد هم قاتل  
ودواء آهات القلوب لقاء  
أرض الأحبة طال عهد فراقنا

والبعد عنك مذلة وشقاء  
ما غاب رسمك عن خيالي لحظة  
فأنا الوفي ولن يضيع وفاء  
الله أعطانا القلوب هدية  
والحب في كل القلوب عطاء  
هو زهرة العمر السعيد وعطرها  
هو أن أراك سعادة وهناء  
فإذا شقيت فليس من أفعاله  
بل إن ذلك مقدر وقضاء  
يا زهرة الحب التي رويتها  
إنني أغني والغناء بكاء  
الذكريات اليوم عاد لهيها  
ليهز قلبي يا حبيبي نداء  
أتراك مثلي ساهرا؟ يا ليتني  
وحدني أعاني ما أتاك عناء

### قمر سيدنا النبي

قمر قمر سيدنا النبي قمر وجميل وجميل سيدنا النبي وجميل  
رسول الله يا بدرا أتما ويا نورا على الوجود عما  
فميلادك إلى الوجود عيد فميلادك إلى الوجود عيد  
وفجرك قد محا ظلما وغما  
قمر قمر سيدنا النبي قمر وجميل وجميل سيدنا النبي وجميل  
رسول الله يا نورا أتانا ويا خلقا إلى الخالق تدانى  
فغيرك لم ير المولى عيانا رأيت الله والمقصود تم  
قمر قمر سيدنا النبي قمر وجميل وجميل سيدنا النبي وجميل  
رسول الله يا رحمة فينا ويا نورا أتى هديا ودينا  
فأدخلنا بجمع المادحيننا وزدنا فيك اقبالا وقربا  
قمر قمر سيدنا النبي قمر وجميل وجميل سيدنا النبي وجميل

رسول الله يا ساحة الأحبة فزدنا فيك إقبالا وقربا  
ومدحك للسقام شفا وطبا ومدحك للسقام شفا وطبا  
فداوي القلب من كدر وهم  
قمر قمر سيدنا النبي قمر وجميل وجميل سيدنا النبي وجميل  
دع الأيام تفعل ما تشاء  
(للإمام الشافعي)

دع الأيام تفعل ما تشاء  
ولا تجزع لحادثة الليالي  
وكن رجلا على الأهوال جلدا  
وإن كثرت عيوبك في البرايا  
يغطي بالسماحة كل عيب  
ولا حزن يدوم ولا سرور  
ولا تر للأعداء قط ذلا  
ولا ترج السماحة من بخيل  
ورزقك ليس ينقصه التأنى  
إذا ما كنت ذا قلب قنوع  
ومن نزلت بساحته المنايا  
وأرض الله واسعة ولكن  
وطب نفسا إذا حكم القضاء  
فما لحوادث الدنيا بقاء  
وشيمتك السماحة والوفاء  
وسرك إن يكون لها غطاء  
وكم عيب يغطيه السخاء  
ولا بأس عليك ولا رخاء  
فإن شماتة الأعداء بلاء  
فما في النار للضمان ماء  
وليس يزيد في الرزق العناء

فأنت ومالك الدنيا سواء  
فلا أرض تقيه ولا سماء  
إذا نزل القضا ضاق الفضاء

### صن النفس (لسيدنا علي بن أبي طالب)

صن النفس واحملها على ما يزينها  
تعش سالما والقول فيك جميل  
ولا تترين الناس إلا تجملا  
نبا بك دهر أو جفاك خليل  
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد  
عسى نكبات الدهر عنك تزول  
يعز غني النفس إن قل ماله  
ويغنى غني المال وهو ذليل  
ولا خير في ود امرئ متلون  
إذا الريح مالت مال حيث تميل  
جواد إذا استغنيت عن أخذ ماله  
وعند احتمال الفقر عنك بخيل  
فما أكثر الإخوان حين تعدهم  
ولكنهم في النائبات قليل

### وقفت بباب الحب (من الشعر الصوفي)

وقفت بباب الحب يوما مناديا  
وأرسلت روعي للحبيب شفيعة  
فقالتمهل يا متيم في الهوى  
واخلع مرادك إن أردت محبتي  
أحبة قلبي وفؤادي وعقلي  
لعل الحبيب يرق يوما لما بيا

فإن الهوى صعب ولكن بمراديا  
واتبع مرادي إن أردت رضائيا

لما قسا قلبي  
(للإمام الشافعي)

ولما قسا قلبي، وضاقتم مذاهبي  
جعلت الرجا مني لعفوك سلما  
تعاضمني ذنبي فلما قرنته  
بعفوك ربي كان عفوك أعظما  
إليك إله الخلق أرفع رغبتي وإن  
كنت- يا ذا المن والجود- مجرما  
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تنزل  
تجود وتعفو منة وتكرما  
فلولاك لم يصمد لإبليس عابد  
فكيف وقد أغوى صفيك أدما؟  
قلله در العارف الندب إنه  
تقيض لفرط الوجد أجفانه دما  
يقيم إذا ما الليل مد ظلامه  
على نفسه من شدة الخوف مأتما  
فصيحا إذا ما كان في ذكر ربه  
وفي ما سواه في الوري كان أعجما  
ويذكر أياما مضت من شبابه  
وما كان فيها بالجهالة أجرما

## منشادات على الطريق

خضرة محمد خضر:

لفترة طويلة اختلط الغناء الشعبي بالإنشاد الديني لدى السيدات اللاتي اتجهن إلى هذا اللون من الغناء، وكانت الفنانة خضرة محمد خضر من أشهر فنانات الفولكلور والمديح الشعبي في حب النبي وآل البيت، فقد نشأت لوالدين مغنيين في الموالد والأفراح، مما جعلها تعشق الأغاني الشعبية والفولكلورية، واستطاعت أن تشكل فرقة شعبية خاصة بها بعد فترة وجيزة من عملها بالإنشاد الذي بدأته كمداحة بعدما حفظت الكثير من القصص الديني.

وفي عام 1955 عندما كان زكريا الحجاوي يجوب القرى والمدن باحثا عن مؤدين شعبيين للمشاركة في إحدى مسرحياته، التقى بها، ولعب دورا كبيرا في اكتشافها وصقل موهبتها، واختيار كلمات أغانيها، وكون معها فرقة «النيل» التي اشتهرت بتقديم عروضها في المسارح والموالد، كما جمع مادة أشهر ألبوماتها عام 1985 تحت اسم «أيوب المصري».

**نبيلة عطوة:**

في بداية التسعينيات، ظهرت موجة جديدة من مداحات الرسول عليه الصلاة والسلام، كان من أشهرهن نبيلة عطوة التي قدمت القصائد الصوفية والمدائح النبوية.

**آية الطبلاوي:**

والآن يحتل الساحة جيل جديد من المنشادات، قد يكون أصغر من فيه آية حفيدة الشيخ محمد الطبلاوي، قارئ القرآن الشهير، التي لم يتجاوز عمرها 14 عاما، وبدأت مسيرتها مع الإنشاد في سن 7 سنوات، عندما كانت تسمع جدها يرتل القرآن، فتأثرت بجمال صوته، وأيضا كانت تسمع الشيخ مشاري راشد العفاسي وهو ينشد فتعلقت بأنشودته، وهو ما لفت نظر والدتها، وعلمت بأنها تمتلك صوتا جميلا ولديها موهبة فبدأت تشجعها.

وعندما طلبت قناة الحافظ الدينية منها تقديم أنشودة لتكون تتر للقناة، وافقت وسجلتها بالفعل، وظهر صوتها بشكل رسمي في الإعلام أمام الجماهير، لتسجل بعد ذلك عدة أناشيد أخرى.

وأوضحت آية أن اكتشاف جدها الشيخ الطبلاوي موهبتها وتشجيعه لها، دفعها لملازمته في كل لقاءاته، حيث كانت خائفة في بداية ظهورها.

وبعد ذلك، حضرت لقاءات تلفزيونية كثيرة في عدة قنوات، وكان جدها دوما يشاركها في تلك اللقاءات، وأكثر المواقف الصعبة التي مرت بها في بداية طريقها، هو انتقادها لكونها فتاة وحيدة وسط شيوخ ومنشدين، فكانت خائفة أن يكون ذلك حراما أو خطأ حتى سألت الأزهر وأجازوا ذلك.

وتفضل آية أن تكون قراءة القرآن للرجال فقط، فهي تحب الإنشاد أكثر وتعيش فيه بروحها، وقد وجدت ترحيبا وتشجيعا لم تكن تتوقعه من أسرتها والمنشدين الكبار، وكان أول يد مدت لها هي يد الشيخ محمود ياسين التهامي نقيب المنشدين، الذي تعتبره الأب الروحي، وقد ساعدها وأدخلها نقابة المنشدين، ومن هنا انطلقت مسيرتها الإنشادية.

وقالت آية عن أفضل اللحظات التي واجهتها، هي طلب الجمهور والمستمعين إنشاد قصائد معينة، وعندما ويصفقون بحب بعد انتهائها من الإنشاد، وترى أن موهبتها وراثية، حيث ورثت الصوت الجميل من جدها الشيخ الطبلاوي.

وتعتقد أن الإنشاد تراجع خلال الفترات الماضية، لكنه عاد الآن بقوة على الساحة برواد جدد، فتراجعه الفترة الماضية كان بسبب تشجيع الشارع العربي عموما لفكرة الأغاني السريعة، وفي مصر تشجيع الأغاني الشعبية التي لاقت ترحيبا موسعا.

### شيماء النوبي:

ومن المنشدات الجدد شيماء النوبي، مديرة مدرسة الشيخ زين محمود للإنشاد الديني والفولكلور الشعبي والسيرة الهلالية، وقد شاركت في عدة مسابقات في التمثيل والغناء والإنشاد الديني، وحصلت على المركز الأول في مسابقة الجمهورية في الإنشاد الديني، ومن هنا بدأت طريقها.

شيماء كانت تجيد قراءة القرآن منذ نعومة أظافرها من خلال متابعتها الجيدة لإذاعة القرآن الكريم، وتقوم بتقليد الشيوخ الكبار، حيث تأثرت بشكل عام بالمشايخ مصطفى إسماعيل، عبد الباسط عبد الصمد، محمود الحصري، أحمد نعينع، فيما تعتبر كلا من سيد النقشبندي، ونصر الدين طوبار، ومحمد عمران، وإبراهيم الفران أساتذتها في مجال الابتهاال، فقد تعلمت من كل واحد شيئا ولكن مع احتفاظها بشخصيتها وروحها.

توضح أن من الفنون الراقية التي تتضمن لفن الإنشاد لكنها تعتمد على الارتجال الموسيقي أو الكلامي النابع من المبتهل ولا يصاحبه موسيقى، بينما يعتمد الإنشاد بالأساس على المديح.

وانضمت شيماء لفرقة الشيخ زين محمود، وتعلمت السيرة الهلالية والتواشيح وطورت خلال هذه الفترة من مهاراتها وقدمت مع الشيخ زين كثيرا من الحفلات، ولم تستمع إلى الأصوات المنادية بأن صوت المرأة عورة، معتبرة أن النظرة الإيجابية لها كانت كافية لدفعها إلى الأمام.

وهي تعتبر أن الإنشاد ليس دقنا وسبحة وإنما موهبة حقيقية، ولا بد أن يشعر المنشد بما يقوله كي يصل للناس.

وتتمنى شيماء النوبي أن يهتم القطاع العريض من المصريين بفن الإنشاد لأنه فن «روح وعبادة»، كما تتمنى أن تهتم الدولة بالإنشاد الديني وكل ما له علاقة بالتراث.

### إيمان الصوالحي:

ومن المنشدات الجدد أيضا إيمان الصوالحي، ابنة مدينة دكرنس، التابعة لمحافظة الدقهلية، من مواليد 24 أكتوبر 1994؛ تخرجت في كلية الدراسات الإسلامية بجامعة المنصورة في 2015، بدأت ذلك في عمر الـ8 سنوات، حيث كانت شديدة الحرص على الاستماع لكبار الشيوخ، سواء بتلاوة القرآن أو الابتهالات، والشيخ محمد عمران هو الذي جذبها نحو التقليد سواء كان ابتها لا أو تلاوة قرآن.

وقد اكتشف موهبتها شقيقها الأكبر إسلام عندما سمعها تؤدي كثيرا لأساتذة المقامات العليا مثل الشيخ نصر الدين طوبار، التي من خلال طبقة أصواتهم يمكنك أن تؤدي الغناء الصعب، ومن وقتها قرر إسلام إنتاج فيديو وتوزيعه إلكترونيا على اليوتيوب.

وشجعها والدها بالرغم من أنهم كانوا على درجة كبيرة من الفلق في البداية، بسبب طبيعة السفر الكثيرة إلى القاهرة، وتعلمت الموسيقى والمقامات الصوتية والطبقات، وتعزف على العود والناي حيث تعلمت العزف في قصر ثقافة المنصورة، وفي المعهد العالي للموسيقى العربية على يد المايسترو أحمد زكي، والموسيقار علي العسيلي، والموسيقار محمد عبد العظيم.

وقدمت إيمان الصوالحي عدة حفلات برعاية الأزهر الشريف، وتلقت عروضاً للإنشاد من المملكة العربية المغربية بمدينة الرباط، والمملكة العربية السعودية، خاصة في مكة والمدينة المنورة في أوقات الحج، وتركيا في مدينة إسطنبول، ولكنها تفضل إثبات وجودها في مصر أولاً. وتعتبر إيمان مثلها الأعلى نصر الدين طوبار والنقشبندي، وطه الفشني، محمد عمران، لكونهم كثيرون يتعلمون منها شيئاً.

وهي ترى أن المنشد الديني يدعو للخير والحق، ويبث السماحة، وهو دور لا يقل عن أي عالم أو شاعر أو معلم، فجميعهم يوصلون رسالة إلى المجتمع، ودوره لا يقل عن أي واحد موجود في المجتمع له هدف.

وتؤكد وجود جمهور كبير جداً مهتم بالإنشاد الديني، بسبب أن الإعلام العربي لم يسلط الضوء عليه بشكل كاف خلال الفترة الماضية، ولكن حالياً هناك اهتمام بالغ من جانب الإعلام بالمنشدين، وتفكر في خلط الإنشاد الديني بالموسيقى والتلحين المسابير لمتطلبات العصر الحديث، مثل أغنية

«قمر سيدنا النبي» رغم أن كلماتها من العصر القديم ولكن أصبحت الآن تطلب في كل الحفلات، وذلك يرجع إلى إعادة توزيعها وتلحينها وطريقة الغناء.

وتوضح أنها استقادت كثيرا من دراستها بالأزهر، فهي السبب الرئيسي في نجاحها في الإنشاد الديني، وبعد ختام حفظ القرآن الكريم؛ لأن ذلك جعلها تتقن مخارج الألفاظ والحروف جيدا.

**نبوية حسان:**

من الأجيال الجديدة أيضا المنشدة نبوية حسان أو كما تحب أن تصف نفسها، المحبة للنبي وآل بيته، من مركز المنزلة بمحافظة الدقهلية، حيث نشأت بين الصالحين والمحبين والصوفيين.

وتوضح أن والدها كان رجلا صوفيا، محبا لآل البيت، علمها منذ الصغر محبة الصالحين وآل بيت النبي، اكتشف أهلها موهبتها مبكرا، حتى غدت تحيي الحفلات ومناسبات أهل البيت والحضرات في سن الثامنة.

عندما تبدأ نبوية في الإنشاد يمكنك ملاحظة طلاقة وفصاحة لسانها، تتحدث نبوية عن هذا فتقول: لم أكمل تعليمي، فقط أنهيت المرحلة الابتدائية، أصحاب الفضل علي كثيرون، كل الصالحين والمحبين من أهل الدقهلية شاركوا بشكل ما في تكوين ما أنا عليه الآن.

تقرأ نبوية كثيرا، وللشعر النصيب الأكبر، تقول إن هناك عددا لا بأس به من النساء اللواتي ينشدن لكن ليس بالعربية الفصيحة، لكنها تميل لإنشاد القصائد، وتمتلك العديد من الكتب منها دواوين عمر بن الفارض وعبد الغني النابلسي، ومحمد الكتاني.

وعن كونها امرأة تحكي نبوية أنها لم تواجه صعوبة في تقبل الجمهور، شفع لها نشأتها في ساحات الصالحين والصوفيين، لكنهم اندهشوا من فصاحة لسانها وصغر سنها، وكيف تختار قصائد قد تبدو صعبة وتتشددا بانسيابية وسهولة.

تتشد نبوية لشعراء كثيرين تذكر منهم، عبد الحميد الوصيف الوفائي، تصفه بالشاعر الصوفي الذي تحب الإنشاد له وأنه كان مصدرا عظيما للإلهام بالنسبة لها.

الإنشاد بالنسبة لنبوية حياة وصلاة، حيث ترى أن الشعر الصوفي يطهر البدن والقلب واللسان، ويرقي الإنسان ويطمئن روحه، ويدفعه للتقرب من الله ويجعله حاضرا دوما لذكره.

## « الحاضرة »..

### من المساجد إلى المسارح

تعد فرقة «الحاضرة»، المكونة من مجموعة من شباب المنشدين والمبتهلين الذين يقدمون حالة روحانية من الابتهالات والذكر والمديح، هي المجددة للإنشاد الديني في مصر، الذي اعتدنا على الصورة الفردية في سماعه، لتكون بذلك أبرز فرقة إنشاد ديني جماعي في الفترة الأخيرة، في مقابل انتشار الفرق السورية التي تسيطر على ساحة الغناء الصوفي الآن.

لا يقف نشاط فرقة الحاضرة على الإنشاد فقط، بل يمتد لأكثر من ذلك، فتقيم عن طريق مستشارها الديني ندوات دينية وتثقيفية لنشر العلم الديني الصحيح والمفاهيم الصحيحة ونشر الوسطية والاعتدال ومكارم الأخلاق وحسن المعاملة، من خلال الدروس الدينية والمحاضرات في المساجد والمصليات والقاعات؛ دفعا للشبهات التي تثار من حين لآخر، وتوضيح التصوف الحق، فهم مجموعة من الشباب التواقين إلى نشر الخير، وبث الكلمة الطيبة، يعملون ابتغاء مرضاة الله تعالى ويسخرون طاقاتهم وحناجرهم الذهبية من أجل التذكير بالآخرة والحث على التقوى.

وفي لقاء خاص للمؤلفة مع أعضاء فرقة «الحاضرة» قال نور ناجح مؤسس الفرقة إنه فكر في تأسيسها لسببين:

الأول: استشعاري أن الذكر الجهري في المساجد شيء عظيم وله أثر بالغ على صفاء الأرواح، وأتمنى أن يشعر الشباب البعيدين عن الدين بما أشعر به من راحة وسكينة في حلقات الذكر؛ ولذلك حاولت جاهدا أن أنقل الحالة الروحية للحاضرة إلى المسرح خاصة بعد ان تعرضت بلادنا في الآونة الأخيرة لتشويه في الدين وانتشار أفكار متطرفة، جعلت شريحة كبيرة من الشباب يبتعدون عن الدين ويبحثون عن بدائل روحانية أخرى ليست من ثقافتنا مثل اليوجا و«الميديتيشن»، وأحب أن أوضح أنني لست ضد أي ثقافة

ولا أي ديانة، إنما ذكرت فقط للتوضيح أن السبب يكمن في عدم تسليط الضوء على الجوهر الروحي للدين وهو الحب وليس التنفير والترويع.

والسبب الثاني: هو اهتمامي بتراث مصر والحقيقة وجدت أن الساحة الفنية في مصر والساحة التراثية ليست مهتمة ولا ملقية الضوء على هذا التراث، فقررت جمعه ودراسته ونقله للمصريين الآن، خاصة وأنه تراث عظيم وكبير ولكننا لا نهتم به، على عكس اهتمام تركيا على

سبيل المثال بالمولوية، والحضرة المولوية، التابعة لسيدى جلال الدين الرومي وتصديرها للعالم كله.

وعن علاقته بالصوفية أوضح نور أنها بدأت في رمضان 2013، عندما ردد أحد أصدقائي اسم احد مشايخ الصوفية أمامي وكنت اجهل تماما من هم الصوفية، وكان كل سمعي عنهم أنهم أناس طبيون، فذهبت يوما إلى الحضرة الخليفة في مسجد السيدة زينب رضي الله عنها وعلى أبيها وأمها السلام وصلوات الله على جدها سيد المرسلين، وانبهرت تماما من الذكر والإنشاد والمديح و أصوات المبتهلين وكيفية تأثيرهم على وجدان المحبين لسيدى رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أجمعين، بعدها انتظمت في الحضرة وقرأت الأوراد وانضمت للطريقة الخليفة في 30 أكتوبر 2013، وفي نهاية العام فكرت في إنشاء مجموعة صوفية بها عدد كبير من المداحين والذاكرين لنقل الحضرة من المسجد إلى المسرح للشباب المحروم من جمال الذكر الجهري في الحضرة والمدائح النبوية.

وبدأت في تجميع أعضاء الفرقة عند نهاية عام 2013 مرورا بعام 2014 ولكن توقفت حتى بدأت مرة أخرى في بداية عام 2015 وكان معي بالفريق لفيف من الموسيقيين من أبناء الطرق الصوفية، مثلا محمد عبدالعزيز (زيزو) من الطريقة النقشبندية ويعمل كمدرّب صوت لطلبة جامعة عين شمس ومطرب وملحن خريج كلية تربية نوعية، وكذلك سعيد طلعت عازف العود على الطريقة النقشبندية حين ذلك، وإسلام وخالد على الطريقة البرهانية، وإسلام محمود كان على الطريقة الرفاعية، ومحمد الأشول على الطريقة النقشبندية، وبدأنا بروفات بعد احتفالية يطلق عليها اسم (يوم صوفي) في مركز الربع الثقافي حيث التقيت بثلاثة من المنشدين إسلام الشيخ وخالد أسامة ومحمد الأشول، وعرضت عليهم موضوع ومشروع المجموعة، وانضم إلينا عصام عبده مطرب وعازف عود وملحن، ومن بعدها وقدمت إعلانا على الفيس بوك وانضم إلي محمد بكري وعمر مسعد من محبي الإنشاد، وآخرهم (عمر مسعد) أزهرى، وهو مصحح الفرقة اللغوي.

وكانت أولى احتفالياتنا في حديقة الأزهر بالتعاون مع جمهورية فرنسا، وسفارة فرنسا للاحتفال بعيد الموسيقى التابع لجمهورية فرنسا، في شهر رمضان 2015، ومن بعدها الحضرة في مركز الربع الثقافي في شهر رمضان المعظم وأيضا مهرجان شباب الإنشاد الأول بساقية عبد المنعم الصاوي.

وعن استخدامه الفيس بوك للإعلان، قال إنه أسهل وسيلة تجمع الشباب في العصر الحديث، وفعلا كانت طريقة ناجحة وفعالة، و تستخدم الفرقة التي تتكون من 11 منشدا من الشباب، 3 آلات

العود والكولة، التي تشبه الناي، والدفوف، والآن أضفنا آلة الكمان، وبما أننا ننقل التراث ركزنا أن تكون هذه هي الآلات الموجودة وليست لأسباب شرعية، وكذلك الزي فالجلابيب البلدي تحمل شكل لبس العوام في العهد السابق وحتى الآن، وهي محافظة على الهوية نرتديها بالتفصيلا البلدي، أما بخصوص العمامة فلأنها أيضا تقليد تراثي وله أثر كبير في الطاقة ولونها الأخضر نسبة لعمامة سيدي رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أجمعين، أما بخصوص لون الجلابية فهو أبيض للصفاء وهي أعلى المراتب، مرتبته الإحسان ويشعر من يراه بالراحة ويرمز الأبيض للصفاء والنقاء. وعن كيفية اختيار القصائد يقول مؤسس الفرقة: إننا نختار مجموعة من الأناشيد والقصائد والمدائح:

**أولاً: من القصائد التراثية.**

**ثانياً: من بطانات المشايخ القدامى مثل الشيخ طه الفشني والشيخ محمد الفيومي.**

**ثالثاً: مدائح وقصائد سادتنا الصوفية المعاصرين.**

**رابعاً: كلمات كبار الصوفية العارفين، مثل سيدي محيي الدين بن عربي والحلاج وعمر بن الفارض والبرعي، وعبد الغني النابلسي وأبو مدين الغوث.**

وتبقى الألحان في الإطار المصري المعاصر أو التراثي أو شكل الموسيقى العربية والكلمات 50% بالعامية والباقي بالفصحى.

وعن تفسير الإقبال الكبير من الشباب على حفلات الفرقة والتجاوب مع الأناشيد ، يقول نور إن الأناشيد والمديح له أثر مريح على الروح، وهذه لا محالة بركة ذكر الله ومديح سيد الخلق أجمعين، فمن يأتي مرة في المرة القادمة يأتي ومعه أصدقائه وأهله، وأعتقد الإقبال أيضا لحاجتهم لشحن أرواحهم بالذكر والمديح، وقد شاركت فرقت الحضرة في إحياء أحد الموالد وكذا الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، والاحتفال في الساحة الإدريسية بمولد سيد الخلق أجمعين، ونتمنى ان نحقق بالسيد أحمد البدوي بإذن الله وسيدنا الحسين وستنا زينب وستنا نفيسة، وباقي السادة رضوان الله عليهم أجمعين.

**التأصيل الشرعي للحضرة:**

ويوضح الشيخ أحمد عبدالحليم خطاب المستشار الديني مفهوم الحضرة، فيقول: إنها حضور القلب مع الله، وهي الركن الهام في طريق القوم، وهذا الركن هو الاجتماع على ذكر الله عز وجل.

وهي لفظ اصطلح عليه أهل التصوف. ومعنى الحضرة: حضور القلب مع الله تعالى وقد سماها رسول الله ﷺ (حلق الذكر) وسماها أيضا (مجالس الذكر) فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا) قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «حلق الذكر».

### مختلف الأعمار والثقافات:

ويقول عصام عبده من منشدي الفرقة: إنني مهتم بالموسيقى الصوفية من فترة طويلة، إلى جانب العزف على آلة العود؛ ولذلك تحمست لفكرة الحضرة مع صديقي نور، وعن دراسته يقول إنها كانت أزهريّة، ثم التحقت بكلية دار العلوم، ولا يشترط أن يكون منشدو الحضرة منضمين لطرق صوفية.

كما يقول عمر مسعد من منشدي الفرقة إن جمهور الحضرة ليس من الشباب فقط وإنما من مختلف الأعمار والثقافات والطبقات الاجتماعية، ونقيم حفلات في ساقية الصاوي والربع الثقافي، فنحن نريد نقل حالة الحضرة والذكر المنتشرة في الموالد في مختلف المحافظات إلى المسرح في القاهرة، وأضاف انه لا يوجد مواسم محددة لشغل الفرقة، في كل شهر نقوم تقريبا بعمل 3 أو 4 حفلات، ولكنها تزيد بشكل ملحوظ في رمضان.

وعن طريقة اختيار القصائد يقول إنها عن طريق بعض المنشدين في الفرقة والمنتمين الي طرق صوفية فعندهم قصائد يتداولونها في حلقات الذكر والموالد، وأيضا عن طريق اختيار قصائد من التراث الصوفي وتتقيتها وغنائها بروح العصر الحديث.

وهذه مجموعة من أهم القصائد التي تنشدها الفرقة:

يا مجلي القمر بالنور

(من الشعر الصوفي)

يا مجلي القمر بالنور.. أجل قلبي من الكدر

يا قريبا من الفؤاد.. يا بعيدا عن النظر

أنت عذبت مهجتي.. أنت علمتني السهر

هكذا يا معذبي.. من بلي بالحب صبر

سر شيخي وقدوتي.. من به الدين قد ظهر

يا سميعا لمن دعا.. إن أسر وإن جهر

يا حلّيما إذا رأى.. العيب من عبد ستر  
ليس في القلب غيركم.. أنتم السؤل والوטר  
أنتم الروح والحشا.. أنتم السمع والبصر  
فاغفروا لي وسامحوا.. أنتم خير من غفر  
واقضوا لي كل حاجة.. بالنبي سيد البشر  
من له الجذع قد شكّا.. وله أنطق الحجر  
فعليه الصلاة من.. مرسل الريح والمطر

**مدد ياسيده**

**(من التراث الشعبي)**

ياستي إيه ده كل ده.. يام البشايير والفدا  
أوصاف جمال متجدده.. لا هي يوم كده ولا يوم كده  
وان قالوا إيه ده كل ده.. هنقول مدد ياسيده  
يام البشايير والمدد.. يا أعلى م الروح والولد  
ياستي يا حارسه البلد.. من كل من عادى وحسد  
دانتي الامان وانتى السند.. يامحصنانا بالمدد  
وان قالوا إيه ده كل ده.. هنقول مدد ياسيده  
يام البشايير والمدد.. يا أعلى م الروح والولد  
ياستي يوم جيتلك صبي.. والحب ديني ومذهبي  
نلت اللي كان فوق مطلبي.. وصبحت مداح النبي  
وان قالوا إيه ده كل ده.. هنقول مدد ياسيده  
يام البشايير والمدد.. يا أعلى م الروح والولد  
ياستي يا أم الكرم.. دي الروضه عندك والحرم  
ولافيش محب الا انكرم.. ولاينظلم ولا ينحرم  
وان قالوا إيه ده كل ده.. هنقول مدد ياسيده

**ما شممت الورد**

**(من الشعر الصوفي)**

ما شممت الورد إلا.. زادني شوقا إليك

وإذا ما مال غصن.. خلته يحنو عليك  
إن يكن جسمي تئاءى.. فالحشا باق لديك  
لست أدري ما الذي.. آآه.. حل بي.. آآه.. حل بي من مقلتيك  
رشق القلب بسهم.. قوسه من لاحظيك  
إن دائي ودوائي.. يا حبيبي في يديك  
كل حسن في البرايا.. فهو منسوب إليك  
يا حبيبي يا محمد.. ربنا صلى عليك ربنا صلى عليك

**حلفت بسرك الأسمى**

**(لسيد أحمد الشافعي)**

حلفت بسرك الأسمى يمينا  
بأنى قد وقفت لك اليمين  
بسطت لها لئمنحني شهودا  
فسالت من شهودك لي معينا  
وقد توجتني يا رب تاجا  
به عرف الكرام السابقونا  
إذا ما قيل لي ما أنت راج  
أقول الله رب العالمينا  
وما نفسي اشتهدت يوما لشيء  
سوى حبي أظل له أمينا  
أحبك حب عبد في حياء  
لوجهك زاد بالتقوى حنينا  
وحق الله لا أنسى وقلبي  
يشاهد قوة الرحمن فينا  
صلوا حبلي بكم لا تقطعوه  
فنحن بحبلكم مستمسكونا  
وقد دارت على الكاسات روي  
فلم أر غيركم يسقي اليقينا

إن في الجنة نهرا  
(من التراث الشعبي)

إن في الجنة نهرا من لبن  
لعلي وحسين وحسن  
كل من كان محبا لهم  
يدخل الجنة من غير حزن  
إن في الجنة نهرا من لبن  
لعلي وحسين وحسن  
حب آل البيت فرض عندنا  
وبهذا الحب لا نخشى المحن

حبيب الحبيب  
(من التراث الشعبي)

حبيب الحبيب ياللي.. ياللي تصلي على سيدنا النبي  
مرادي وقصدي واعتقادي ونيتي مديحي رسول الله خير البرية  
نبي رأته الشمس حسنا تعجبت قالت له: حبيبي.. تدعى لأي قبيلة؟  
فقال لها: ربي من النور صاغني وأدم مبدوء ومن أصل خلقتي  
على عرفات الله يجمع شملنا ويحط عنا.. وزرنا والخطية

يا لائمي مهلا  
(للحاج عباس الديب)

يا لائمي مهلا  
لا تدبح المجروح  
لا تعترض جهلا  
هل يقتل المذبوح؟  
انظر إلى دمعي  
دمعي دم والله  
في الفرق في الجمع  
لم يلقها أو اه

هل تعرف السهد  
ترجو رضا ليلي؟  
أو تحفظ العهد  
مهما نأت ليلي؟  
يا لائمي مهلا  
ليس الهوى لهوا  
انظر فكم قتلى  
في حي من نهوى  
هل كنت تهواها  
والبعد أضناك  
أو جئت تلقاها  
والذنب أقصاك؟  
يا لائمي كلا  
ليس الهوى سهلا  
ما كل من صلى  
يصبح لها أهلا  
هل جئت ترجوها  
شيئا من السقيا؟  
أو عشت تدعوها  
رقيا مع اللقيا؟  
يا لائمي كلا  
ليس الهوى نوما  
من يبتغي الوصلا  
لم يستمع لوما  
هل جئتها تبكي  
تشكو الدم المسفوح؟  
أو جئتها تحكي

عن رقصة المذبوح؟  
يا لائمي كلا  
ليس الهوى شكوى  
من ضل أو زل  
لم يعرف النجوى  
يا لائمي مهلا  
لا تذبح المجروح  
هل عشت في طه  
نور الهدى الهادي؟  
تستغفر الله  
من قلة الزاد  
يا لائمي كلا  
ما في الهوى سلوى  
من ضاق أو مل  
حلت به البلوى  
يا لائمي مهلا  
لا تذبح المجروح

### لما نظرت إلى أنواره

(نسبت لسيدنا حسان بن ثابت، وهي لشاعر من السنغال اسمه محمد بن عبد الله)

لما نظرت إلى أنواره سطعت  
وضعت من خيفة كفي على بصري  
خوفا على بصري من حسن صورته  
فلست أنظره إلا على قدرتي  
روح من النور في جسم من القمر  
كحلة نسجت بالأنجم الزهر

# عامر التوني

## والمولوية المصرية

في معجم المعاني: الجامع المولوي: اسم جمعه مولوية، منسوب إلى المولى، ورجل مولوي: أي زاهد أو درويش أو عالم كبير، والمولوية: قلنسوة من صوف مستطيلة، يلبسها المولوي.

وتعود هذه الطريقة إلى محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين البلخي البكرين، أو بالفارسي جلال الدين محمد بلخي الذي عرف أيضا باسم مولانا جلال الدين الرومي: شاعر، عالم بفقته الحنفية والخلاف وأنواع العلوم، ثم متصوف.

ولد في بلخ في أفغانستان وانتقل مع أبيه إلى بغداد في الرابعة من عمره، فترعرع بها في المدرسة المستنصرية حيث نزل أبوه، ولم تطل إقامته فقد قام أبوه برحلة واسعة ومكث في بعض البلدان مددا طويلة، وهو معه، ثم استقر في قونية سنة 623هـ في عهد دولة السلاجقة الأتراك، وعرف جلال الدين بالبراعة في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية، فتولى التدريس بقونية في أربع مدارس بعد وفاة أبيه سنة 628هـ، ثم ترك التدريس والتصنيف والدنيا وتصوف نحو سنة 642هـ، فشغل بالرياضة وسماع الموسيقى ونظم الأشعار وإنشادها.

تركت أشعاره ومؤلفاته الصوفية التي كتبت أغلبها باللغة الفارسية وبعضها بالعربية تأثيرا واسعا في العالم الإسلامي، وخاصة على الثقافة الفارسية والعربية والأردية والبنغالية والتركية، حين وفاته عام 1273م، دفن في مدينة قونية وأصبح مدفنه مزارا إلى يومنا، وبعد مماته قام أتباعه وابنه سلطان بتأسيس الطريقة المولوية الصوفية التي اشتهرت بدراويشها ورقصتهم الروحية الدائرية التي عرفت بالسماح والرقصة المميزة.

وتذكر موسوعة ويكيبيديا أن جلال الدين كان مسلما مؤمنا بتعاليم الإسلام السمحة، كما استطاع جذب أشخاص من ديانات وملل أخرى وذلك بسبب تفكيره المرن المتسامح، فطريقته تشجع على التساهل اللامتناهي مع كل المعتقدات والأفكار، كما كان يدعو إلى التعليل الإيجابي، ويحث على الخير والإحسان وإدراك الأمور عن طريق المحبة، وبالنسبة إليه وإلى أتباعه فإن كل الديانات خيرة وحقيقية بمفاهيمها؛ لذلك كانوا يعاملون المسلمين والمسيحيين واليهود معاملة واحدة.

وكل الصوفيين آمن الرومي بالتوحيد مع حبه لله عز وجل، هذا الحب الذي يبتعد عن الإنسان، والإنسان في مهمة إيجاده والعودة إليه، وبطلب من مريديه وضع الرومي أفكاره ومبادئه في كتاب

سماه المثنوي الذي استعمل في حياكته خيوطا من قصص يومية وإرشادات قرآنية وحكمة من خبرته لينسج كتابا ثميناً ممتلئاً بمعان عميقة منتقاة بحذر وعناية.

كان الرومي يستعمل الموسيقى والشعر والذكر كسبيل أكيد للوصول إلى الله عز وجل، فالموسيقى الروحية بالنسبة له تساعد المرید على التعرف إلى الله والتعلق به وحده، لدرجة أن المرید يفنى ثم يعود إلى الواقع بشكل مختلف، ومن هذا المنطلق تطورت فكرة الرقص الدائري التي وصلت إلى درجة الطقوس، وقد شجع الرومي على الإصغاء للموسيقى فيما سماه الصوفية السماع فيما يقوم الشخص بالدوران حول نفسه، فعند المولويين الإنصات للموسيقى رحلة روحية تأخذ الإنسان في رحلة تصاعدية من خلال النفس والمحبة للوصول إلى الكمال، والرحلة تبدأ من الدوران التي تكبر المحبة في الإنسان فتخفت أنانيته ليجد الطريق الحق للوصول إلى الكمال. وحين يعود المرید إلى الواقع، يعود بنضج أكبر ممتلئاً بالمحبة، ليكون خادماً لغيره من البشر دون تمييز أو مصلحة ذاتية.

أما المولوية المصرية فهي فرقة إنشاد صوفي تأسست على يد منشدها ومنظرها الفكري عامر التوني، حاول من خلالها طرح التراث المولوي المصري على الساحة العالمية ليؤكد للعالم أجمع أن مصر لها خصوصية تراثية بين الأمم، مما يؤكد هويتها الثقافية؛ وحاول التوني أن يضرب بيديه في الأعماق عبر التاريخ منتبعا الآثار الموسيقية من الموشحات والابتهالات والمدائح الموروثة عن أكبر المشايخ، واستعراض كل الأشكال الاحتفالية للطرق الصوفية في مصر، أمثال الطريقة الميرغنية والشاذلية والرفاعية والبيومية، وغيرها من الطرق الصوفية التي تستخدم القوالب الموسيقية الدينية المختلفة، ومن خلال الدراسات البحثية في المعاهد والجامعات والمقالات والكتب التي تناولت المولوية والأشكال الأدائية لها، كما استعان بالمؤسسات الثقافية التي تهتم بتوثيق وحفظ التراث، وساعده في ذلك دراساته العلمية بأكاديمية الفنون بالهرم، في جمع خيوط بالية تكون تاريخ المولوية في مصر، كما كان للأثر الصوفي بداخله تأثير كبير لنشأته في ريف الصعيد حيث تنتشر الطرق الصوفية، كل هذا جعله يتسلح بمعرفة حقيقية استطاع من خلالها أن يكون فهما صوفيا انطلق منه.

### أسئلة وإجابات:

على الرغم من الحالة الثورية التي تمر بها البلاد والمظاهرات والاحتجاجات التي تحدث كل يوم عشرات المرات، لم يؤثر ذلك على جمهور عامر التوني مؤسس المولوية المصرية.

ففي عرضه في شهر يوليو 2013م في بيت السناري بالسيدة زينب، شاهدت أعدادا كبيرة من الجمهور الذي لم يسعه المكان، فوقف أضعاف عدد الجالسين طوال ساعتين مدة العرض، لسماع ألحان وغناء التوني والدرأويش أعضاء فرقة المولوية المصرية الصوفية. والذي يأخذك إلى عزلة عن العالم المادي والاندماج في مشاعر روحية سامية أضفت على الجميع حالة من الصفاء الوجداني الخالص، وبعد الحفل كان لنا معه هذا الحوار:

**كثير من الناس لا يعرفون معنى المولوية والفن المولوي.. فما هي المولوية؟ وما تاريخ نشأتها في مصر؟**

هي إحدى الطرق الصوفية التي تستخدم الموسيقى والأشكال الأدائية بالجسد كشكل من أشكال التعبير، وهو شكل جديد لدى المتصوفة لأنهم يعتمدون على الكلام في التعبير، ولكن المولوية تستخدم الكلام والتعبير بالجسد أيضا، وهم يعبرون عن فلسفة خاصة فهم استطاعوا تحريك الجسد، والجسد عند المتصوفة فان، فهم يعتمدون على الروح فطريقة الدوران لفترات طويلة، وكأنها إجابة لإفناء الجسد لتسمو وتعلو الروح، وفكرة الدوران نفسها نشأت في الأصل عند الفراعنة، فمنذ 5 آلاف سنة قبل الميلاد كانوا يستخدمون فكرة الدوران، وكأنها الدوران أمر فطري، فالكون كله مفطور على الحركة لأن الله أمر الكواكب بالدوران، وبذلك نكون قد حققنا كل ما أمر الله به من طاعات عن طريق دوراننا مثل الكواكب.

كما أننا ننتسبه بهذا الدوران بالطواف حول الكعبة، فهي حالة تجريدية وحالة رمزية بالنتسبه بحالة الكواكب وكأنها قصة تروي حكاية الكون.

والملابس التي يرتديها الراقصون ترمز لعناصر مختلفة في شكلها ولونها. فالأبيض يرمز للكفن، والأسود للقبر، أما القلنسوة والطربوش فترمز إلى شاهد القبر، والدوران صورة رمزية للطواف حول الكعبة التي هي في قلب كل مسلم، ويبدأ الدوران من الجهة اليسرى.

**ما أوجه الخلاف بينك وبين الطريقة المولوية في العالم؟ وهل يوجد منهج خاص بالمولوية المصرية؟**

لنا فلسفة خاصة بنا فنحن ندعو إلى طريق وليس طريقة، فأنا لست شيئا ولكننا نقوم بالدعوة إلى طريق رسول الله ﷺ، ونرقق القلوب لطاعته من خلال الابتهالات والإنشادات ليجدد الإنسان طاقته ويمشي على سنة الرسول ﷺ، ولكن في العالم يدعو كل شيخ إلى نفسه وطريقته، وأنا لا أنتقد ذلك بالطبع؛ لأن كل مرید يحب أن يكون له شيخ يوجهه إلى الطريق الصحيح.

**ما الصيغ الموسيقية التي تستخدمها؟ ولمن الأشعار التي يتم غناؤها؟**

نقوم بعمل موسيقى خاصة بنا ونستخدم الأشعار القديمة، ونحرص على الحفاظ عليها مع التجديد في الألحان؛ حتى لا يمل الجمهور وليزيد إقباله عليها، ونستخدم كل الأشعار الصوفية مثل أشعار الحلاج وابن الفارض والسهروردي ورابعة العدوية.

### هل تم وضع المولوية المصرية على خريطة المهرجانات الدولية؟

بكل تأكيد تم ذلك، ففي الهند مثلا لا يقام أي مهرجان بما فيها مهرجان السينما إلا ويتم دعوتنا للاشتراك فيه، بالإضافة إلى أننا نشترك أيضا في كل احتفالاتهم ومناسباتهم القومية، فنحن في الهند نكون مثل أي فرقة هندية لا نشعر بأي غربة ويعاملوننا بكل ترحيب ومودة، فجمهورنا هناك يتعدى الأربعين ألفا من مختلف الأديان السماوية وغير السماوية، وقد قمنا بالغناء مع شاروخان وكثير من المطربين الهنديين الكبار، بالإضافة إلى أننا نقوم بعروض في كثير من الدول الأخرى مثل هولندا وألمانيا وفرنسا وأسبانيا.

رأيت أثناء حضوري الحفل أن جمهورك من مختلف الأعمار وإن غلب الشباب عليه، ولكن وجدت أيضا الأطفال وكبار السن.. فبماذا تفسر ذلك؟ وإلى أي التيارات الفكرية أو الثقافية ينتمون؟

نحن لا نخاطب فئة عمرية بعينها، وإنما هي حالة من المشاعر الروحية السامية، تلمس أرواح الجميع بلا استثناء، ولا يهمني أن أعرف التيارات الفكرية والثقافية التي ينتمون إليها، فكلنا في النهاية نجتمع على حب الله والوطن، وظهر ذلك واضحا من هتافات وتصفيق الجمهور عند رفع علم مصر أثناء العرض، بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية، كما أنني أتوجه بالشكر للصوفية لعدم الزج بأنفسهم في الخلافات السياسية.

### هل الأحداث التي تشهدها الساحة في مصر الآن أثرت على الجمهور المتابع لحفلاتك؟

لا لم تؤثر على أعداد الجمهور، بالعكس أعتقد أنه زاد أكثر ربما لحاجة الناس للترويح عن أنفسهم، والبعد قليلا عن الساحة السياسية بكل ما فيها من مشكلات، ومع ذلك فنحن لسنا بمعزل عن مجتمعنا، وفي كثير من الأحيان كنا نتوجه بعد الحفل إلى التحرير للمشاركة في ثورة 30 يونيو؛ لأنني كنت ضمن الكثيرين الذين كانوا يتمنون نجاح التيار الإسلامي، ولكن للأسف أثبت فشله الذريع، وأصبح كالمحتل لبلدنا؛ ولذلك يجب الانقلاب على ذلك الاحتلال الإخواني لمصر.

### كيف ترى واقع الإنشاد الديني في مصر؟

الإنشاد الديني له جمهور كبير داخل مصر، ولكن المشكلة الحقيقية تكمن في نقص أعداد المنشدين الدينيين، فهم أقل من أصابع اليد الواحدة، بالإضافة إلى أنهم يحتاجون لكثير من التطوير

في الأداء والألحان، مع ضرورة الحفاظ بالطبع على الأشعار لأنها هي التراث الصوفي الأصيل، وذلك حتى لا يمل الجمهور وينصرف عنهم.

### ما الفرق بين الابتهاال والمديح والإنشاد؟ وما الفرق بينها وبين المولوية؟

الابتهاال هو مناجاة بالكلام وله شكل ارتجالي في الأداء متعارف عليه، ومحتوى الكلام هو مناجاة الله عز وجل، أما المديح فهو مدح في صفات رسول الله ﷺ وآل بيته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، والإنشاد يكون تعبيراً عن المحبة، أما المولوية فنقوم بمزج الثلاثة الابتهاال والمديح والإنشاد في أغنية واحدة ليكون لها تأثير روحي ووجداني عال، ونحن الآن نستعد لعمل كليب يعرض على القنوات الفضائية لنشر هذا الفن الراقي بين أكبر عدد ممكن من الناس، فالإعلام بكل صورته له دور كبير لا يمكن إنكاره في الحفاظ ونشر المولوية وشرحها للجمهور.

### هل يمكن تدريس الفن المولوي في مصر، وإعداد ورش عمل للتدريب على هذا الفن؟

بالفعل يتم تدريس الفن المولوي داخل مصر عن طريق إعداد ورش تدريبية في بيت السناري، دون أي مقابل مادي، وتكون مدتها حوالي أسبوعين يشترك فيها الرجال والنساء، ضمن مشروع يسمى الموسيقى الروحية بالتعاون مع مكتبة الإسكندرية وبيت السناري، ونقوم بعمل ورش للإيقاعات الصوفية، ونسعى لطرح هذا النوع من الثقافة الصوفية داخل المجتمع.

### ما دور هذا الفن في نشر الدعوة إلى الله؟

نحن ندعو إلى الله بالابتهاالات والمديح والإنشاد، وطرح ثقافة جديدة، وهي ثقافة المحبة والسلام الذي يجب أن يبدأ من داخل الإنسان، ولن يكون ذلك إلا إذا دخل الإنسان في ورد حقيقي بينه وبين الله، فالعروض التي نقيمها يمكن اعتبارها حضرة، وما نقوم به من غناء هو ذكر الله سبحانه وتعالى، فهو فن صوفي راق.

### هل تعتقد أن فرق الإنشاد الديني تسهم في نشر الإسلام وتصحيح صورته في الخارج؟

بالطبع تسهم في نشر الإسلام، ففي الهند مثلاً معظم جمهورنا من ديانات غير سماوية أصلاً ويقبلون لرؤية حفلاتنا، فنحن نستوعب كل الثقافات وكل الأديان بمنتهى الحب والسلام، وفي ذلك تعبير عن سماحة وعظمة الإسلام.

### سمعنا أنك ترفض غناء أشعار جلال الدين الرومي.. فهل هذا الكلام صحيح؟ ولماذا؟

نعم صحيح لأنها مكتوبة باللغة الفارسية والتركية، فإذا تم ترجمتها إلى العربية فقدت كل معناها وروحانياتها، وإذا تم غناؤها باللغة التركية فالإي أي جمهور نقدمها؟! ولكن هذا بالطبع ليس

اعتراضا على مولانا جلال الدين الرومي، فهو مؤسس الطريقة المولوية، وهي المسئولة بالدرجة الأولى عن ظهور واستمرار الموسيقى الدينية الصوفية.

ما ردك على من يقولون إن فن المولوية بعيد عن الإسلام ولا يمكن خلطه بالإشاد والمديح؟ من يعترض على المولوية بحجة الرقص، فرقنا هذا مثل الحركة أثناء الذكر داخل الحضرات الصوفية، ونقوم بغناء طلع البدر علينا التي غنيت للرسول ﷺ ولم يعترض عليها، فلماذا إذن نحن بعيديون عن الإسلام؟

### أهم الإنشادات

هذه نماذج من أهم الأغاني والإنشادات التي يؤديها عامر التوني مع فرقة المولوية المصرية:

### يا مليحا قد تجلى

### (للسهروردي)

يا مليحا قد تجلى فيه أهل الحي هاموا  
سيما لما تحلى وحلا فيه الغرام  
قلت لما لاح يجلي وانجلي عني الظلام  
هكذا العيش وإلا فعلى العيش السلام  
حبذا لما سقاني صفو كأس الحب صرفا  
وحناني بالتداني وانتنى جيدا وعطفا  
مبعد في القلب حلا وجلا عني الظلام  
هكذا العيش وإلا فعلى العيش السلام  
يا خلي الببال هلا تدخل الحان وتعشق  
إن ليل الصد ولي وصباح الوصل أشرق  
ومقام الحب جل لا يضاهيه مقام  
هكذا العيش وإلا فعلى العيش السلام

### أشاهد معني حسنكم

### (لابن الفارض)

أشاهد معني حسنكم فيلذ لي  
خضوعي لديكم في الهوى وتذلي  
وأشفاق للمغنى الذي أنتم به

ولولاكم ما شاقني ذكر منزل  
فله كم من ليلة قد قطعتها  
بلذة عيش والرقيب بمعزل  
ونقلي مدامي والحبيب منادمي  
وأقداح أفراح المحبة تنجلي؟  
ونلت مرادي فوق ما كنت راجيا  
فوا طربا لو تم هذا ودام لي  
لحاني عذولي ليس يعرف ما الهوى  
وأين الشجي المستهام من الخلي؟  
فدعني ومن أهوى فقد مات حاسدي  
وغاب رقيبتي عند قرب مواصلي

**تملكتم عقلي  
(أبو مدين الغوث)**

تملكتم عقلي وقلبي ومسمعي  
وروحي وأحشائي وكلي بأجمعي  
وتيهموني في بديع جمالكم  
ولم أدر في مجرى الهوى أين موضعي  
وأوصيتموني لا أبوح بسرکم  
فباح بما أخفي تقيض أدمعي  
ولما فنى صبري وقل تجلدي  
وفارقني نومي وحرمت مضجعي  
أتيت لقاضي الحب قلت أحبتي  
جفوني وقالوا أنت في الحب مدعي  
وعندي شهود للصبابة والأسى  
يزكون دعواي إذا جئت أدعي  
سهادي ووجدتي واكتتابي ولو عتي  
وشوقي وسقمي واصفراري وأدمعي

ومن عجب أني أحن إليهم  
وأسأل شوقا عنهم وهم معي  
وتبكيهم عيني وهم في سوادها  
ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي  
فإن طلبوني في حقوق هواهم  
فإنني فقير لا علي ولا معي  
وإن سجنوني في سجون جفاهم  
دخلت عليهم بالشفيع المشفع

متى يا كرام الحي  
(شعيب بن الحسن الأندلسي)

متى يا كرام الحي عيني تراكم  
وأسمع من تلك الديار نداكم؟  
أمر على الأبواب من غير حاجة  
لعلي أراكم أو أرى من يراكم  
سقاني الهوى كأسا من الحب صافيا  
فيا ليته لما سقاني سقاكم  
أيا ساكنين الروح والقلب والحشا  
حاشاكم أن تقطعوني حاشاكم  
عدمت وجودي في الهوى بعد بعدكم  
فإن فؤادي لا يحب سواكم  
وإن صاح صائح أو نادى بذكركم  
فسمعي له صاغ يراعي نداكم  
ويا ليت قاضي العشق يحكم بيننا  
وداعي الهوى لما دعاني دعاكم  
فإن تطردوني كنت عبدا لعبدكم  
وإن تصلوني كان قصدي رضاكم  
أيا قرّة العينين يا غاية المنى

ترى هل تجودوا باللقا لأراكم؟  
متى تجمع الدنيا التي فرقت بيننا  
ويحظى بكم قلبي وعيني تراكم؟  
أرجي زمني بالوصال وإنني  
كئيب ومشتاق وشغلي هواكم  
فإن ترحموني كان منكم تفضلا  
على الله رب العالمين جزاكم

# أحفاد رسول الله (الإخوة أبو شعر)

الإخوة أبو شعر، أو فرقة الصحابي أبي أيوب الأنصاري، فرقة نشيد إسلامية سورية، تتكون من عشرة أعضاء، ستة منهم إخوة من عائلة «أبو شعر»، والدهم الشيخ موفق أحمد إسماعيل أبوشعر الحسيني الرفاعي أحد الأشراف، الذي كان بشبابه منشدا لبعض العلماء الكبار في دمشق وكان عالما بالأنغام.

جعلوا شعار فرقته على شكل «نعل» رسول الله ﷺ الذي يضعونه على صدورهم كعلامة وإشارة إلى ارتباط الفرقة بالنبي ﷺ.

تغنوا بالإنشاد والمدح منذ طفولتهم فبدأت فرقتهم وتأسست عام 1983، وتجمع أربعة منهم مكونين فرقة لبراعم تمدح رسول الله وسميت باسم الصحابي أبي أيوب الأنصاري نسبة للمسجد الذي قد تخرجوا فيه في منطقة الزاهرة في دمشق، كان أصغرهم حينها بهاء الدين أبو شعر، وكان عمره 11 عاما عندما حضر أول حفلة رسمية للفرقة وبعد سنوات التحق بهم أنس أبو شعر وعرف بـ «ضارب الإيقاع» منذ الصغر. وكان لأصغرهم عبد الرحمن أبو شعر فرقة خاصة به تسمى «براعم الإيمان»، وبدأ بالإنشاد وعمره ستة أعوام، وبعد أعوام قليلة انضم إلى إخوته وتجمعت الفرقة ستة إخوة.

التزم والدهم منذ صغرهم بتدريبيهم وتلقينهم العلم والإنشاد، وبدعوا عند الأقارب ثم الأصحاب ثم بدأ يصطحبهم إلى مجالس العلم، وفي نهاية المجلس يقومون بمدح رسول الله، فبدأ الناس يطلبونهم للإنشاد هنا وهناك، وهكذا بدأت الفرقة بالتوسع.

تمتاز الفرقة بصدق اللحن وطهر القلب وشرف النسب مع عذوبة الصوت وشجون النغم وفرط الحب، ويجمع الإخوة أبو شعر بين أم شريفة تنسب لسيدنا الحسن ووالد حسيب ينسب لسيدنا الحسين.

وعائلة أبو شعر من العائلات العريقة بدمشق، وعرفت بأبو شعر لأن جدهم الأكبر كان يرد على من يسأله بالشعر، فهي بكسر الشين ولكن تداولها الناس بفتح الشين وعرفت العائلة منذ القدم بعائلة أبو شعر، كان والد أعضاء الفرقة الشيخ موفق بشبابه منشدا لبعض العلماء الكبار في دمشق، وكان عالما بالأنغام فجعل عمره فداء لجده المصطفى، ومن ثم وهب أبناءه لمدحه ﷺ وخدمته.

وبدأت الفرقة بالبحث عن لون جديد تظهر به للناس وبتغيير مفهوم الموالد عند الجيل الجديد، ووقفهم المولى سبحانه بأن جمعوا بين التراث الروحاني واللحن الحديث وتميزوا وعرفوا بلون سهل ممتنع.

وأكبر سبب لإقبال الناس عليهم بهذا الشكل أنهم تربوا على الحب الصادق للمصطفى، فمدحه بالنسبة لهم هو صفاء حال معه بكل الأحوال فلا يخرج المدح من أحدهم إلا من قلبه، وما خرج من القلب محال أن يقع بغير القلب.

والفرقة تقيم الآن في مصر نظرا للظروف التي تمر بها سوريا.

ويقول أبو عبد الرحمن – أحد الإخوة أبو شعر – إنه من المعتاد أن المؤدي أو المنشد يكون صولو وتكون لديه بطانة، بينما نحن جميعنا نشكل بطانة (كورال) وصولو في الوقت نفسه، فكل فرد يتقدم ليغني ويكون الآخرون بطانته.

**ويضيف: نقدم فنا هادفا يسمو بالمشاعر وينير ظلمات الفؤاد، بعيدا عن مألوف الساحة الفنية حاليا، لنا مساحتنا المتفردة التي نبدع فيها بعيدا عن الآخرين.**

ويؤكد أن لدى الفرقة رسالة سامية تسعى لنشرها، ومؤداها السلام والحب، بالفن نتحاور ونناقش ونعلم الناس أن كل شيء في الدنيا هو الحب، وأعمالنا تدور حول وحدة المسلمين، وتدين الرذيلة، وتدعو إلى الفضيلة، وتمدح الرسول الكريم.

بينما يشير رئيس الفرقة إلى أنهم يحاولون إحياء التراث الإسلامي في مختلف أقطار الوطن العربي الشاسع، ومتابعة كل ما يقدم من تراث في التصوف والموشحات والمديح الديني الذي يقدمه أي عربي، ويوضح أن كل الفرق الإنشادية في سوريا تقدم الإنشاد الصوفي والموشحات، ونادرا ما نجد حالات تخرج عن القاعدة العامة التي عرف بها الإنشاد في سوريا. فالمنشد في سوريا أو في أي مكان آخر له رسالة خاصة عليه أن يؤديها؛ لذلك فهو لا يرتبط لا بمسيحي ولا سني ولا شيعي ولا سلفي ولا وهابي، فهذه المنشد تقديم رسالة صحيحة عن الإسلام والمسلمين من أنبياء وأولياء صالحين إلى كل هذه الأمة.

فنحن مثلا حين نكون في مجتمع تتواجد فيه طائفة مسيحية نقدم لهم قصائد عن السيدة مريم العذراء، بالطريقة الصحيحة المقتبسة عن التراث الإسلامي. فمثلا من القصائد التي اقتبسناها عن المغرب العربي: «عيسى ابن مريم سلام الله على ابن مريم.. عيسى روح الله بيه أعلم»، وهي مقتبسة عن القرآن الكريم، كما قمنا أيضا بمدح أهل البيت بعيدا عن أي إيديولوجيات طائفية، فالمنشد له رسالة يجب أن يوصلها إلى قلوب الناس جميعا في مختلف بقاع العالم الإسلامي الكبير؛

لذلك فالمنشد عليه أن يخرج من نطاق الملة والأزمات الطائفية هذه، وعليه أن يساعد على نشر رسالة السلام والمحبة.

ويستطرد قائلاً: في هذا العالم يوجد قضية إسلامية علينا أن نتوجه إليها، وهي حب الله وحب رسوله الكريم، بعيداً عن أي توجهات طائفية وسياسية، فالإنشاد الحقيقي عليه أن يكون في منأى عن الاختلافات الطائفية والسياسية.

وحول تقديمهم خلال حفل بالجزائر أغنية «عبد القادر يا بوعلام»، وهي أغنية راي مائة بالمائة، غناها الشاب خالد وفضيل وطه، وحققت شهرة كبيرة في العالم، قال: نحن نمدح الأولياء الصالحين، لذلك نحن أولى، فنحن أولى من المطربين في مدحهم؛ لذلك أعتقد بأننا أولى من الشاب خالد في مدح سيدي عبد القادر الجيلاني من كل الذين غنوا له، وأدأونا لهذه الوصلة تدخل في إطار الإنشاد طبعاً، ما لم تدخل فيها بعض الآلات الموسيقية، وهناك فرق بين الإنشاد والغناء الذي يختلف عنه في العديد من النقاط، سواء من ناحية الكلمات أو الآلات الموسيقية المستعملة، ونحن نعتمد على الإنشاد للوصول إلى قلوب المستمعين، وإن كانوا يهتمون في بداية الأمر بالنغم نفتح قلوبهم بهذا النغم، ثم نمرر رسالة من خلال الكلمات التي تصحبه.

وحول استخدامهم الآلات الإيقاعية يقول: نحن نخرج من أحكام الحلال والحرام في هذا الموضوع، ولا نخوض في بحر الخلافات والشبهات، ولسنا بحاجة إلى استعمال الآلات الموسيقية، وهناك قاعدة يتوجه لها أصحاب المغرب العربي وهي مقولة سيدي عبد الغني النابلسي: «زمزم لما شربت له والموسيقى لما سمعت له»<sup>(20)</sup>.

جدير بالذكر أن فرقة أبو شعر من الفرق القليلة التي سمحت لها وزارة الأوقاف بالإنشاد داخل بعض المساجد المصرية؛ لأنها لا تستخدم آلات موسيقية، ومن أبرز القصائد التي تتشدها:

### **نحن في ساحة الحسين نزلنا**

#### **(لأحمد أبو الحسن)**

نحن في ساحة الحسين نزلنا في حمى الله من أتى لحسينا  
يا ابن طه البشير جننا ببابك وشرفنا هنا بلثم عتابك  
يا حفيد الرسول جننا رحابك منبع الجود مصدر الكرمينا  
رحمة الله للبرية عطاها من قرن به ذاته واصطفاها  
يثرب شرفت بهجرة طه يا هنا مصر يوم جاء حسينا  
أمك الزهرا للمكمل قرّة لا شبيها لها من الكنز درة

لا شريف سواك في الخلق طره يا كريم الأجداد والأبويننا  
الأماكن إلى الكنانة تهني إلى مصر قد جاء من ناب عني  
قال خير الوري حسين مني في حديث رواه أنا من حسيننا  
أنت بالأم قد بلغت الكمال وعلي به تسود الرجال  
أنت فرع زكي من خير آل عنصر النور منبت الحرمينا  
في قلوب الخيار ربي كتبكم قال في الذكر قربة قربكم  
كل حسب مقطوع غير حسبكم قبضة الحق أفضل النسبينا  
من يزور الإمام أته عنايا إن اصل ساحه يتم هنايا  
قد أتيناك والركاب حنايا يا ابن خير الأنام نظرة إلينا  
خاطب الله للحسين شفاها يا شهيد المحبة يا سبط طه  
آية الطهر أنتوا مجلى صفاها أنتوا ريحانتاه والسبطينا  
جننا ساح بها تحط الخطايا منهل الجود مصدر للعطايا  
من سواكم يرجى لكشف البلايا؟ رحمة الله قد هداها إلينا  
ضرني الكرب جئت ساح الكراما شاكيا باكيا من الاما  
بأخيك العظيم حسن الإماما دوحة النور طاهر العنصرينا  
داوى جسمي من الضنا كم عانى وكذا الضر والأسى مسانا  
فهي كوكب بدا مع الكوكبان أم هاشم كريمة الداريننا  
حبكم في العروق والقلب يسري جئتكم بدلوا لعسرى بيسرى  
بأبيك الإمام أجبر لي كسرى فك اسرى وسد عني الديننا  
يا إمامي عليا جار الهم لا يخيب الذي لساحك هما  
قد أتيتك بفاطمة خير أما بنت طه وسيد الثقليننا  
قد أتينا سيد الساداتي بالكتاب العزيز والآياتي  
بالإمام السجاد ذو الدعواتي بعلي المكني منك بزينا  
قد أتيتك بعتره مرضيه بضعتك صفوة الأنام رقيه  
وأتيتك بفاطمة النبوية وأم كلثوم زينب وسكينه  
طيبونى كي أعود بلادي وأبرئوا عودي كي أرى أولادي  
فإذا صرتم ساكنين فؤادي تموا للنعمة واحفظوها علينا

عذرا رسول الله  
(من الشعر الصوفي)

عذرا رسول الله إن قصرت في  
وصف فإن جمالكم لن يوصفا  
جاءت قديما ذرة من نوركم  
قد جمل الرحمن منها يوسف  
والله لو جد العباقر كلهم  
في وصف أفضال له لن تعرفا  
والله لو ماء البحار بجمعها  
كان المداد لوصف أحمد ما كفى  
والله لو قلم الزمان من البداية  
إلى النهاية ظل يكتب ما اكتفى  
والله لو قبر الرسول تقجرت  
أنواره للبدر ولي واختمى  
يكفيه لقياً في السماوات العلى  
وبحضرة المولى الجليل تشرفا  
يكفيه أن البدر يخسف نوره  
ونور محمد لن يخسفا

لا إله إلا الله نبدأ باسم الجلالة  
(من التراث الشعبي)

لا إله إلا الله نبدأ باسم الجلالة  
لا إله إلا الله نبدأ باسم الجلالة  
محمد رسول الله صاحب الرسالة  
الله ما أغلى التقى  
طال شوقي إليكم متى يكون الملتقى؟  
طال صبري عليكم  
لا إله إلا الله نبدأ باسم الجلالة

محمد رسول الله صاحب الرسالة  
هيا بنا أهل الوطن نحيي الفرض مع السنن  
ونجتنب كل الفتن التي حلت بنا  
لا إله إلا الله نبدأ باسم الجلالة  
محمد رسول الله صاحب الرسالة

### جل الذي سواك (من التراث الشعبي)

جل الذي سواك يا مصطفى محلاك  
أنت حبيب الروح روعي العزيزة فداك  
ليلي شاكي مضيوم شاكي للمولى مهموم نادوني بالمحروم طه  
للزيارة دعاك  
دق القلب المكروب دق تعدل كل قلوب من فرط الأشواق يذوب  
بدموع الفرحة لما ألقاك  
بلحظة كل همي نسيت طارت روعي يم البيت شديت رحالي ومشيت  
بدموع الفرحة لملاقاك  
طريق مشيتو محلا الأعياد عتاد شوقي رحل ودمعي سال عيدي أجمل العياد لما أوقف على  
الباب الله

الله الله الله الله الله الله الله آه خدي على بابك يا رسول الله  
آه خدي على عتابك يا حبيب الله  
آه مشتاق شم تراب تربتك يا رسول الله  
آه طامع بشوفك يا رسول الله  
آه لو يسمح الدهر بشم تربهم وانني أظنه لم يسمح  
لان مثلي وعزيزي قدرهم لرتبة الحب لهم لم يصلحي  
آه لو زور عتابك يا طه بس مرة بس مرة شم تراب حجرتك  
بس مرة لو مرة تضمني على صدرك لو مرة بس لو مرة شم يدك  
وقبلها بس مرة بس مرة شوف وجهك يا طه  
بس مرة لاحت نور الأنوار ندعى بدعاء الأبرار

أنا ضيفك بالمختار نحن ضيوفك ياطه  
نحن حبائك طه نحن أمتك يا طه انا ضيفك بالمختار  
أطمع بشفاعة ورضاك جل الذي سواك يا مصطفى محلاك  
أنت حبيب الروح روعي العزيزة فداك  
أنشودة مدينة رسول الله ياطيبة

### (من التراث الشعبي)

مدينة رسول الله يا طيبة مدينة عظيم الجاه  
يا طيبة لما وصلنا المدينة فاضت الدمعة من عينينا  
فيك خير من أقام يا طيبة محمد خير الأنام  
يا طيبة هو بث منك الإسلام  
يا طيبة هو روعي وعيوني  
مدينة رسول الله يا طيبة مدينة عظيم الجاه  
يا طيبة يا واصل إلى طيبة يا طيبة عانق رياح المسك  
يا طيبة بتلاقي أنس وهيبة يا طيبة كلها من طه المكي  
مدينة رسول الله يا طيبة مدينة عظيم الجاه  
يا طيبة لما على ع القبة الخضراء يا طيبة ألواح الهادي لاحوا  
يا طيبة أنا ناديته يا أبا الزهرا يا طيبة قلبي زادت أفراحه  
مدينة رسول الله يا طيبة مدينة عظيم الجاه  
يا طيبة أنا وسمعت النداء ولبيت يا طيبة زور الهادي وطوف البيت  
يا طيبة لما شفت الكعبة قبالي حالي والله ما عاد حالي  
يا طيبة أنا ساعة أركض، أنا ساعة حبيت يا طيبة وصلت لروضة طيبي  
مدينة رسول الله يا طيبة مدينة عظيم الجاه  
يا طيبة طال شوقي، ليك طال يا طيبة والشوق بقلبي قتال  
يا طيبة بلغنا ربي الآمال يا طيبة وصلت لروضة طيبي  
مدينة رسول الله يا طيبة مدينة عظيم الجاه  
يا طيبة راجع من بيتك يا ربي اللي بأنواره تعلق قلبي  
أهديك الآن السلام يا طيبة يا منبعا للإسلام

يا طيبة وفي الختام أهديك الآن السلام ولحجرة خير الأنام  
يا طيبة من حوى أبهى الجمال يا طيبة

أم النبي خير الأنام  
(من التراث الشعبي)

أم النبي خير الأنام شافت منام قالت كلام  
منردده يوم مولده

يا بركة الله الأحد تحمي وليدي من الحسد من شر حاسد إن حسد  
يا عين حسود ما تقربي حبا وكرامة النبي  
يا أيها الثاني عشر من الربيع المنتظر  
ذكرتنا بمن ظهر محمد خير البشر

كم افتخر بنو مضر به لما المولى أمر على عدوه انتصر  
ونال منه بالظفر لبي نداءه الشجر والنور في الأرض انتشر  
لأجله شق القمر عليه سلم الحجر  
نعم السور بها قهر من كان للمولى كفر على عدوه انتصر ونال منه بالظفر  
أم النبي خير الأنام شافت منام قالت كلام  
منردده يوم مولده

يا بركة الله الأحد تحمي وليدي من الحسد من شر حاسد إن حسد  
يا عين حسود ما تقربي حبا وكرامة للنبي  
يا خير خلق الله مدد

يا كل أحباب النبي يتجمعوا بنور النبي مدد مدد مدد  
خير الأنام ماحي الظلام مسك الختام  
عليه الصلاة وأزكى سلام إمام الكرام رفيع المقام  
عليه الصلاة وأزكى سلام

أول ما دخلنا الحضرة  
(من التراث الشعبي)

أول ما دخلنا الحضرة وبالمدينة زال البأس  
الله ألقى علينا نظرة أبو القاسم خير الناس

همنا أمام الحجرة يا عيني وفاضت منا العبرة  
الله الله قلنا يا أبا الزهرا يا ملاذ كل الناس  
أنت قصدي ومرادي يا طه أنت خير الأنام  
الله الله داويني من سقامي يا طه يا طبيب كل الناس  
صلى ربي وحيأ على خير البرية  
الله الله صلى ربي وسلم وسلم على النبي المعظم  
الله الله والآل ثم الأصحاب والفتى الشيخ الرواس  
وأول مادخلنا الحضرة وبالمدينة زال البأس  
الله الله ألقى علينا نظرة أبو القاسم خير الناس  
الله ذو الجلال أعطاك الجمال يا شمس الكمال  
يا نور عيني

حيرت الأفكار في مجلى الأنوار مطلع الأقمار في الوجنتين  
نورك الوضاح مالك الأرواح محبا قد ساح  
إلى الحرمين كفاك فضلا بالعلا الأعلى  
دنا فتدلى قاب قوسين

يا شمس الأسرار يا نور الأنوار دارك الحضار في كل حين  
إنني هائم بالمدح خادم للنبي الخاتم جد الحسنين  
الله ذو الجلال أعطاك الجمال يا شمس الكمال يا نور عيني  
حيرت الأفكار في مجلي الانوار مطلع الأقمار الوجنتين  
ونا داخل عالاعتاب وعلى القبة الخضرا  
بالله نظرة يا جداه كرمال على والزهرا  
ونا لمدح محمد و ابو بكر الصديق  
بالله نظرة يا سيدي يا صاحب التحقيق  
ونا لمدح محمد وعمر يا ابن الخطاب  
بالله نظرة يا سيدي يا ملهم بالصواب  
ونا لمدح محمد وعثمان يا ابن العفان  
بالله نظرة يا سيدي يا جامع القرآن

علي يا ابو الحسن الرب حياك نزلت كرامة إلك  
يا حيدر في وصف حياه قالوا سيفك يابطل بالحرب حياك  
ومن لحم العدا تنسج عباك  
ونا لمدح محمد وعلي يا قره عيني  
انده نظرة يا جداه يا والد الشهيدين  
حاسبوننا فدققوا ثم منوا فأعتقوا هكذا شيمة الملوك بالمماليك ترفق  
إن قلبي يقول لي ولساني يصدق  
أن من حب محمدا ليس في النار يحرق

### نسيم هبت علينا (من التراث الشعبي)

نسيم هبت علينا من حمى المصطفى  
نسيم فيها الهنا فيها الدوا والشفاه  
بشمها ينصلح الظاهر لنا والخفا  
ياحادي أسجع فحالي بالنبى قد صفا  
الله الله الله الله الله الله الله الله  
لا إله إلا الله الله الله الله الله الله الله  
والحبيب رسول الله على قدم صدق مع أهل الهمم و الوفا  
هم الرجال الأكابر هم هم الشرفا  
هم أهل الأسرار هم أهل النقا والصفاه  
يا حادي اسجع فحالي بالنبى قد صفا  
إذا بدت عين جود الله عنا عفا  
الله حسبي ونعم الحسب حسبي كفى  
منه المواهب ومنه العافية والشفاه

### رضي الله عن أمهات المؤمنين (من التراث الشعبي)

رضي الله عن أمهات المؤمنين آمين  
من كن زوجات لخير النبيين آمين

فخديجة أولهن عند النبي أفضلهن  
والعامرية سودة مع النبي مهاجرة  
رضي الله عن أمهات المؤمنين أمين من كن زوجات لخير النبيين أمين  
وعائشة بنت الصديق للنبي خير صديق  
ابنة الخطاب حفصة صوامة قوامة  
رضي الله عن أمهات المؤمنين أمين من كن زوجات لخير النبيين أمين  
أم المساكين زينب من طبعها محبب  
هند أم سلمة أمنا آخر أم توفيت  
رضي الله عن أمهات المؤمنين أمين  
من كن زوجات لخير النبيين أمين  
وزينب أم الحكم أعمالها كانت حكم  
عرفت بالبركة من هي؟ أمنا جويرية  
رضي الله عن أمهات المؤمنين أمين من كن زوجات لخير النبيين أمين  
وأمنا صفية طاهرة نقية  
ورملة بذل النجاشي مهرها عن النبي لوالدها  
رضي الله عن أمهات المؤمنين أمين من كن زوجات لخير النبيين أمين  
كان اسمها برة أسماها طه ميمونة  
وآخرهن ماريًا مصرية قبطية

# فرقة الرضوان

## المرعشلي

من أهم فرق الإنشاد الديني التي وفدت إلى مصر خلال الفترة الأخيرة فرقة الرضوان السورية أو المرعشلي التي تأسست عام 1980 في دمشق، على يد عبد القادر المرعشلي، تتكون الفرقة من أبنائه ومعظمهم أسماؤهم مركبة تبدأ باسم محمد لما يحمل هذا الاسم في نفسه من حب صادق لسيدنا

محمد ﷺ.

وأشار عبد القادر – الذي يمتهن أيضا مهنة خياطة الأزياء العربية وخاصة قفاطين المشايخ – إلى أن فكرة تأسيس الفرقة جاءت منذ أكثر من 30 عاما لأنه نشأ في أسرة دينية توارثت مدح النبي، وأنه بسبب أزمة سوريا قرر اللجوء إلى مصر مع الفرقة واتخاذ القاهرة كنقطة انطلاق لإمتاع الوطن العربي بالإنشاد الديني والروحي.

بينما يوضح المنشد صفوان المرعشلي، المدير الإداري للفرقة، أن والده عبد القادر المرعشلي، الذي أنشأها، تعلم الإنشاد من والده ياسين في مجالس الذكر، فكان قارئاً ومنشدا روحانيا.

ثم بدأ عبد القادر عام 1960 ينشد في الحفلات والمناسبات المختلفة، مثل عقد القران أو ولادة مولود، والمناسبات الدينية مثل شهر رمضان والمولد النبوي وعودة الحجاج من مكة المكرمة. وعرف عبد القادر في سوريا بإنشاد القصائد باللهجة المصرية التي جذبت السوريين. فأنشد قصائد سيد النقشبندي ومحمد الطوخي وطه الفشني، وهذا ما ساهم في ذبوع صيت فرقة الرضوان بعد إنشائها، كما يقول ابنه.

وأضاف: في سياق هذه الظروف نشأنا أنا وإخوتي، ووجدنا أنفسنا منشدين، والتحقنا وبعض أعضاء الفرقة بمعاهد الموسيقى العربية لدراسة الإنشاد بشكل أكاديمي، واستطعنا تحويل الألحان السماعية إلى ألحان أكاديمية، وهو ما ساعدنا على الإنشاد بطريقة حرفية.

والظروف السياسية التي مرت بها سوريا منذ 2011، اضطرت الوالد للمجيء إلى مصر، ثم تبعه صفوان وإخوته فردا تلو الآخر، قائلا: جننا بأجهزتنا التي نحيا بها حفلاتنا، فاستضافنا أحد العلماء المصريين واستقرت إقامتنا في القاهرة.

ويوضح صفوان أن بداية الفرقة مع الإنشاد في القاهرة كانت بأداء فقرات إنشادية في بعض المناسبات، فوجدنا تجاوبا كبيرا من المصريين، وإقبالا على سماعنا، ثم استضافتنا بعض القنوات

التليفزيونية، ومنها اتجهنا للغناء في بعض الحفلات الخاصة، وكذلك في المسارح والأماكن الأثرية، مثل مسرح سيد درويش بالإسكندرية، وساقية الصاوي وقصر الغوري ومركز الربع بالقاهرة، كما شاركنا في بعض المهرجانات مثل مهرجان الإنشاد الصوفي.

المرجعية الفكرية لفرقة الرضوان هي الطريقتان الشاذلية والرفاعية، فعبد القادر المرعشلي مؤسس الرضوان شاذلي رفاعي، تتلمذ على يد الشيخ صالح الحموي الشاذلي، وتعلم على يديه أيضا مهنة الخياطة، وعلى يد الشيخ أحمد السبسي المراهي الرفاعي أيضا، ورغم ذلك تشارك الفرقة في احتفالات كل الطرق ولا تتعصب لطريقتها. وأوضح المرعشلي أن فرقته شاركت في مولدي السيد البدوي بطنطا، والحسين بالقاهرة.

تقدم الفرقة كل الألوان الإنشادية، سواء المصرية أو المغربية أو التركية وغيرها، ولكن الجمهور المصري، كما يقول المرعشلي، يحب اللون المصري، الذي تجيده الفرقة، وكان سببا في شهرتها بسوريا قبل مجيئها إلى مصر.

وأشار المرعشلي إلى أن أهم الأناشيد التي ترددها الفرقة، وتلقى إعجاب المصريين، ويطلبون سماعها في كل الحفلات هي «لأجل النبي» و«قمر سيدنا النبي» و«علي باب النبي» و«أنت جاهي يا رسول الله».

وأكد أنه إذا استقرت الأمور في سوريا وعدنا إليها، فلن نقطع عن جمهورنا في مصر، ولن نخسره، وسنتواصل معه في المناسبات الدينية، خصوصا شهر رمضان الذي يتمتع في مصر بنكهة خاصة مختلفة عن أي بلد عربي أو إسلامي آخر.

**ومن أهم القصائد التي تتغنى بها الفرقة:**

**القلب يعشق كل جميل**

**(لبيرم التونسي)**

القلب يعشق كل جميل وياما شفتي جمال يا عين

واللي صدق في الحب قليل وإن دام يدوم يوم ولا يومين

واللي هويته اليوم دايم وصاله دوم

لا يعاتب اللي يتوب ولا في طبعه اللوم

واحد ما فيش غيره ملا الوجود نوره

دعاني لبيته لحد باب بيته

واما تجاللي بالدمع ناجيته

كنت ابتعد عنه وكان يناديني  
ويقول مصيرك يوم تخضع لي وتجيني  
طاوعني يا عبدي طاوعني أنا وحدي  
مالك حبيب غيري قبلي ولا بعدي  
أنا اللي أعطيتك من غير ما تتكلم  
وأنا اللي علمتك من غير ما تتعلم  
واللي هديته إليك لو تحسبه بأيديك  
تشوف جمالي عليك  
من كل شيء أعظم سلم لنا تسلم  
دعاني لبيته لحد باب بيته  
واما تجاللي بالدمع ناجيته  
مكة وفيها جبال النور طالة على البيت المعمور  
دخلنا باب السلام غمر قلوبنا السلام بعفو رب غفور  
فوقنا حمام الحمى عدد نجوم السما  
طاير علينا يطوف ألوف تتابع الوف  
طاير يهني الضيوف بالعفو والمرحمة  
واللي نظم سيره واحد ما فيش غيره  
دعاني لبيته لحد باب بيته  
واما تجاللي بالدمع ناجيته  
جينا على روضة هالة من الجنة  
فيها الأحبة تنول كل اللي تتمنى  
فيها نور على نور وكاس محبة يدور واللي شرب غنى  
وملايكة الرحمن كانت لنا ندمان بالصفح والغفران  
جاية تبشرنا يا ريت حبايبنا ينولوا ما نلنا  
يارب توعدهم يارب واقبلنا  
دعاني لبيته لحد باب بيته  
واما تجاللي بالدمع ناجيته

## خير البرية

### (من التراث الشعبي)

خير البرية \*\* نظرة إلي ما أنت إلا \*\* كنز العطية  
يا بحر فضل \*\* وتاج عدل جد لي بوصل \*\* قبل المنية  
حاشاك تغفل \*\* عنا وتبخل يا خير مرسل \*\* إرحم شجيا  
كم ذا أنادي \*\* يا خير هاد يكفي بعادي \*\* فاحنن علي  
أهديك حبي \*\* صلاة ربي مادام قلبي \*\* بالذكر حيا

### على باب سيدنا النبي

### (من التراث الشعبي)

على باب سيدنا النبي الله الله \*\* محبوبي ومطلبي الله الله أنا عاشق مصطفى \*\* على باب  
سيدنا النبي ومشتاق قلبي لساعة الله الله \*\* للوصل وافراحه الله الله نفسي أشرب من راحه \*\*  
على باب سيدنا النبي وحجيت عرفات تاني الله الله \*\* والتوبة على لساني هام قلبي ووداني \*\*  
على باب سيدنا النبي ومحلاك ياكتاب الله \*\* يا رسول رحمة من الله ده مكان جبريل والله \*\* على  
باب سيدنا النبي

## نور الهدى

### (من التراث الدمشقي)

نور الهدى وافانا بحسنه أحيانا صلى عليه مولانا  
وباللقا حيانا أهلا به وسهلا قد طاب فيه المجلى

صلى عليه مولانا

أتى بقلب سليم هذا الملاذ العظيم هذا الرؤوف الرحيم

صلى عليه مولانا

أتى بقلب سليم يا رحمة العالمين يا نعمة لا تمين

صلى عليه مولانا

مطاع ثم أمين يا مدعي حبه به اطع أمره

صلى عليه مولانا

غدا تتال قربه أحمدنا، المصطفى بحر الصفا والوفا

صلى عليه مولانا

فالممدح فيه شفا بحقه يا سلام وفضل آل كرام  
صلى عليه مولانا وصحبه بالختام

**طالما أشكو غرامي**

**(الشيخ محمد أبو الشامات)**

طالما أشكو غرامي يا نور الوجود وأنادي يا تهامي يا معدن الجود  
بغيتي أقصى مرامي أحظى بالشهود وأرى باب السلام يا زاكي الجود  
طالما أشكو غرامي يا نور الوجود وأنادي يا تهامي يا معدن الجود  
يا سراج الكون اني عاشق مستهام مغرم و الممدح فني يا بدر التمام  
طالما أشكو غرامي يا نور الوجود وأنادي يا تهامي يا معدن الجود  
اصرف الإعراض عني أضناني الغرام  
فيك قد حسنت ظني يا سامي العهود

طالما أشكو غرامي يا نور الوجود وأنادي يا تهامي يا معدن الجود  
وعليك الله صلى ربي ذو الجلال يكفي يا نور الالهة أن هجري طال  
طالما أشكو غرامي يا نور الوجود وأنادي يا تهامي يا معدن الجود  
طالما أشكو غرامي يا نور الوجود وأنادي يا تهامي يا معدن الجود

## مداحون أقباط

من الظواهر المهمة في عالم الإنشاد الديني بمصر، وجود منشدين أقباط تخصصوا في مدح النبي محمد عليه الصلاة والسلام، ولهم شعبية كبيرة خاصة في الصعيد، وقد اخترنا أهم نموذجين في هذا المجال وهما مكرم جبرائيل غالي وشهرته مكرم المنياوي وجميل عبد الكريم عبد الله ميخائيل وشهرته الشيخ جميل الأسيوطي، لنتعرف من خلالهما على هذه الظاهرة.

مكرم جبرائيل غالي، الشهير بـ «مكرم المنياوي»، ولد عام 1947 بقرية بني أحمد الشرقية بمحافظة المنيا، وأشعل ليالي قرى الصعيد منذ منتصف الستينيات بالطرب والمواويل والقصص التاريخية، ويشرح قصته بقوله: بدأت مشواري منذ عام 1964 كانت بداياتي مع الرئيس متقال ومشاهير الفن الشعبي، هويت آلة الربابة، ومنذ عام 1966 اتجهت لفن المديح النبوي، ومنذ ذلك التاريخ وطوال الـ 49 عاما وأنا أمدح الرسول ﷺ وأعمل طوال الشهر وراحتي 4 أيام شهريا فقط، فالיום الذي لم أمدح فيه الرسول أشعر أنني مش عايش.

ولم أمدح الرسول من أجل المال ولكن لحبي في المديح، فمدح الرسول بالنسبة لي كقبطي حاجة مختلفة حتى الناس عندهم حيرة ازاى أنا قبطي وبقول الكلام دا عن رسول الإسلام، وأنا عملت عندما كانت النقود قرش وقرشين والشريط الكاسيت كان بيتعمل بـ20 جنيه ودلوقت الشريط وصل لمليون جنيه ولولا حبي للمهنة ما كنت نجحت.

ويضيف: أكثر شيء يطلب مني هو المديح النبوي وقصيدتي سيدنا أبو بكر وعدل عمر، فسماحة وعدل سيدنا عمر بن الخطاب هي التي جعلت أقباط مصر يستغيثون به من اضطهاد وظلم الرومان، هو سبب دخول الفتح الإسلامي مصر، فالأقباط استغاثوا بالمسلمين لنجدتهم، حتى إن ملك اليهود قال إنه سمع الكثير عن سيدنا عمر فأرسل له أحد الرعايا يسأل عنه، وعندما سأل هذا الشخص رأى رجلا ينام تحت شجرة قال إنه يريد سيدنا عمر، فقال له: أنا عمر، فقال له: حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر، حتى في ناس كثير متعرفش حاجة وتقول إيه اللي جاب الفتح الإسلامي مصر؟ فالأقباط هم من استغاثوا بالإسلام.

مكرم يوضح أن له في الفن الشعبي ما يقرب من 4 قصائد كل قصيدة مسجلة أكثر من ساعة ونصف الساعة بخلاف المديح والقصص الإسلامي، وعمل 144 شريط كاسيت، ومن أشهر ما كتب في الفن الشعبي حسن ونعيمة وخالد وجميل والدكتور، وصبري. ويقول: كل ليلة أحبيها لازم اطلع بحاجة جديدة فمثلا أقول «أنا امدح اللي خرج من بيت عماته.. أحمد محمد ركب براق الرسول من عند بيت عماته» ومديح آخر «غني يا حبايب غني دا أنا حب النبي هو اللي شغلني».

وقمت بالغناء في عموم الجمهورية من الإسكندرية حتى أسوان وعلى الحدود الليبية وحب الناس لي لأنني قبطني أتغنى وأمدح في الرسول.

وعن كيفية كتابة قصائده ومصادر معلوماته عن الثقافة الإسلامية، يقول: أقرأ كثيرا في الكتب الإسلامية فأنا حاصل على إعدادية قديمة وتعلمت الكثير عن الدين الإسلامي، وكثير من شغلي ارتجالي وأفهم ما أقوله من مديح مش بامدح وبس، ولا يمكن لجاهل أن يمدح الرسول، فأنا أستطيع أن أحيي ليلة فرح كاملة بالذكر والمديح فقط، وأحرص في الأفراح على ترضية المسلم والمسيحي، فمثلا في إحدى الليالي أجد قبطيا يطلب مني قصيدة العذراء بمجرد ما انتهى من آخر كلماتها انقل على المديح.

ويؤكد أنه يصوم 10 أيام من شهر رمضان الكريم؛ مشاركة لأشقائنا المسلمين، وباقي الشهر أخذه راحة من العمل وأعيش ليالي رمضان بين الحسين والسيدة زينب ولا أعمل فيها لأن أغلب الحفلات قرآن وتواشيح، وعلاقتي بالمسلمين خاصة أهل القرية جيدة.. بلدنا حلوة ومسلموها وأقباطها كانوا أيد واحدة وكلام الفتنة الطائفية لم نسمع عنه إلا في السنوات الأخيرة، والفتنة يصنعها الجهلاء وأحداثها كلام فاضي، لأن اللي جاهز للخراب مش فاهمين حاجة، فمثلا أنا مسيحي وانت مسلم إيه يعني، فالإسلام يقول لو ربنا عايزنا ديانة واحدة كان قادرا.. لو شاء الله لجعلكم أمة واحدة، نصارى أو مسلمين، فالدين لله وربنا هيحاسبنا جميعا وكل واحد وعمله، وبعدين إحنا ولاد مصر قاعدين فيها وعمرنا ما هنمشي ولو زرعنا الأسية مع بعضنا ولادنا هيتوارثوها.

وعن تأثير عمله بفترة حكم الإخوان، يقول: عشت أسوأ فترات حياتي أيام حكم الإخوان، وفترة الانفلات الأمني تعرضنا أكثر من مرة أنا وفرقتي الموسيقية لقطاع طرق، وكنا نخرج خلصة من الأفراح ولو عرف أحد يبجي ويقفل الفرحة ويمشينا، كنا بنخاف نطلع في عز الضهر ولكن الحمد لله بدأت الأوضاع تتحسن ونشعر بالأمان بعد 30 يونيو.

ويقول عن التهديدات التي تلقاها من الإرهابيين أثناء فترة التسعينيات: كانت عندي حفلة بحري مركز منفلوط بمحافظة أسيوط، واعترضني بعض المتشددين مثلما اعترضوا الشيخ ياسين التهامي ومنعونا من إحياء هذه الليلة، ولكن تلك المحاولات المستمرة لم تمنعني من مدح الرسول.

وعن موقف الكنيسة من توجهه للعمل بالمديح النبوي يوضح: لم تمنع الكنيسة ولكن هناك بعض المتشددون الأقباط الذين يرون أن الغناء حرام وكل ما أقوم به حرام ولكني مقتنع بما أغنيه.

ولمكرم ولدان «ماهر - هاني» لا يكادان يفارقانه وتعلما منه المديح النبوي، يقول ماهر مكرم 32 سنة: هويت المديح النبوي بعدما رأيت حب المسلمين والأقباط له. علمت أن ما يقوم به والذي هو رسالة من أجل الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط ورسالة سلام.. عشت مع مسلمي قرية بني أحمد الشرقية إخوة لا نترك بعضنا إلا ساعات النوم نتبادل الزيارات ونودهم في الأعياد والمناسبات الدينية، سلكت طريقا ولي جمهوري بعيدا عن والدي.

أما هاني الابن الأصغر فقال: حصلت على دبلوم، وأساند والدي في هذا العمر، وتربيت على الفن الشعبي وأغاني السيدة أم كلثوم، ووجدت نفسي في المديح النبوي لا أترك والدي وأعمل معه منذ فترة، أكرر معه مديحه وعشقه لهذا الفن.. علمت أن البطالة هي السبب وراء الفتن الطائفية ولكن عندما يتعلم الإنسان الحب ويعرف سماحة الإسلام وقتها لن تكون هناك فتن طائفية(21).

### ارتجالات الأسيوطي:

بصوته العذب على أنغام الربابة والمزمار، ومعه فرقته الصغيرة، برع الفنان الشعبي القبطي جميل عبدالكريم عبدالله ميخائيل الأسيوطي، في مدح الرسول ﷺ، وآل بيته، بقصائد ارتجالية، ولعت بها قلوب محبيه ومستمعيه، حتى لقبه محبوه بمداح الرسول، ولد عام 1963، يقيم بقرية دشلوط التابعة لمركز ديروط بمحافظة أسيوط.

«وديني يا دليل وديني»، و«فاطمة يا فاطمة يا بنت نبينا»، و«نوح يا حمام»، قصائد اشتهر الأسيوطي بإنشادها على مسامع محبيه في الموالد والمناسبات والأفراح، فيما يطلب منه آخرون تأليف مواويل خاصة لمدح الرسول، بمقابل مادي، لإنشادها قبل ذهابهم لأداء فريضة الحج. الأسيوطي اتخذ من تلك الموهبة مصدرا للعيش له ولأسرته، المقيمة في منزل بالجبل مبني من الطوب والأسمنت، وسقفه من الخشب والبوص، بعد رحلة طويلة في العديد من المهن، منها العمل في الجبال والمحاجر، وسائق على جرار زراعي، لكنه استقر في النهاية على مدح النبي، وفرغ نفسه له.

وعن بداياته يؤكد أنه تلقى أول أجر له وقيمته جنيهان ونصف و5 قروش بقشيش، وما زال محتفظا بها حتى الآن، ومنذ ذلك الحين، بدأ امتهان الغناء والإنشاد الديني في الأفراح والمناسبات. في حديثه لـ «هافينغتون بوست عربي» عاد جميل بذاكرته إلى الطفولة حين ظهر حبه للغناء عبر الأغاني الشعبية، وعندما أصبح في السابعة عشرة من عمره، عمل سائقا لدى أحد صاحبي الجرارين الموجودين بالقرية، فكان يعمل منذ أذان المغرب وحتى الساعات الأولى من صباح اليوم

التالي بمبلغ 45 جنيها، فكان يقضي وقته ليلا أثناء حرثه للأرض في دندنة المواويل على ربابة صنعها من بوص الذرة.

وفي عام 1977 سمعته مجموعة من العازفين والمغنين، الذين ما إن استمعوا إليه حتى دعوه إلى المشاركة في أحد الأفراح التي يقومون بإحيائها. لم يتردد الأسيوطي لحظة في الموافقة على عرضهم، فذهب معهم وعزف على آلة الموصل وهو مزمار مصنوع من الغاب.

ومن هنا بدأ جميل، على حد قوله، اكتشاف الموهبة التي منحها له الله، فقرر امتهان الغناء والإنشاد الديني في الأفراح. ومن هنا بدأ مشواره الفني في محافظات مصر مادحا الرسول.

لا يمكنني القراءة أو الكتابة لذا لم أستطع أن أقرأ الإنجيل وأرثمه أو أغني أناشيد الكنيسة.. هكذا يروي الأسيوطي عن الأسباب التي دفعته نحو الإنشاد الديني والفن الشعبي، والتي منعتة من المشاركة في غناء الأناشيد بالكنيسة وكسب قوت يومه منها.

وأضاف أن الإنشاد الديني أو الفن الشعبي في عموم الأمر يعتمد أولا على الموهبة، ثانيا الاجتهاد في تعلم متطلباته التي تتلخص في تأليف المواويل أو قصائد المدح الصوفية واختيار لحن مناسب لها، الأمر الذي لا يتطلب منه أن يكون متعلما، فهو يؤلف الموال ويحفظه ويلحنه ثم يجتمع بفرقة المكونة من 11 فردا لتوزيع اللحن على الآلات الموسيقية.

يؤلف جميل مواويل في مدح الرسول الكريم منذ بداية مشواره الفني، ويؤكد أنه من الأوائل على الساحة في مدح النبي بعد مكرم المنيوي، يقول جميل: في الاحتفالات المختلفة وعندما أبدأ أغني وأمدح في النبي ألقى الناس منهابة (يشعرون بالاستغراب) وساكتين بس شوية ويتعودوا ويطلبوا مني أقول المواويل في النبي، وفيه اللي يجي مخصوص عشان حد من عنده طالع الحج وعايزني أقوم بتأليف موال عن النبي بمقابل مادي، فبقعد طول الليل أظبط وأؤلف موال مدح.

وأشار إلى أن أكثر المواويل طلبا من الجمهور هي مدحة النبي ووديني

يا دليل وديني.

يقول جميل إنه عند إحياء مناسبة خاصة بالمسلمين وإذا تواجد مجموعة من المسيحيين يقوم بغناء مواويل عن السيدة العذراء ونبي الله عيسى، والعكس إذا كان هناك فرح خاص بالمسيحيين وتواجد بعض المسلمين فهو يقوم بغناء موال مدح للرسول، ويبرر جميل طريقته تلك في إحياء الأفراح والمناسبات بمحاولة إسعاد محبيه والعمل على زيادة شعبيته.

ويذكر جميل أن من سبل إسعاده لجمهوره تأليف مواويل عن مختلف الموضوعات التي يطلبونها، وتكون تلك المواويل عن الحب أو الصداقة أو الجيرة أو أي من الموضوعات

## الاجتماعية المختلفة.

ويضيف جميل أن المسيحيين يتقبلون مدحي الرسول ويعلمون أن المدح والإنشاد جزء من الفن الشعبي الذي أقدمه، لذا لم تحدث بيني وبينهم أي مشكلة في ذلك الإطار من قبل، موضحاً أن هناك العديد من المنشدين المسلمين الذين يمدحون السيدة العذراء والمسيح، الجميع يحبني ويطلبني كي أحيي حفلاتهم ولكن نسبة المسلمين أكبر بالطبع فهم الأكثر حجراً لمواعيدي، وحبهم لي جعلني أتجول في مختلف أنحاء مصر وهم سبب شهرتي الحقيقية ونجاحي في الفن الشعبي بلا شك.

لجميل 7 أولاد، منهم 3 ذكور اتخذوا جميعاً نفس الخط والاتجاه الفني، فالابن الأكبر لديه فرقته الخاصة التي يتجول بها أيضاً من أجل إحياء الحفلات بمختلف أنحاء الريف المصري، والأوسط يقوم بضبط السماعات وتحديد المواعيد وفي بعض الأحيان يعزف، أما الأصغر فهو عازف ربابة ويحلم بأن يكون أفضل عازف ربابة في مصر.

منذ سنوات يراود جميل حلم إحياء حفل خارج مصر، طالبا من الله المساعدة في تحقيقه، ويقول: إن لحظة وقوفي على مسرح بإحدى الدول الأجنبية أو العربية تساوي عندي الكثير (22).

# المراجع

- 1- أبو فرج الأصفهاني - كتاب الأغاني - هيئة الكتاب - 2010.
- 2- الدكتور أحمد فريد رفاعي - عصر المأمون - دار الكتب المصرية - 1927.
- 3- دكتور محمد عمران - الثابت والمتغير في الإنشاد الديني: دراسة في الموسيقى الشعبية المصرية - الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- 4- فوزي القزاز - روحانيات من الإنشاد الديني - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 5- دكتور قاسم عني - تاريخ التصوف في الإسلام - ترجمة: صادق نشأت - دار البندقيّة - القاهرة - 2016.
- 6- دكتور عبد الحلیم محمود - قضية التصوف المنقذ من الضلال - دار المعارف - 2017.
- 7- دكتور عبد الحلیم محمود - فاذكروني.. أذكركم - دار المعارف - 2005.
- 8- دكتور غريب محمد أحمد علي - ألوان من التراث الشعبي في صعيد مصر - هيئة الكتاب - 2015.
- 9- العارف بالله ابن عطاء السكندري - لطائف المنن - دار المعارف - 2015.
- 10- فتحي الإبياري - الموسوعة المحمدية - هيئة الكتاب - 2009.
- 11- عصام ستاني - مقدمة في الفولكلور القبطي - مكتبة الأسرة - 2014.
- 12- دكتور وائل إبراهيم الدسوقي - التاريخ الثقافي لمصر الحديثة - مكتبة الأسرة - 2015.
- 13- توفيق أبو علم - السيدة نفيسة - دار المعارف - 2008.
- 14- دكتور صبري إبراهيم الملط - الموسيقى والمجتمع في مصر القديمة - هيئة الكتاب - 2017.
- 15- دكتورة سحر سامي - شعرية النص الصوفي في الفتوحات المكية - هيئة الكتاب - 2005.
- 16- دكتور عبد الحكيم خليل سيد أحمد - المعتقدات الشعبية في الطقوس والشعائر الصوفية - هيئة الكتاب - 2012.
- 17- جابر حسين احمد الجزولي - كتاب الرسائل للطريقة الجازولية الشاذلية - طبعات مختلفة - القاهرة.
- 18- دكتورة عائشة بكر - موالد الأولياء والقديسين - الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- 19- دكتور محمود أحمد الحفني: مؤتمر الموسيقى العربية: - المنعقد في القاهرة 1932 - المطبعة الأميرية ببولاق.
- 20- مروة محمود رزق - الاحتفالات في مصر في العصر الفاطمي- رسالة ماجستير بكلية دار العلوم جامعة المنيا - تحت إشراف الدكتور نصاري فهمي غزالي - 2005.
- 21- أبو بكر إسحاق الكلابادي - التعرف على مذهب أهل التصوف - ضبط: أحمد شمس الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - 1993.
- 22- تقي الدين أحمد بن علي المقرئ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرفاوي - مكتبة مدبولي.

- 23- توفيق الطويل - التصوف في مصر إبان الحكم العثماني - منشورات الكتب الصوفية.
- 24- الدكتور خيرى إبراهيم - تاريخ الموسيقى والغناء والرقص - جامعة حلوان.
- 25 عمر بن الفارض - ديوان ابن الفارض - دار الكتب العلمية - بيروت - 2003.
- 26- عبد الرحمن الحجي - تاريخ الموسيقى الأندلسية - دار الإرشاد - بيروت - 1969.
- 27- مجدي العقيلي - السماع عند العرب - دار الحياة - دمشق - 1973.
- 28- حيدر محمد لقمان - الإنشاد الصوفي والموسيقى - دائرة الفنون الموسيقية - المركز الدولي للدراسات الموسيقية التقليدية - بغداد.

- 29- هنري جورج فارمر - تاريخ الموسيقى العربية - ترجمة: دكتور حسين نصار - مراجعة دكتور عبد العزيز الأهواني - مكتبة مصر.

30- أحمد زروق الفاسي البرنسي - قواعد التصوف - تحقيق:

عبد المجيد خيالي - دار الكتب العلمية - 2005.

\* \* \*

- 1) الدكتور خيرى إبراهيم - تاريخ الموسيقى والغناء والرقص.
- 2) صلاح سليمان - أشعار إخناتون إطلالة على الأدب الفرعوني إيلاف ديسمبر 2011.
- 3) ترجمة دكتور أحمد فخري - مصر الفرعونية - هيئة الكتاب.
- 4) جورج صبحي الشماس بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية في حوار مع منال عبيد - الأهرام المسائي 15 ديسمبر 2016.
- 5) سفر الخروج 1:15.
- 6) د. سيد حنفي حسين - ديوان حسان بن ثابت - هيئة الكتاب 1974.
- 7) دكتور محمود أحمد الحفني - مؤتمر الموسيقى العربية: المنعقد في القاهرة 1932 المطبعة الأميرية ببولاق.
- 8) أبو بكر إسحاق الكلاباذي - التعرف على مذهب أهل التصوف - ضبط: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت 1993.
- 9) مجموع الفتاوى - أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني - مكتبة العبيكان الرياض - 1997.
- 10) تقي الدين أحمد بن علي المقريري - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي - مكتبة مدبولي.
- 11) توفيق الطويل - التصوف في مصر إبان الحكم العثماني - منشورات الكتب الصوفية.
- 12) جابر حسين أحمد الجزولي - كتاب الرسائل للطريقة الجازولية الشاذلية - طبعات مختلفة - القاهرة.
- 13) جريدة أخبار الأدب - 31 أغسطس 2010.
- 14) موقع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب - 8 فبراير 2012.
- 15) زيزي شوشة - موقع رصيف 22 الإلكتروني - 23 مارس 2015.
- 16) عبد الحفيظ العبدلي - موقع سويس انفو 23 يوليو 2008.
- 17) نهى العليمي - مجلة صباح الخير - 25 مارس 2014.
- 18) جريدة الأخبار اللبنانية - يوليو 2011.
- 19) موسوعة المعرفة.
- 20) جريدة الفجر الجزائرية - 29 أغسطس 2010.

[21](#)) علا الحيني - مجلة روز اليوسف - 5 يوليو 2015.

[22](#)) موقع هافينغتون بوست عربي.

# الفهرس

الإهداء.....	5
مقدمة.....	7
<b>الفصل الأول: نشأة فن الإنشاد الديني وتطوره</b>	
نشيد الأناشيد.....	13
الإنشاد القبطي.....	22
الإنشاد في عهد الرسول ﷺ.....	36
الإنشاد الديني بعد عهد النبوة.....	50
مدخل إلى الصوفية.....	57
آراء العلماء في فن الإنشاد الديني.....	70
الإنشاد في الحضرة.....	88
الموالد الشعبية.....	110
<b>الفصل الثاني: أشهر المنشدين والمنشادات</b>	
مداح النبي (محمد الكحلوي).....	117
الفشني بين التواشيح والقرآن.....	123
طوبار وأوتار القلوب.....	132
أستاذ المداحين (سيد النقشبندي).....	139

.....	منشد البردة (عبد العظيم العطواني)	153
.....	ساقى الأرواح (أحمد التونسي)	167
.....	عميد المنشدين (ياسين التهامي)	176
.....	محمود التهامي ونقابة المنشدين	195
.....	منشادات على الطريق	206
.....	«الحضرة» من المساجد إلى المسارح	213
.....	عامر التونسي والمولوية المصرية	225
.....	أحفاد رسول الله (الإخوة أبو شعر)	236
.....	فرقة الرضوان المرعشلي	253
.....	مداحون أقباط	261
.....	المراجع	271
.....	***	